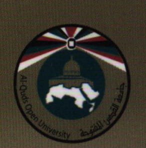


علوم القرآن



برنامج التربية
رقم المقرر
5121





علوم القرآن

اعداد

ا.د.فضل حسن عباس د. صلاح الخالدي
د.مصطفى المشني د. فايز الخطيب

2009

جامعة القدس المفتوحة

مقرر: علوم القرآن/ رقم المقرر (5121)

فريق الإعداد والانتاج

اعداد المادة العلميه :	ا.د.فضل حسن عباس، د. صلاح الخالدي، د. مصطفى المشني د. فايز الخطيب
التحكيم :	ا.د فضل حسن عباس
التحرير اللغوي :	ا. مجد البرازي
التصميم التعليمي :	ا. مجد البرازي
التصميم الفني :	ا.بهجت عثمان- ا. محمد ج- الطيطي
التدقيق الطباعي :	....
التنضد الطباعي :	ا.محمد عايش

فريق التطوير

اعداد المادة العلميه :	د.محمد عزت السيد
التحكيم :	د. محسن الخالدي
التحرير اللغوي :	د. سمير الصوص
التصميم التعليمي :	ا. هبة مسمار
التصميم الفني :	ا. محمد ج- الطيطي
التدقيق الطباعي :	هبة مسمار
التنضيد الطباعي :	ا.عيسى الهندي - ا.رامي النابلسي
المراجعة النهائية :	د. محمد عزت السيد

منشورات جامعة القدس المفتوحة
2009

(77) أم السماق ☎ (5522561) عمان – الأردن/بريد إلكتروني amman@qou.edu

رقم التصنيف	211
المؤلف ومن هو في حكمة	جامعة القدس المفتوحة
عنوان المصنف	علوم القرآن
رؤوس الموضوعات	1- القرآن الكريم أ- العنوان
	2- ....
رقم الايداع	(1993/10/1162)
الملاحظات	عمان- جامعة القدس المفتوحة

تم اعداد بيانات الفهرس الاولية من قبل المكتبة الوطنية

مقدمة المقرر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الخلق وسيد المرسلين، النعمة المسداة والرحمة المهداة إلى كافة الخلق الذي أنزل عليه القرآن هدى للناس خير كتب الله تعالى، الذي تكفل سبحانه بحفظه وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد: فلقد عني علماؤنا - جزاهم الله خيرا - بكتاب الله تعالى، والذي هو أشرف الكتب فتناولوه درساً وبيانا وتوضيحا، وبحثوا في كل ما يتعلق به، مما يسهل عليهم فَهمه، وبينوا كل ما ييسر على خلق الله.

ومن هنا وجدنا العلماء، يذكرون الكثير من العلوم التي تتعلق بالقرآن الكريم، فنجدهم يذكرون علم نزول القرآن، وجمع القرآن، وعلم أسباب النزول، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم المكي، والمدني، والمحكم والمتشابه، والأحرف السبعة، والقراءات القرآنية، وعلم التفسير، وغيرها الكثير.

وهذه العلوم جميعها لا غنى لباحث في كتاب الله عنها، فلا بد له لكي يستطيع فهم آية ما، أن يرجع - مثلاً - إلى سبب نزولها، أو مكان نزولها في مكة أو المدينة، وإلى علم الناسخ، ليرى إن كانت الآية ناسخة أو منسوخة، وكذلك المتصدي لتفسير القرآن لا غنى له عن التعرف إلى هذه العلوم جميعها.

وقد كان البحث والتأليف من قبل في كل علم من هذه العلوم على حِدة، فنجد كتابا في أسباب النزول، وآخر في الناسخ والمنسوخ. لذا ارتأى علماؤنا وأئمتنا - رحمهم الله - أن يجمعوا هذه العلوم كلها في مكان واحد، ويطلقوا عليها اسم علوم القرآن، وقد أُلفت في ذلك الكتب الكثيرة التي جمعت مسائل علوم القرآن.

محتويات المقرر

وتبعاً لذلك - أخي الدارس وأختي الدارسة - وتسهيلاً عليك في دراستك، قمنا بوضع هذا المقرر، الذي يتضمن منهاج علوم القرآن، وقد جاء هذا الكتاب في أربع وحدات.

الوحدة الأولى: القرآن ونزوله، جاء فيها تعريف القرآن الكريم لغة واصطلاحا، وبيان نشأة علوم القرآن، وتطورها، وبيان العلم المكي والمدني.

الوحدة الثانية: جمع القرآن وتدوينه وترجمته، وجاء فيها المراحل التي مر بها جمع القرآن،

في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي عهد أبي بكر الصديق وفي عهد عثمان رضي الله عنهما، وتحدثت عن ترتيب سور القرآن، وآياته، وتشكيله وتنقيطه، وترجمة القرآن وأطلسته أقواماً وأماكن.

الوحدة الثالثة: قراءات القرآن وناسخه ومنسوخه، جاء فيها المقصود بالأحرف السبعة، والقراءات، والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه.

الوحدة الرابعة: لغة القرآن، وتضمنت أصل اللغة وتأليف مادتها، وخصائصها، ونزول القرآن بها، وفصاحة الألفاظ، وبلاغة المعاني، وأسلوب القرآن، وغريبه، وإعرابه، والمعرب فيه، وأمثاله.

إضافة إلى ذلك - أخي الدارس، وأختي الدارسة - وردت تدريبات وأنشطة في ثنايا كل وحدة، أما التدريبات فستجد الإجابة عنها آخر كل وحدة، وأما الأنشطة، فعليك الاعتماد على نفسك للقيام بها، وذلك لتزيد حصيلتك العلمية، ويمكنك الرجوع إلى مشرفك لمعاونتك. وستجد كذلك في كل وحدة أسئلة التقويم الذاتي عليك الإجابة عنها وحدك بعد دراستك للموضوع.

أهداف المقرر

أخي الدارس، أختي الدارسة:

لا بد لك بعد دراستك لهذا المقرر أن تحقق الأهداف الآتية:

1- تتعرف المراد من مصطلح علوم القرآن، وأهم العلوم التي تنضوي تحت لوائه.
2- تطلع على بعض الجهود التي بذلها علماء الإسلام قديما وحديثا في خدمة القرآن.
3- تتزود بمفاهيم إسلامية صافية للرد على الشبهات التي تثار حول القرآن وعلومه.
4- تعرض مظاهر فصاحة ألفاظ القرآن وبلاغة جمله ومعانيه وتراكيبه.

ونسأل الله تعالى أن يعلمك ما ينفعك وأن ينفعك بما علمك، ونسأله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والله من وراء القصد.

محتويات المقرر


الوحدة الأولى
القرآن ونزوله

محتويات الوحدة

1. المقدمة

1.1 تمهيد

أخي الدارس، أختي الدارسة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد فهذه هي الوحدة الأولى من مقرر علوم القرآن.

أما موضوعها فهو القرآن ونزوله، وقد اعتمدنا في كتابتها على المصادر الإسلامية الأصيلة، وكذلك على المصادر الحديثة التي كتبها علماء معروفون بفضلهم وعلمهم، وقد حرصنا على اختيار أفضل الآراء وأقومها، والبعد عن التعقيد.

تتكون هذه الوحدة من خمسة أقسام: يتناول القسم الأول تعريف القرآن الكريم لغة واصطلاحاً، ثم التفريق بين القرآن والحديث القدسي والحديث النبوي. أما القسم الثاني فقد خصص للتعريف بعلوم القرآن وبيان نشأته وتطوره وأهم مؤلفاته، وأما القسم الثالث فكان عن موضوع الوحي: معناه واستعمالاته وصوره وكيفياته. وينتقل بك القسم الرابع ليتحدث عن كيفية نزول القرآن والحكمة من ذلك النزول، وأول ما نزل وآخر ما نزل، ومعنى أسباب النزول وفوائدها، أما القسم الخامس والأخير فقد تضمن تعريف المكي والمدني، وبيان مميزاته وضوابطه، ثم فوائد هذا العلم.

وقد ورد في ثنايا هذه الوحدة بعض التدريبات، يقصد منها استثارة الدافعية للتعلم، كما يوجد في نهاية كل جزء من أجزاء هذه الوحدة أسئلة التقويم الذاتي، ننصحك – أخي الدارس - في حالة وجود استفسارات الاتصال بمشرفك الأكاديمي.

2.1 أهداف الوحدة

أخي الدارس، أختي الدارسة، بعد الانتهاء من دراسة هذه الوحدة، وحل تدريباتها يتوقع منك أن تكون قادرا على أن:

1- تعرّف القرآن الكريم.

2- تفرّق بين القرآن، والحديث القدسي، والقرآن والحديث النبوي.

3- تتعرف نشأة علوم القرآن وتطورها، وأشهر كتبها.

4- تعرّف الوحي وتتعرف صوره وكيفياته.

5- تتعرّف كيفية نزول القرآن، وأول ما نزل من القرآن وآخره.
6- تبين أهمية معرفة أسباب النزول.
7- تعدد ضوابط المكي والمدني، وتميز بينهما.

3.1 أقسام الوحدة

تتكون هذه الوحدة من خمسة أقسام رئيسة ترتبط بقائمة الأهداف سابقة الذكر على النحو الآتي:

القسم الأول: "القرآن الكريم"، ودراستك لهذا القسم تساعدك - عزيزي الدارس - على تحقيق الهدفين الأول والثاني من أهداف الوحدة.

القسم الثاني: "علوم القرآن"، ودراسة هذا القسم تساعدك - عزيزي الدارس - على تحقيق الهدف الثالث من أهداف الوحدة.

القسم الثالث: "الوحي"، ودراستك لهذا القسم تساعدك - عزيزي الدارس - على تحقيق الهدف الرابع من أهداف الوحدة.

القسم الرابع: "نزول القرآن الكريم"، ودراستك لهذا القسم – عزيزي الدارس – تساعدك على تحقيق الهدفين الخامس والسادس من أهداف الوحدة.

القسم الخامس: "المكي والمدني"، ودراستك لهذا القسم من الوحدة تساعدك - عزيزي الدارس - على تحقيق الهدف السابع من أهداف الوحدة.



4.1 القراءات المساعدة

عزيزي الدارس، حاول الانتفاع ما أمكن بالقراءات الآتية؛ نظراً لاتصالها القوي والمباشر بموضوع هذه الوحدة، ولا شك ان انتفاعك بها سيعمق فهمك واستيعابك للموضوع ويوسع مداركك.

1- الصالح، صبحي، 1990، **مباحث في علوم القرآن**، دار العلم للملايين، بيروت، ص 119-126، ص 164-233.

2- القطان، مناع، **مباحث في علوم القرآن**، مكتبة المعارف ، الرياض، ص 65-82، ص 100-116.

5.1 ما تحتاج اليه لدراسة الوحدة

ما تحتاج إليه – عزيزي الدارس - عند دراستك الهدوء، والورقة والقلم لتدوين ملاحظاتك وتلمّ بما في ثنايا الوحدة وما تطرحه أمامك تلك الثنايا من تساؤلات لتجيب عنها، وتترك ما قد صعب واستغلق ليجيب عنه المشرف الأكاديمي.

2. القرآن الكريم

- تعريفه لغة واصطلاحاً

- الفرق بينه وبين الحديث القدسي والحديث النبوي

1.2 تمهيد

أنزل الله تعالى هذا الكتاب الذي جاء قيماً على الكتب السابقة فختم به الكتب المنزلة على رسله الكرام، وأنزله على نبي ختم به الأنبياء، بدين عام خالد، خصه الله تعالى وميزه عن سائر الكتب السماوية السابقة بأن تولى بنفسه حفظه فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يتطرق إليه تحريف ولا تبديل. قال جل ذكره: **(وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (41) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)** (فصلت:41-42) وقال: **(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)** (الحجر: 9) وخصه أيضاً بأن جعله مهيمنا ورقيبا على غيره مما سبق من الكتب، مصدقاً لها، وحاكما عليها، فهو المقدم على غيره.

وجعله الله دستوراً لإصلاح الخلق وهدايتهم، وناط به سعادتهم في الدارين، وهو ملاذ الدين، وعماد لغة العرب، وحجة الرسول - صلى الله عليه وسلم - الكبرى، جاء وافيا بجميع مطالب الإنسانية، وعالج مشكلاتها في شتى مرافق الحياة الروحية والعقلية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية علاجاً حكيما، لأنه من لدن حكيم خبير.

حمَّل الله أمانة تبليغه محمداً صلى الله عليه وسلم، المبعوث للناس كافة بشيراً ونذيراً، وأمته من بعده التي جعلها الله أمة وسطاً، وشاهدة على الأمم وخير أمة أخرجت للناس، فهذه الأمة وحدها هي المؤهلة لحمل مشاعل الهداية وسط دياجير الظلام، وقيادة هذه الإنسانية الحائرة إلى شاطئ السلام والأمان.

2.2 تعريف القرآن الكريم لغة واصطلاحاً

- **تعريف القرآن لغة**

قرأ: تأتي بمعنى الجمع والضم، والقراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، والقرآن في الأصل كالقراءة، مصدر قرأ قراءة وقرآنا . قال تعالى: **(إِنَّ عَلَيْنَا**

جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) (القيامة: 17-18) أي قراءته، ومصدر على وزن (فُعلان) بالضم كالغفران والشكران، تقول: قرأته قرءاً وقراءة وقرآنا بمعنى واحد . سمي به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر.

وقد خص القرآن بالكتاب المنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - فصار له كالعلم الشخصي.

ويطلق على مجموع القرآن، وعلى كل آية من آياته، فإذا سمعت من يتلو آية من القرآن صح أن تقول: إنه يقرأ القرآن: **(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)** (الأعراف: 204) وذكر بعض العلماء أن تسمية هذا الكتاب قرآنا من بين كتب الله لكونه جامعاً لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم كما أشار تعالى إلى ذلك بقوله: **(وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ)** (النحل: 89) وقوله: **(مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ)** (الأنعام: 38) وذهب بعض العلماء إلى أن لفظ القرآن غير مهموز الأصل في الاشتقاق، إما لأنه وضع علماً مرتجلاً على الكلام المنزل على النبي - صلى الله عليه وسلم - وليس مشتقاً من قرأ، أو لأنه من قرن الشيء بالشيء إذا ضمه إليه، أو من القرائن، أو لأنّ آياته يشبه بعضها بعضا فالنون أصلية، والصواب الأول والله أعلم.

- **تعريف القرآن اصطلاحاً:**

عرفه أكثر العلماء فقالوا: «هو الكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته». يقول صبحي الصالح في كتابه (مباحث في علوم القرآن): إن هذا التعريف متفق عليه بين الأصوليين والفقهاء وعلماء اللغة العربية (الصالح، 1990: 21). وأوجزه بعضهم بقوله: «هو كلام الله تعالى المنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - المتعبد بتلاوته». وقد قيل في تحليل هذا التعريف الأخير: إن (الكلام) جنس شامل لكل كلام وإضافته إلى (الله تعالى) يخرج كلام غيره من الإنس والجن والملائكة. و(المنزل) يخرج كلام الله الذي استأثر به سبحانه **(قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا)** (الكهف: 109) **(وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ)** (لقمان: 27) وتقييد المنزل بكونه (على محمد صلى الله عليه وسلم) يخرج ما أنزل على الأنبياء كالتوراة والإنجيل وغيرهما.

و(المتعبد بتلاوته) يخرج قراءات الآحاد، والأحاديث القدسية إن قلنا إنها منزلة من عند الله بألفاظها؛ لأن التعبد بتلاوته معناه الأمر بقراءته في الصلاة وغيرها على وجه العبادة، وليست قراءة الآحاد والأحاديث القدسية كذلك.

3.2 أسماء القرآن الكريم

لقد سمّى الله القرآن أسماء كثيرة، منها:

القرآن (**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**) (الإسراء: 9) والكتاب (**لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ**) (الأنبياء: 10) والفرقان (**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**) (الفرقان: 1) والذكر (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**) (الحجر: 9) والتنزيل (**وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ**) (الشعراء: 192). إلى غير ذلك مما ورد في أسماء القرآن (وإذا أردت المزيد – عزيزي الدارس - فارجع إلى كتاب (البرهان في علوم القرآن) للزركشي ص273 - 276 فقد ذكر تسعاً وتسعين اسماً للقرآن الكريم). وقد غلب من أسمائه: القرآن والكتاب، قال دراز: «روعي في تسميته قرآناً كونه متلواً بالألسن، كما روعي في تسميته كتاباً كونه مدونا بالأقلام فكلتا التسميتين من تسمية شيء بالمعنى الواقع عليه، وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد؛ أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعاً أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى، فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب، المنقول إلينا جيلاً بعد جيل على هيئته التي وضع عليها أول مرة، ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر . وهو بهذه العناية المزدوجة التي بعثها الله في نفوس الأمة المحمدية اقتداءً بنبيها بقي القرآن محفوظاً في حرز حريز إنجازاً لوعد الله الذي تكفل بحفظه حيث يقول (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**) (الحجر: 9) ولم يصبه ما أصاب الكتب الماضية من التحريف والتبديل وانقطاع السند، حيث لم يتكفل الله بحفظها، بل وكلها إلى حفظ الناس فقال تعالى: (**وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ**) (المائدة: 44) أي بما طلب إليهم حفظه، والسر في هذه التفرقة أن سائر الكتب السماوية جيء بها على التوقيت لا التأبيد، وأن هذا القرآن جيء به مصدقاً لما بين يديه من الكتب ومهيمناً عليها، فكان جامعاً لما فيها من الحقائق الثابتة، زائداً عليها بما شاء الله زيادته، وكان ساداً مسدها ولم يكن شيئ منها؛ ليسد مسده فقضى الله أن يبقى حجة إلى قيام الساعة، وإذا قضى أمراً يسر له أسبابه وهو الحكيم العليم (دراز، النبأ العظيم: 8 -9).

نشاط (1)

أخي الدارس، أختي الدارسة: ارجع إلى أحد كتب التفسير واقرأ تفسير آية 44 من سورة المائدة.

4.2 الفرق بين القرآن الكريم، والحديث القدسي، والحديث النبوي

لقد سبق بيان معنى القرآن الكريم لغة واصطلاحاً، وهنا لا بد أن نبين -أيضاً- معنى كل من الحديث النبوي والحديث القدسي لكي نستطيع أن نفرق بينهما.

1.4.2 الحديث النبوي

- الحديث في اللغة: ضد القديم، ويطلق ويراد به كل كلام يتحدث به وينقل ويبلغ الإنسان من جهة السمع أو الوحي في يقظته أو منامه، وبهذا المعنى سمي القرآن حديثاً، قال تعالى: (**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا**) (النساء: 87)، وسمي كذلك ما يحدث به الإنسان في نومه: (**وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ**) (يوسف: 101).
- الحديث في الاصطلاح: ما أضيف إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة.

فالقـول: كقولـه صلـى اللـه عليـه وسلم: (**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى ...**) (رواه البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب) وقوله: (**من دل على خير فله أجر فاعله**) (رواه مسلم) والفعل: كالذي ثبت من تعليمه لأصحابه كيفية الصلاة ثم قال: (**صلوا كما رأيتموني أصلي**) (رواه البخاري)، وما ثبت في كيفية حجه وقد قال: (**خذوا عني مناسككم**) (أخرجه مسلم وأحمد والنسائي).

أما التقرير: فهو أن يقر – صلى الله عليه وسلَّم - أصحابه رضوان الله عليهم على ما صدر منهم من قول أو فعل سواء أكان ذلك في حضرته صلى الله عليه وسلم، أم في غيبته ثم بلغه فيقره ولا ينكره:

مثل ما جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لأصحابه حين وجههم لقتال بني قريظة من اليهود: (**ألا لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة**). وحانت صلاة العصر والناس في الطريق، فقال جماعة منهم: لا نصلي العصر حتى نأتي بني قريظة - كما أراد النبي صلى الله عليه وسلم - وقال آخرون: بل نصلي، ولم يرد منا ذلك، إنما أراد الإسراع وحين ذكر ذلك للنبي -صلى الله عليه وسلم- أقر الجميع على ما صنعوا ولم يعنف أي

فريق منهم على اجتهاده، فكان ذلك تقريراً منه لما حصل.

وأما الصفة: فهي كما روي من صفاته الخَلْقية أو الخُـلُقية، مثال ذلك قول علي رضي الله عنه في وصفه للرسول صلى الله عليه وسلم: **(لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل ولا بالقصير)** وقوله أيضاً: **(كان أوسع الناس صدراً وأصدق الناس لهجة، وألين الناس عريكة وأكرمهم عِشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه)** (رواه الترمذي في الشمائل). وكذلك قول عائشة رضي الله عنها: **(ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً من مظلمة قط ما لم ينتهك من محارم الله شيء فإذا انتهك من محارم الله شيء كان من أشدهم في ذلك غضباً، وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن مأثماً)** (رواه البخاري).

2.4.2 الحديث القدسي

القدسي نسبة إلى القدس، وهي نسبة تدل على التعظيم، لأن مادة الكلمة دالة على التنزيه والتطهير في اللغة.

- **فالتقديس: تنزيه الله تعالى، والتقديس: التطهير، وتقدس: تطهر، قال تعالى على لسان الملائكة في كتابه العزيز: (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ) (البقرة: 31) وأما كونه حديثاً فلأن الرسول عليه السلام هو الحاكي له عن الله بخلاف القرآن الكريم فإنه لا يضاف إلا إلى الله تعالى.**
- **معنى الحديث القدسي في الاصطلاح: هو ما يضيفه النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى الله تعالى: أي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - يرويه على أنه من كلام الله تعالى، فالرسول** راوٍ لكلام الله بلفظ من عنده، وإذا رواه أحد الرواة عن رسول الله مسنداً إلى الله عز وجل فيقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل، أو يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى أو يقول الله تعالى، والأحاديث القدسية كثيرة وقد جمعها بعضهم في كتاب سماه (الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية) للشيخ المحدث عبد الرؤوف بن علي المناوي وقد بلغت (272) حديثاً.

ومن أمثلة الحديث القدسي ما روي عن أبي هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تبارك وتعالى قال: **(من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي**

يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه) (رواه البخاري في كتاب الرقاق).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: يقول الله تعالى: **(أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ...)** (أخرجه البخاري ومسلم)

والأحاديث القدسية تحمل نوعاً من المواعظ التي تدور على تبيان عظمة الخالق وسعة رحمته بعباده، ودعوة الخلق إلى أن يستشعروا دائماً أنهم يتعاملون مع الله الذي لا تخفى عليه خافية، ولا يضيع لك مثقال ذرة من العمل.

3.4.2 الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي

هناك فروق عديدة بين القرآن الكريم والحديث القدسي أهمها:

1- أن القرآن الكريم كلام الله أوحى به إلى رسول الله بلفظه، وتحدى به العرب، فعجزوا عن أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة من مثله، ولا يزال التحدي به قائماً، فهو معجزة خالدة إلى يوم الدين.

أما الحديث القدسي فلم يقع به التحدي والإعجاز، بل لمجرد العمل بما فيه.

2- والقرآن لا ينسب إلا إلى الله تعالى، فيقال: قال الله تعالى والحديث القدسي -كما سبق- قد يروى مضافاً إلى الله وتكون النسبة إليه حينئذ نسبة إنشاء فيقال: قال الله تعالى أو يقول الله تعالى، وقد يروى مضافاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتكون النسبة حينئذ نسبة إخبار؛ لأنه عليه السلام فيما يرويه عن ربه عز وجل.

3- والقرآن الكريم جميعه منقول بالتواتر، فهو قطعي الثبوت والأحاديث القدسية أكثرها أخبار آحاد، فهي ظنية الثبوت، وقد يكون الحديث القدسي صحيحاً، أو حسناً، أو ضعيفاً.

4 - القرآن الكريم من عند الله لفظاً ومعنى، فهو وحي باللفظ والمعنى. والحديث القدسي معناه من عند الله ولفظه من عند الرسول - صلى الله عليه وسلم - على الصحيح والأظهر، فهو وحي بالمعنى دون اللفظ، ولذا تجوز روايته بالمعنى عند جمهور المحدثين.

5- والقرآن متعبد بتلاوته فهو الذي تتعين القراءة به في الصلاة وقراءته عبادة يثيب الله عليها كما جاء في الحديث **(من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف)** (رواه الترمذي عن ابن مسعود وقال حديث حسن صحيح).

والحديث القدسي غير متعبد بتلاوته فلا تُجزِئ قراءتهُ في الصلاة، ولكن يثيب الله على قراءته ثواباً عاماً فلا يصدق فيه الثواب الذي ورد ذكره في الحديث على قراءة القرآن بكل حرف عشر حسنات.

تدريب (1)

ضع دائرة حول الإجابة الصحيحة
- الفرق بين القرآن والحديث القدسي: الحديث القدسي هو:
أ- ما كان لفظه ومعناه من الله تعالى.
ب- ما كان لفظه ومعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم.
ج- ما كان معناه من عند الله تعالى، ولفظه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم.

4.4.2 الفرق بين القرآن الكريم والحديث النبوي

الفروق بينهما لا تختلف عن الفروق بين القرآن الكريم والأحاديث القدسية، ويمكن تلخيصها فيما يأتي:

1- القرآن الكريم كله من عند الله تعالى لفظاً ومعنى

أما الأحاديث النبوية فمنها ما هو توقيفي، وهو الذي تلقى الرسول - صلى الله عليه وسلم - مضمونه من الوحي فبينه للناس بكلامه، وهذا القسم وإن كان مضمونه منسوباً إلى الله فإنه من حيث هو كلام حري بأن ينسب إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم -؛ لأن الكلام إنما ينسب إلى قائله وإن كان ما فيه من المعنى قد تلقاه عن غيره، ومنها ما هو توفيقي وهو الذي استنبطه الرسول - صلى الله عليه وسلم - من فهمه للقرآن، لأنه مبين له أو استنبطه بالتأمل والاجتهاد وهذا القسم الاستنباطي الاجتهادي يقره الوحي إن كان صوابا، وإذا وقع فيه خطأ جزئي نزل الوحي بما فيه الصواب. ومثاله ما كان في أسرى بدر، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ برأي أبي بكر وقبل منهم الفداء فنزل القرآن الكريم معاتباً له **(مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى...)** (الأنفال:67)، وتبين من ذلك: أن الأحاديث النبوية بقسميها: التوقيفي، والتوفيقي الاجتهادي الذي أقره الوحي يمكن أن يقال فيها أن مردها جميعا بجملتها إلى الوحي، وهذا معنى قوله تعالى، في رسولنا صلى الله عليه وسلم: **(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)** (النجم: 3-4).

2- القرآن الكريم كله منقول بالتواتر فهو قطعي الثبوت

أما الحديث النبوي فمنه ما هو متواتر وهو قليل جداً، ومنه الآحاد وهو الأكثر.

3- القرآن الكريم معجز ومتحدى به إلى يوم القيامة، ومتعبد بتلاوته في الصلاة، أما الأحاديث فليست معجزة وغير متحدى بها ولا متعبد بتلاوتها.

4- القرآن الكريم في أكثر آياته عاماً مجملاً.

أما الأحاديث فهي تبين ما أبهم من القرآن، وتفصل مجمله وتخصص عامه كما قال سبحانه: **(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)** (النحل: 44)، فالقرآن أمر بالصلاة مثلاً وبين أنها مؤقتة، فبينت السنة أوقاتها وعدد ركعات كل منها وصفاتها وما يبطلها، وأمر القرآن بالزكاة فبينت السنة أوقاتها ونصابها ومقاديرها ... إلخ، فالحديث إذن مبين ومفصل ومخصص لما ورد في القرآن مجملاً وعاماً.

?

أسئلة التقويم الذاتي (1)

1- عرف القرآن الكريم لغة واصطلاحاً.
2- لقد سمى الله تعالى القرآن الكريم أسماء كثيرة، اذكر هذه الأسماء مع الإشارة إلى أشهرها.
3- عرف الحديث النبوي واضرب أمثلة على ما تقول.
4- عرف الحديث القدسي ومثل له.
5- ما الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي؟

3. علوم القرآن

أخي الدارس، أختي الدارسة، بعد أن ذكرنا تعريف القرآن وبينا الفرق بينه وبين الحديث القدسي والحديث النبوي، نأتي إلى القسم الثاني من هذه الوحدة وهو التعريف بعلوم القرآن مبينين نشأته وتطوره، وأهم مؤلفاته.

1.3 التعريف بعلوم القرآن الكريم وبيان نشأته وتطوره

القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة التي لا يزيدها التقدم العلمي إلاّ رسوخا في الإعجاز، أنزله الله تعالى على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى الصراط المستقيم، فكان عليه السلام يبلغه لصحابته الكرام، ويشرحه

لهم بقوله وبعمله وتقريره وخلقه، أي بسنته الجامعة لأقواله وأفعاله وتقريراته وصفاته مصدقاً لقوله تعالى: (**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**) (النحل: 44) وكان الصحابة وقتئذٍ عرباً خُلّصاً متمتعين بجميع خصائص العروبة ومزاياها الكاملة من قوة في الحافظة، وذكاء في القريحة، وتذوق في البيان، فأدركوا من علوم القرآن ومن إعجازه بسليقتهم وصفاء فطرتهم ما لا نستطيع أن ندركه مع زحمة العلوم، وكثرة الفنون.

وكان الصحابة - رضوان الله عليهم - إذا التبس عليهم فهم آية من الآيات سألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عنها ومن ذلك سؤالهم لما نزلت (**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ**) (الأنعام: 82) شقَّ ذلك على الناس فقالوا يا رسول الله: وأيُّنا لا يظلم نفسه؟ قال إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: (**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**) (لقمان: 13) (والحديث رواه الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه).

وكان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يفسر لهم بعض الآيات. أخرج مسلم وغيره عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول وهو على المنبر: «(**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ**) (الأنفال: 60) ألا إن القوة الرمي».

وحرص الصحابة على تلقي القرآن الكريم من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وحفظه وفهمه، وكان ذلك شرفاً لهم، عن أنس رضي الله عنه قال: (**كان الرجل منا إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا**) أي عظم. وحرصوا كذلك على العمل به والوقوف عند أحكامه.

روي عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قال: (**حدثنا الذين كانوا يُقرِئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي - صلى الله عليه وسلم - عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعملوا ما فيها من العلم والعمل، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا**).

وكان أكثر الصحابة أُميين، ولم تكن أدوات الكتابة متيسرة لهم، فكان ذلك حائلاً – أيضاً - دون التأليف في هذا العلم، زد على ذلك أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد نهاهم أن يكتبوا عنه شيئاً غير القرآن، وقال لهم أول العهد بنزول الوحي (**لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه. وحدثوا عني ولا حرج ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**) (رواه مسلم 229/8 عن أبي سعيد الخدري).

ولقد ظلت علوم القرآن تروى بالتلقين والمشافهة على عهد رسول الله - صلى الله عليه

وسلم - ثم على عهد الشيخين أبي بكر وعمر، وفي خلافة عثمان بدأ اختلاط العرب بالأعاجم، واقتضت الدواعي إلى جمع المسلمين على مصحف واحد فتم ذلك واجتمعوا على مصحف إمام ونسخ منه مصاحف للأمصار، وأمر عثمان أن يحرق الناس كل ما عداها، وسميت كتابته بالرسم العثماني نسبة إليه، ويعد هذا بداية لعلم رسم القرآن، ثم كانت خلافة علي رضي الله عنه وقد اشتهر أن علياً - رضي الله عنه - أمر أبا الأسود الدؤلي (توفي سنة 69 هـ) بوضع بعض القواعد للمحافظة على سلامة اللغة العربية، ضبطاً للقرآن الكريم، ويعد هذا كذلك بداية لعلم إعراب القرآن.

واستمر الصحابة يتناقلون معاني القرآن وتفسير بعض آياته على تفاوت فيما بينهم، لتفاوت قدرتهم على الفهم، وتفاوت ملازمتهم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونقل عنهم ذلك تلاميذهم.

وجاء عهد بني أمية، وهمة الصحابة والتابعين متجهة إلى نشر علوم القرآن الكريم بالرواية والتلقين لا بالكتابة والتدوين.

وفي وسعنا أن نقول: إن الممهدون لهذا العلم هم الخلفاء الأربعة، وابن عباس، وابن مسعود، وزيد بن ثابت وأبي بن كعب، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير، وكلهم من الصحابة رضوان الله عليهم، وعدّ هؤلاء أشهر المفسرين، وما روي عنهم لا يتضمن تفسيراً كاملاً للقرآن، وإنما يقتصر على معاني بعض الآيات بتفسير غامضها وتوضيح مجملها.

أما التابعون فاشتهر منهم جماعة أخذوا عن الصحابة واجتهدوا في تفسير بعض الآيات، وعلى رأس التابعين: مجاهد، وعطاء بن يسار وقتادة، والحسن البصري، وسعيد بن جبير، وزيد بن أسلم، وعنه أخذ ابنه عبد الرحمن، ومالك بن أنس من تابعي التابعين وهؤلاء جميعاً هم الواضعون لما نسميه علم التفسير، وعلم أسباب النزول، وعلم المكي والمدني وعلم الناسخ والمنسوخ وعلم غريب القرآن.

ثم جاء عصر التدوين في القرن الثاني فألفت كتب في أنواع علوم القرآن، واتجهت الهمم قبل كل شيء إلى التفسير، باعتباره أم العلوم القرآنية لما فيه من التعرض لها في كثير من المناسبات عند شرح الكتاب العزيز.

ومن أوائل الكاتبين في التفسير شعبة بن الحجاج وسفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، وكانت تفاسيرهم جامعة لأقوال الصحابة والتابعين، وهم من علماء القرن الثاني. ثم تلاهم ابن

جرير الطبري المتوفى سنة (310 هـ)، وكتابه أجل التفاسير وأعظمها؛ لأنه أول من عرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض، كما عرض للإعراب والاستنباط، ونشأ التفسير بالرأي إلى جانب التفسير بالمأثور، وفسَّر القرآن كله، وجزءاً منه وسورة وأحياناً آية أو آيات خاصة كآيات الأحكام . أما علوم القرآن الأخرى، ففي مقدمة المؤلفين فيها علي بن المديني شيخ البخاري، إذ ألف في أسباب النزول، وأبو عبيد القاسم بن سلام، إذ كتب في الناسخ والمنسوخ، وكلاهما من علماء القرن الثالث. وفي مقدمة من ألف في غريب القرآن: أبو بكر السجستاني، وهو من علماء القرن الرابع، وفي طليعة من صنف في إعراب القرآن: علي بن سعيد الحوفي وهو من علماء القرن الخامس، ومن أوائل من كتب في مبهجات القرآن: أبو القاسم المعروف بالسبيلي وهو من علماء القرن السادس.

كذلك تصدر للتأليف في مجاز القرآن ابن عبد السلام، وفي القراءات علم الدين السخاوي، وهما من علماء القرن السابع، وهكذا قويت العزائم وتبارت الهمم ونشأت علوم جديدة للقرآن.

وظهرت مؤلفات في كل نوع منها، سواء في ذلك أقسام القرآن وأمثال القرآن، وحجج القرآن، وبدائع القرآن، ورسم القرآن وما أشبهها، ثم لا يزال المؤلفون إلى عصرنا هذا يزيدون، وعلوم القرآن ومؤلفاته تُنمّى وتزدهر وتزيد، وهذا يريك - أخي الدارس - إلى أي حد بلغ علماء الإسلام في خدمة التنزيل، وتزداد عجباً إذا علمت أن طريقة أولئك المؤلفين في تأليفهم كانت طريقة استيعاب واستقصاء، يعمد أصحابها أن يحيطوا بجزئيات القرآن من الناحية التي كتبوا فيها بقدر طاقاتهم البشرية، فمن يكتب في غريب القرآن مثلاً يذكر كل مفردة من مفردات القرآن التي فيها غرابة وإبهام، ومن يكتب في مجاز القرآن يَتَقصّى أثر كل لفظ فيه مجاز أيّا كان نوعه في القرآن، ومن يكتب في أمثال القرآن يتحدث عن كل مثل ضربه الله في القرآن، وهكذا سائر أنواع علوم القرآن . أي أن طريقتهم كانت طريقة استقصاء جزئيات القرآن لذلك وجب اختصار تلك العلوم في علم جديد موحد سموه (علوم القرآن).

ولا نعلم أحداً قبل المئة الرابعة للهجرة ألّفَ، أو حاول أن يؤلف في علوم القرآن بالمعنى المدون، لأن الدواعي لم تكن موفورة لديهم، والذي نعلمه أن علوم القرآن كانت مجموعة في صدور المبرزين من العلماء، وخير شاهد على هذا ما روي في تاريخ الشافعي في أثناء محنته التي اتهم فيها بأنه رئيس حزب العلويين باليمن وسيق مكبلاً بالحديد إلى الرشيد في بغداد، فسأله الرشيد: كيف علمك يا شافعي بكتاب الله عز وجل؟ فإنه أولى الأشياء أن يبتدأ به.

فقال الشافعي: عن أي كتاب من كتب الله تسألني يا أمير المؤمنين؟ فإن الله قد أنزل كتباً كثيرة. قال الرشيد قد أحسنت، لكن إنما سألت عن كتاب الله المنزل على ابن عمي محمد - صلى الله عليه وسلم -. فقال الشافعي: إن علوم القرآن كثيرة فهل تسألني عن محكمهِ ومتشابهه؟ أو عن تقديمه وتأخيره؟ أو عن ناسخه ومنسوخه؟ أو عن ... أو عن ... إلخ، وهذا ما يدل على أن قلوب أكابر العلماء كانت جامعة لعلوم القرآن من قبل أن تجمع في كتاب أو تدون في علم.

ويرى بعض الباحثين مثل الشيخ عبد العظيم الزرقاني - انظر كتابه مناهل العرفان في علوم القرآن ص 34-35 - أن اصطلاح (علوم القرآن) بالمعنى الجامع الشامل لم يبدأ ظهوره إلا بكتاب (البرهان في علوم القرآن) وهذا الكتاب هو أول كتاب في علوم القرآن وكان ذلك في القرن الخامس الهجري، توفي صاحبه علي بن إبراهيم بن سعيد المشهور بالحوفي سنة (430 هـ)، ويقع في ثلاثين مجلدا، حفظ منها (15) غير مرتبة ولا متعاقبة في نسخة محفوظة في دار الكتب بالقاهرة برقم (59) تفسير. فهذا أول كتاب عرف بهذا الاسم وكان ذلك في القرن الخامس الهجري.

فعلوم القرآن: جمع علم، والعلم: الفهم والإدراك ثم نقل بمعنى المسائل المختلفة المضبوطة ضبطاً علمياً.

والمراد بعلوم القرآن: العلم الذي يتناول البحوث المتعلقة بالقرآن من حيث معرفة أسباب النزول، وجمع القرآن وترتيبه، ومعرفة المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن.

تدريب (2)

ضع رمز (√) بجانب الجواب الصحيح.

إن اصطلاح علوم القرآن بالمعنى الجامع الشامل لم يبدأ ظهوره إلا بكتاب:

1- البرهان في علوم القرآن لعلي بن ابراهيم بن سعيد المشهور بالحوفي.

2- البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي.

3- الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي.

2.3 أهم مؤلفات علوم القرآن الكريم

ذكرنا أن الحوفي أول من دوَّن علوم القرآن، ثم تتابع العلماء من بعده حتى عصرنا هذا يكتبون في هذا الفن، ومن أهم من ألف في هذا ابن الجوزي المتوفي سنة (597) هجرية، وكتابه (فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن) وفي المكتبة التيمورية مخطوطة غير كاملة من فنون الأفنان برقم (222) تفسير. ثم جاء بدر الدين الزركشي المتوفى سنة (794) هجرية وألف كتاباً وافيا سماه (البرهان في علوم القرآن) نشره وحققه الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم في أربعة أجزاء ويباع في الأسواق.

ثم أضاف إليه بعض الزيادات جلال الدين البلقيني المتوفى سنة (824) هجرية في كتابه (مواقع العلوم من مواقع النجوم)، ثم ألف جلال الدين السيوطي المتوفى سنة (911) هجرية كتابه المشهور (الإتقان في علوم القرآن).

ولم يكن نصيب علوم القرآن من التأليف في هذا العصر أقلَّ من العلوم الأخرى، فقد أقبل كثير من العلماء على تصنيف الكتب حول القرآن وتاريخه وعلومه، واتجهوا اتجاها سديدا في معالجة الموضوعات القرآنية بأسلوب العصر، مثل كتاب (إعجاز القرآن) لمصطفى صادق الرافعي، وكتابَيْ (التصوير الفني في القرآن) و(مشاهد القيامة في القرآن) للشهيد سيد قطب، و(النبأ العظيم) للدكتور محمد عبد الله دراز، و(التبيان في علوم القرآن) للشيخ طاهر الجزائري، وألف الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني كتابه (مناهل العرفان في علوم القرآن)، وألف الشيخ مناع القطان كتابه (مباحث في علوم القرآن)، وهناك مؤلفات أخرى لا داعي لذكرها ألفت في علوم القرآن.

?

أسئلة التقويم الذاتي (2)

1- نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة رضي الله عنهم عن كتابة أي شيء غير القرآن. اذكر حديثا شريفا يدل على نهيه.

2- متى كان عصر التدوين؟ ومن أول عالم دوَّن، ولماذا؟

3- اذكر خمسة من العلماء الأجلاء الذين ألفّوا في علوم القرآن.

4- ما اسم أول كتاب ألف في علوم القرآن؟ ومن مؤلفه ومتى توفي؟

5- عرِّف علوم القرآن الكريم.

4. الوحي

أخي الدارس، أختي الدارسة: هذا هو القسم الثالث من هذه الوحدة، ونتحدث فيه عن موضوع الوحي: معناه، واستعمالاته، وصوره وكيفياته.

1.4 معنى الوحي

أولاً: الوحي في اللغة

قال الراغب الأصفهاني: «أصل الوحي: الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل: أمر وَحْي» (الأصفهاني، 1961: 858). وقال ابن فارس: «الواو والحاء والحرف المعتل: أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء أو غيره إلى غيرك. فالوحي: الإشارة، والوحي: الكتاب والرسالة، وكل ما ألقيته إلى غيرك حتى علمه فهو وحي. قال: وحى لها القرار فاستقرت. وكل ما في باب الوحي فراجع إلى هذا الأصل الذي ذكرناه. والوحي: السريع، والوحي: الصوت. والله أعلم». (معجم مقاييس اللغة: 93/6).

ثانياً: الوحي في الاصطلاح

يطلق الوحي ويراد به المعنى المصدري، ويطلق ويراد به المعنى الحاصل بالمصدر، ويطلق ويراد به الموحى به.

فهو بالاعتبار المصدري: إعلام الله أنبياءه بما يريد أن يبلغه إليهم من شرع أو كتاب بواسطة أو غير واسطة. فهو أخص من المعنى اللغوي لخصوص مصدره ومورده، فقد خص المصدر بالله سبحانه، وخص المورد بالأنبياء.

وهو بالاعتبار الحاصل بالمصدر: عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من عند الله سواء أكان الوحي بواسطة أم بغير واسطة.

وهو باعتبار الموحى به: ما أنزله الله على أنبيائه، وعرّفهم به من أنباء الغيب والشرائع والحكم، فمنهم من أعطاه كتاباً، ومنهم من لم يعطه.

2.4 استعمالات الوحي في القرآن الكريم

يقصد باستعمالات الوحي في القرآن:

المعاني التي جاء عليها الوحي في كتاب الله عز وجل.

وبالنظر في كتاب الله عز وجل وبالتأمل فيه يتبين لك - أخي الدارس، أختي الدارسة - أن الوحي في القرآن يقع على المعاني الآتية:

1. الإلهام الفطري للإنسان، كالوحي إلى أم موسى **(وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ)** (القصص: 7).
2. الإلهام الغريزي للحيوان، كالوحي إلى النحل **(وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ)** (النحل: 68).
3. الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء كإيحاء زكريا فيما حكاه القرآن عنه **(فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا)** (مريم: 11).
4. وسوسة الشيطان وتزيينه الشر في نفس الإنسان **(وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ)** (الأنعام: 121). **(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا)** (الأنعام: 112).
5. ما يلقيه الله إلى ملائكته من أمر ليفعلوه **(إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا)** (الأنفال: 12).

3.4 صور الوحي وكيفياته

أخي الدارس، أختي الدارسة، نظراً لخطورة هذا الموضوع وأهميته البالغة وكونه أساساً للدين كله فقد بين الله عز وجل في كتابه العزيز صور الوحي وكيفياته، فقال تعالى: **(وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ)** (الشورى: 51).

ففي هذه الآية ذكر الله عز وجل ثلاثة أوجه لتكليمه الرسل، وكيفية اتصاله بهم. دلَّ على الوجه الأول بقوله (إلا وحياً) ودلَّ على الوجه الثاني بقوله: (أو من وراء حجاب). ودلَّ على الوجه الثالث بقوله: (أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء).

فالأول والثاني بغير واسطة، وأما الثالث فإنه يجري بواسطة بين العبد وربه.

فمن صور الوجه الأول:

أ- الرؤيا الصالحة في المنام: فعن عائشة رضي الله عنها وأرضاها قالت: (أول ما بدئ به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح) (رواه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم). وكان ذلك تهيئة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى ينزل عليه الوحي يقظة، وليس في القرآن شيء من هذا النوع لأنه نزل جميعه يقظة.

ومن أمثلة الرؤيا الصالحة للأنبياء: رؤيا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام أنه يذبح ابنه، ففي التنزيل: **(فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (101) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)** (الصافات: 101-102). ومن أمثلتها رؤيا نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - في منامه أنهم سيدخلون المسجد الحرام، وقد كان ذلك، ففي التنزيل: **(لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ)** (الفتح: 27).

ب- الإلهام أو القذف في القلب: بأن يلقي الله أو الملك الموكل بالوحي في قلب نبيه ما يريد مع تيقنه أن ما ألقي إليه من قبل الله تعالى، وذلك مثل ما ورد في قوله صلى الله عليه وسلم: **(إن روح القدس نفث في رُوعي – بضم الراء: القلب والخاطر – أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب)** (مسند الشهاب برقم 1151، وشرح السنة للبغوي 304/14).

وأما **الوجه الثاني** لتكليم الله رسله الكرام، فهو ما يكون من وراء حجاب، إما في اليقظة وذلك مثل ما حدث لموسى عليه السلام حيث يقول تعالى: **(وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)** (النساء: 164). ومثل ما حدث لنبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - ليلة الإسراء والمعراج. وإمّا في المنام كما في حديث ابن عباس مرفوعاً: **(أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة. قال: أحسبه في المنام – فقال: يا محمد! هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى.... الحديث)**. (رواه الترمذي في كتاب التفسير برقم 3244).

والوجه الثالث للتكليم الإلهي: هو ما يكون بوساطة أمين الوحي جبريل عليه السلام،

وهو المشار إليه بقوله تعالى: (**أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ**).

وهذا الوحي يكون على كيفيات شتى: فتارة يظهر ملك الوحي في صورته الحقيقية الملكية، وهذا نادر قليل لم يحصل إلا مرتين كما ورد عن عائشة رضي الله عنها وأرضاها: مرة في الأرض، وهو نازل من غار حراء، ومرة أخرى في السماء عند سدرة المنتهي ليلة المعراج، وتارة يظهر ملك الوحي في صورة إنسان يراه الحاضرون ويستمعون إليه. وتارة يأتي الملك خفية فلا يرى، ولكن يصحب مجيئه صوت كصلصلة الجرس، أو دوي كدوي النحل.

وقد أشار القرآن الكريم إلى الكيفية الأولى بقوله تعالى: (**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (5) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (6) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (7) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (8) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (9) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (01) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (11) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (21) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (31) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (41) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى**) (النجم: 3-15).

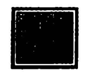
كما أشار الحديث إلى الكيفيتين الثانية والثالثة. **فعن عائشة رضي الله عنها وأرضاها أن الحارث بن هشام سأل النبي صلى الله عليه وسلم: كيف يأتيك الوحي؟ قال: أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليَّ، فيفصم عني-يقطع عني-، وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني، فأعي ما يقول، قالت عائشة رضي الله عنها: لقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإنَّ جبينه ليتفصد -يتصبب-عرقاً).** (رواه البخاري في كتاب بدء الوحي، 2/1).

والقرآن الكريم لم ينزل منه شيء إلا عن طريق جبريل عليه السلام، ولم يأت شيء منه عن تكليم أو إلهام أو منام، بل كله أُوحِيَ به في اليقظة وحيا جليا. ولا يخالف هذا ما ورد في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: «**بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة – نام نومة خفيفة - ثم رفع رأسه مبتسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ فقال: إنه نزل عليَّ آنفاً سورة فقرأ**

(**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (2) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**) (سورة الكوثر) (صحيح مسلم. كتاب الصلاة. باب حجة من قال البسملة آية من كل سورة سوى براءة).

إذ ليس المقصود بـ(الإغفاءة) في الحديث: النوم، وإنما المقصود: الحالة التي كانت تعتريه عند نزول الوحي، وهي الغيبوبة عما حوله.

وقد ذكر العلماء أنه كان يؤخذ عن الدنيا، وبهذا يفسر أيضاً ما ورد في بعض روايات هذا الحديث أنه أغمي عليه.



نشاط (2)

أخي الدارس، أختي الدارسة: ارجع إلى تفسير القرآن العظيم لابن كثير رحمه الله واقرأ منه تفسير الآية (51) من سورة الشورى.

5. نزول القرآن الكريم

لا شك أن هذا المبحث يعد من المباحث المهمة في علوم القرآن، بل هو أهم مباحثه جميعاً، لأن العلم بنزول القرآن أساس للإيمان بالقرآن، وأنه كلام الله، وأساس للتصديق بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن الإسلام حق. ثم هو أصل لسائر المباحث في علوم القرآن، فلا جرم أن يتصدرها؛ ليكون من تقريره وتحقيقه سبيل إلى تقريرها وتحقيقها.

1.5 كيفية نزول القرآن الكريم

شاءت إرادة الله وحكمته أن ينزل القرآن على نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- في ثلاثة وعشرين عاما، على خلاف الكتب السماوية السابقة من قبله التي نزلت جملة واحدة، كما اشتهر ذلك بين جمهور العلماء حتى يكاد يكون إجماعا.

وهكذا ظل الوحي ينزل حسب الحاجة يتدرج مع الأحداث والوقائع والمناسبات الفردية والاجتماعية التي تعاقبت في حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - خلال هذه المدة يهديه ويرشده ويثبته ويزيده اطمئنانا، ويتجاوب مع الصحابة رضوان الله عليهم يربيهم ويصلح عاداتهم، ويجيب أسئلتهم.

ولقد صرحت الآيات الكريمة بهذا التدرج والتنجيم، وجاء ذلك في معرض الرد على المشركين الذين اعترضوا على نزول القرآن مفرقا، فقد ألفوا أن تلقى القصيدة جملة واحدة وسمع بعضهم من اليهود أن التوراة نزلت جملة واحدة. فأخذوا يتساءلون عن نزول القرآن مُنجماً، وودوا لو نزل كله مرة واحدة فرد الله عليهم بقوله: **(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ**

عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (32) وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) (الفرقان: 32-33) وبقوله: (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلا) (الإسراء: 106).

وقد ذكر العلماء ثلاثة تنزيلات للقرآن الكريم، هي:

1.1.5 التنزيل الأول إلى اللوح المحفوظ

دليله قوله سبحانه: (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (21) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ) (البروج: 21-22) وكان هذا الوجود في اللوح بطريقة وفي وقت لا يعلمها إلا الله تعالى، ومن أطلعه على غيبه . وكان جملة لا مفرقاً. وللإيمان باللوح المحفوظ وبالكتابة فيه أثر صالح في استقامة المؤمن على الجادة، وتفانيه في طاعة الله ومرضاته وبعده عن سخطه ومعاصيه لاعتقاده أنها مسطورة عند الله في لوحه، مسجلة لديه في كتابه كما أخبر سبحانه في قوله تعالى: (وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ) (القمر: 53).

2.1.5 التنزيل الثاني للقرآن إلى بيت العزة في السماء الدنيا

الدليل عليه: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ) (الدخان: 3) و(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) (القدر: 1) وكذلك (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) (البقرة: 185) ولا تعارض بين هذه الآيات الثلاث؛ فالليلة المباركة هي ليلة القدر من شهر رمضان.

وقد جاءت الأخبار الصحيحة مبينة لمكان هذا النزول وأنه في بيت العزة من السماء الدنيا، كما تدل الروايات عن ابن عباس رضي الله عنه، وهي:

1- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة، ثم قرأ: (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) (الفرقان: 33) و(وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلا) (الإسراء: 106)، والحديث رواه الحاكم والبيهقي والنسائي.

2- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **(فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل يتنزل به على النبي صلى الله عليه وسلم)** (رواه الحاكم).

3- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **(أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا، وكان بمواقع النجوم، وكان الله ينزله على رسوله صلى الله عليه وسلم بعضه في إثر بعض)** (أخرجه الحاكم والبيهقي).

4- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **(أنزل القرآن في شهر رمضان إلى السماء الدنيا جملة واحدة، ثم أنزل نجوما)** (رواه الطبراني) قال الشيخ الزرقاني: «هذه أحاديث أربعة من جملة أحاديث ذكرت في هذا الباب، وكلها صحيحة كما قال السيوطي، وهي أحاديث موقوفة على ابن عباس، غير أن لها حكم المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، لما هو مقرر من أن قول الصحابي ما لا مجال للرأي فيه ولم يعرف بالأخذ عن الإسرائيليات، حكمه حكم المرفوع . ولا ريب أن نزول القرآن إلى بيت العزة من أنباء الغيب التي لا تعرف إلاّ من المعصوم، وابن عباس لم يعرف بالأخذ عن الإسرائيليات فثبت الاحتجاج بها» (الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ص 45).

3.1.5 التنزيل الثالث: نزوله بوساطة جبريل على قلب النبي صلى الله عليه وسلم

دليله قوله تعالى: **(نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)** (الشعراء: 193-195).

2.5 حكمة نزول القرآن الكريم منجماً

لتنجيم القرآن - أي لنزوله مفرقا على دفعات - فوائد وحكم كثيرة بعضها يتصل بشخص النبي صلى الله عليه وسلم، وبعضها يتصل بالمجتمع الإسلامي، وبعضها يتصل بالنص القرآني نفسه، نجملها فيما يلي:

1.2.5 الحكمة الأولى: تثبيت فؤاد النبي -صلى الله عليه وسلم- وتيسير حفظه عليه

لقد وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دعوته إلى الناس، فوجد منهم نفوراً وقسوة، وتصدى له قوم غلاظ الأكباد فطروا على الجفوة، وجبلوا على العناد، يتعرضون له

بصنوف الأذى والعنت، مع رغبته الصادقة في إبلاغهم الخير الذي يحمله إليهم، حتى قال الله فيه: (**فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آَثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا**) (الكهف: 6) فكان الوحي يتنزل على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فترة بعد فترة بما يثبت قلبه على الحق ويشحذ عزمه للمضي قدماً في طريق دعوته لا يبالي بما يلاقيه من الصعاب، فجاءت الآيات الكريمة تذكر من أنباء الرسل مع أقوالهم، وتتكرر بصور مختلفة وأساليب متنوعة من أجل أن تثبت قلبه، وعزاء له على ما يلقاه من أذى قومه فقال سبحانه: (**وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ**) (هود: 120) وما كان محمد صلى الله عليه وسلم بدعاً من الرسل، فهم جميعاً عذبوا واضطهدوا: (**حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ**) (البقرة: 214) وهكذا ما انفك القرآن يتجدد نزوله مهونا على الرسول الشدائد مسليا له مرة بعد مرة محببا له التأسي بمن قبله من الرسل، يأمره تارةً بالصبر والمصابرة فيقول سبحانه: (**وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلا**) (المزمل: 10) ويقـــول: (**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**) (الأحقاف: 35) وينهاه تارة أخرى عن الحزن بقوله: (**فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ**) (يس: 76)، ويعلمه أحياناً أن الكافرين لا يجرحون شخصه في نفسه ولا يتهمونه بالكذب في ذاته، وإنما يعاندون الحق بغيا من عند أنفسهم، كما في قوله تعالى: (**قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآَيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ**) (الأنعام: 33) كما كان يبشره تعالى بآيات المنعة والغلبة والنصر: (**وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**) (المائدة: 67) و(**كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**) (المجادلة: 21) و(**وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا**) (الأنعام: 34). وتكرار نزول هذه الآيات المسلية المعزية المرشدة إلى الصبر الجميل والأسوة الحسنة، هو الحكمة المقصودة من إيراد أنباء الرسل وقص قصصهم، وهكذا كانت آيات القرآن تتنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم تباعاً تسلية له وعزاء حتى لا يأخذ منه الحزن مأخذه، ولا يستبد به الأسى، ولا يجد اليأس إلى نفسه سبيلاً، فله في قصص الأنبياء أسوةٌ وفي مصير المكذبين سلوى، وفي العدة بالنصر بشرى، وكلما عرض له شيء من الحزن بمقتضى الطبع البشري تكررت التسلية فثبت قلبه على دعوته واطمأن إلى النصر.

وهذه الحكمة التي رد الله بها على اعتراض الكفار في تنجيم القرآن بقوله تعالى: (**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآَنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ**

تَرْتِيلًا (32) وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) (الفرقان: 32-33)

قال أبو شامة: « فإن قيل: ما السر في نزوله منجما ؟ وهلا أنزل كسائر الكتب جملة ؟ قلنا: هذا سؤال قد تولى الله جوابه فقال تعالى: (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) يعنون: كما أنزل على من قبله من الرسل، فأجابهم تعالى بقوله: (كذلك) أي أنزلناه مفرقاً (لنثبت به فؤادك) أي لنقوي به قلبك، فإن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى للقلب، وأشد عناية بالمرسل إليه، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه، وتجدد العهد به، وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز، فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة لقياه جبريل « (أبو شامة: هو عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، الفقيه الشافعي، له «الوجيز إلى علوم تتعلق بالقرآن العزيز»، و «شرح على الشاطبية المشهورة في القراءات»، توفي سنة (665) هجرية). وأما بالنسبة لتيسير حفظه على النبي صلى الله عليه وسلم المذكور في آية الفرقان (كذلك لنثبت به فؤادك) لا يراد منه إلا جمع القرآن حفظا في قلبه، فإنه عليه السلام كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، ففرق عليه ليبسر عليه حفظه، بخلاف غيره من الأنبياء، فإن كان كاتبا قارئاً فيمكنه حفظ الجميع إذا أنزل جملة (الإمام الزركشي، 1957، 231/1).

2.2.5 الحكمة الثانية: التدرج في تربية هذه الأمة الناشئة علماً وعملاً

ويتضمن هذا أموراً عديدة، هي:

1- تيسير حفظ القرآن وفهمه

لقد نزل القرآن على أمة أمية لا تعرف القراءة والكتابة، سجلها ذاكرة حافظة، ليس لها دراية بالكتابة والتدوين، قال تعالى: **(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)** (الجمعة: 2) فما كان لهذه الأمة الأمية أن تحفظ القرآن كله بيسر لو أنزل جملة واحدة، وأن تفهم معانيه، وتتدبر آياته، فكان نزوله مفرقاً خير عون لها على حفظه في صدرها وفهم آياته.

2- التمهيد لكمال تخليهم عن العقائد الباطلة، وعباداتهم الفاسدة وعاداتهم المرذولة، وذلك بأن يراضوا على هذا التخلي شيئاً فشيئاً، فكلما نجح الإسلام معهم في هدم باطل انتقل بهم إلى هدم آخر، وهكذا يبدأ بالأهم ثم المهم، وهم لا يشعرون بعنت ولا حرج، وكانت هذه سياسة

رشيدة لا بد منها في تربية هذه الأمة المجيدة.

3- **التمهيد لكمال تحليهم بالعقائد الحقة**، والعبادات الصحيحة والأخلاق الفاضلة، بمثل تلك السياسة الرشيدة السابقة.

4- **تثبيت قلوب المؤمنين وتسليحهم بعزيمة الصبر واليقين**

بسبب ما كان يقصه القرآن عليهم الفينة بعد الفينة، والحين بعد الحين من قصص الأنبياء والمرسلين، وما كان لهم ولأتباعهم من الأعداء والمخالفين، وما وعد الله عباده الصالحين من النصر والأجر والتأييد والتمكين.

3.2.5 الحكمة الثالثة: مسايرة الحوادث والطوارئ في تجددها وتفرقها

فكلما جد منهم جديد نزل من القرآن ما يناسبه، وفصل الله لهم من أحكامه ما يوافقه، وتضم هذه الحكمة ما يأتي:

1- **إجابة السائلين عن أسئلتهم عندما يوجهونها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم:** سواء أكانت لغرض التثبيت من رسالته كما قال تعالى في جواب سؤال أعدائه إياه (**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلا**) (الإسراء: 85) وقوله: (**وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا**) (الكهف: 83) أم كانت أسئلة لغرض التنور ومعرفة حكم الله كقوله تعالى: (**وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ**) (البقرة: 219) و(**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ**) (البقرة: 220).

2- **مجاراة الأقضية والوقائع في حينها**

ببيان حكم الله فيها عند حدوثها ووقوعها، ومعلوم أن تلك الأقضية والوقائع لم تقع جملة، بل وقعت تفصيلاً وتدريجاً مثل حادثة الإفك التي نزل فيها بضع عشرة آية كريمة وهي قوله تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (11) لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (12) لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (13)**

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (14) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (15) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (16) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (17) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (18) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (19) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (20) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (21) وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (22) إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (23) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (24) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (25) الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (النور: 11-26) وكذلك مفتتح سورة المجادلة: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (1) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (2) وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (3) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (المجادلة: 1-4)

وهذه نزلت في خولة بنت ثعلبة التي جاءت إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حينما ظاهرها زوجها فجادلته بأن معها صبية صغاراً إن ضمتهم إلى زوجها ضاعوا وإن ضمتهم إليها جاعوا.

3- لفت أنظار المسلمين إلى أخطائهم وإرشادهم إلى الصواب

وقد كانت هذه الأخطاء في أزمان مختلفة، فمن الحكمة أن يكون القرآن النازل في إصلاحها متكافئاً مع زمانها، ومثل ذلك ما وقع من بعض المسلمين من أخطاء في غزوة أحد فأرشدهم الله تعالى إلى مواضع أخطائهم، اقرأ إن شئت قوله تعالى: (**وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ**) (آل عمران: 121) إلى آيات كثيرة بعدها. وكذلك ما أصاب المسلمين في حنين من إعجاب واغترار بكثرتهم حتى قال رجل: لن نغلب من قلة، فتلقوا درساً قاسياً في ذلك ونزل قوله تعالى: (**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (52) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (62) ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**) (التوبة: 25-27).

4- كَشْفُ حال أعداء الله المنافقين

وهتك أستارهم وسرائرهم للنبي والمسلمين حتى يأخذوا منهم حذرهم فيأمنوا شرهم، وحتى يتوب من شاء منهم كما في قوله سبحانه: (**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (9) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (01) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (21) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (31) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (41) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (51) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (61) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (71) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (81) أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (91)**

يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (البقرة: 8-20) وهي ثلاث عشرة آية فضحت المنافقين، كما فضحتهم سورة التوبة في كثير من الآيات وكما كشف القرآن أستارهم في كثير من المناسبات.

ويمكن أن تندرج هذه الحكمة الثالثة بمضامينها الأربعة في قوله تعالى: (**وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**) (الفرقان: 33).

4.2.5 الحكمة الرابعة: الدلالة القاطعة على أن القرآن الكريم تنزيل من حكيم حميد

إن هذا القرآن الذي أنزل منجما على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أكثر من عشرين عاماً، تنزل الآية أو الآيات على فترات من الزمن يقرؤه الإنسان ويتلو سوره، فيجده محكم النسخ، دقيق السبك، مترابط المعاني، رصين الأسلوب، متناسق الآيات والسور، كأنه عقد فريد نظمت حباته بما لم يعهد له مثيل في كلام البشر: (**كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**) (هود: 1) ولو كان هذا القرآن من كلام البشر قيل في مناسبات متعددة ووقائع متتالية وأحداث متعاقبة، لوقع فيه التفكك والانفصام والتعارض وعدم الانسجام كما أخبر سبحانه في قوله: (**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**) (النساء: 82). فأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهي في ذروة الفصاحة والبلاغة بعد القرآن الكريم - لا تنتظم حباتها في كتاب واحد سلس العبارة يأخذ بعضه برقاب بعض في وحدة وترابط بمثل ما عليه القرآن الكريم، أو ما يدانيه اتساقاً وانسجاما. فكيف بكلام سائر البشر وأحاديثهم: (**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**) (الإسراء: 88).

3.5 أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم

يُعتَمَدُ في معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن على النقل الصحيح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ولا مجال للعقل فيه إلا بالترجيح بين الأدلة أو الجمع بينها فيما ظاهره التعارض منها.

وتأتي أهمية هذا العلم وفائدته في التمييز بين الناسخ والمنسوخ، فيما إذا وردت آيتان

أو آيات في موضوع واحد وكان الحكم في إحدى هذه الآيات يعارض الحكم في الأخرى، وكذلك في معرفة تاريخ التشريع الإسلامي، ومراقبة سيره التدريجي للوصول من وراء ذلك إلى حكمة الإسلام وسياسته في أخذه الناس بالهوادة والرفق والبعد عن الشدة والعنف فيما أمر به أو نَهى عنه، والفائدة الأخيرة، هي: إظهار مدى العناية التي أحيط بها القرآن الكريم حتى عرف منه أول ما نزل، وآخر ما نزل كما عرف مكيه ومدنيه إلى غير ذلك، ولا ريب أن هذا مظهر من مظاهر الثقة به ودليل على سلامته من التحريف.

وللعلماء في أول ما نزل من القرآن على الإطلاق وآخر ما نزل كذلك أقوال نجملها ونرجح بينها فيما يأتي:

1.3.5: أول ما نزل من القرآن الكريم

1. أصح الأقوال

إن أول ما نزل هو قوله تعالى: (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**) (العلق: 1-5) ويدل عليه ما رواه الشيخان وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أول ما بدىء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء فكان يأتي حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة - رضي الله عنها - فتزوده لمثلها حتى فجأه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فيه فقال اقرأ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: فقلت ما أنا بقارىء فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت ما أنا بقارىء، فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**) حتى بلغ (**مَا لَمْ يَعْلَمْ**) فرجع بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ترجف بوادره ....» الحديث.

2. وقيل إن أول ما نزل (يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ)

واستدلَّ أصحاب هذا الرأي بما رواه الشيخان عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: سألت جابر بن عبد الله أي القرآن أنزل قبل ؟ فقال: (يا أيها المدثر) فقلت: أو (اقرأ باسم ربك) وفي رواية أنبئت أنه (اقرأ باسم ربك الذي خلق) فقال: أحدثكم ما حدثنا به

رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إني جاورت بحراء فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت الوادي» وزاد في رواية «فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي، ثم نظرت إلى السماء فإذا هو - يعني جبريل - زاد في رواية: «جالس على عرش بين السماء والأرض، فأخذتني رجفة فأتيت خديجة فأمرتهم فدثروني فأنزل الله «يا أيها المدثر».

لكن هذه الرواية ليست نصاً فيما نحن بسببه من إثبات أول ما نزل من القرآن إطلاقاً، بل تحتمل أن تكون حديثا عما نزل بعد فترة الوحي، وذلك هو الظاهر من رواية أخرى رواها الشيخان أيضا عن أبي مسلمة عن جابر أيضا "فبينا أنا إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري قِبَلَ السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض فجئثت حتى هويت إلى الأرض، فجئت أهلي فقلت: زملوني فزملوني فأنزل الله تعالى: **(يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ (2) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ)** (المدثر: 1-5) فظاهر هذه الرواية يدل على أن جابراً قال ذلك باجتهاده فتقدم عليه رواية عائشة، ويكون أول ما نزل من القرآن على الاطلاق (اقرأ) وأول سورة نزلت كاملة أو أول ما نزل بعد فترة الوحي (يا أيها المدثر)، أو أول ما نزل للرسالة (يا أيها المدثر) وللنبوة (اقرأ).

3. وقيل إن أول ما نزل سورة الفاتحة

وقد استدل أصحاب هذا الرأي بما رواه البيهقي في الدلائل بسنده عن ميسرة بن شرحبيل أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لخديجة «إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء فقد والله خشيت على نفسي أن يكون هذا أمراً» قالت: معاذ الله ما كان الله ليفعل بك، إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث. فلما دخل أبو بكر ذكرت خديجة حديثه له وقالت: اذهب مع محمد إلى ورقة فانطلقا فقصا عليه فقال: «إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي يا محمد فأنطلق هاربا في الأفق» فقال: لا تفعل إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول. ثم ائتني فأخبرني. فلما خلا ناداه: يا محمد قل: (بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين) حتى بلغ (ولا الضالين). وهذا الحديث لا يصلح للاحتجاج به لأمرين:

1- إنه لا يفهم من هذه الرواية أن الفاتحة التي سمعها الرسول - صلى الله عليه وسلم - كانت في فجر النبوة أول عهده بالوحي الجلي، وهو في غار حراء، بل يفهم منها أن الفاتحة كانت بعد ذلك العهد، وبعد أن أتى الرسول إلى ورقة.

2- إن هذا الحديث مرسل سقط من سنده الصحابي، فلا يقوى على معارضة حديث عائشة السابق في بدء الوحي فبطل إذن هذا الرأي وثبت الأول، وإذا أردت المزيد في هذا فارجع إلى كتاب (مباحث في علوم القرآن) للشيخ مناع القطان ص (67، 68)

2.3.5 آخر ما نزل من القرآن الكريم

اختلف العلماء في تعيين آخر ما نزل من القرآن على الإطلاق، وقد وصلت إلى عشرة أقوال، وكلها ليس فيها شيء مرفوع إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فيجوز أن تكون هذه الأقوال ضرباً من الاجتهاد وغلبة الظن، وقد اعترض على أكثرها وَرُدَّ، ولم يسلم منها إلا قليل، وإليك بعضها، وأهمها:

1. **قيل آخر ما نزل هو قول الله تعالى: (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)** (البقرة: 281) أخرجه النسائي عن طريق عكرمة عن ابن عباس، وكذلك أخرج ابن أبي حاتم قال: آخر ما نزل من القرآن كله: (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله). وعاش النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد نزولها تسع ليال، ثم مات لليلتين خلتا من ربيع الأول.
2. **وقيل آخر ما نزل هو قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)** (البقرة: 278) أخرجه البخاري عن ابن عباس والبيهقي عن ابن عمر.
3. **وقيل إن آخر ما نزل آية الدّيْن، وهي: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ**

بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (البقرة: 282) وهي أطول آية في القرآن. أخرج ابن جرير عن سعيد بن المسيب: «أنه بلغه أن أحدث القرآن عهداً بالعرش آية الدين». ويمكن الجمع بين هذه الأقوال الثلاثة بما قاله الإمام السيوطي من أن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف، لأنها في قصة واحدة فأخبر كل عن بعض ما نزل بأنه آخرُ وذلك صحيح، والذي تستريح إليه النفس وتطمئن إليه أن آخر هذه الثلاثة نزولاً هو قول الله تعالى: (**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**) (البقرة: 281).

وذلك لأمرين:

أحدهما: ما تحمله هذه الآية في طياتها من الإشارة إلى ختام الوحي والدين، بسبب ما تحث إليه من الاستعداد ليوم المعاد وما تنوه به من الرجوع إلى الله، واستيفاء الجزاء العادل من غير غبن ولا ظلم، وذلك أنسب بالختام من غيرها.

ثانيهما: التنصيص في رواية ابن أبي حاتم السابقة على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - عاش بعد نزولها تسع ليال فقط ولم تظفر الآيات الأخرى بنص مثله.

4. وقيل آخر ما نزل آية الكلالة

فقد روى الشيخان عن البراء بن عازب قال: آخر آية نزلت: (**يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ**) (النساء: 176) وحملت الأخرية هنا في قول البراء على أنها مقيدة بما يتعلق بالمواريث.

5. وقيل إن آخر ما نزل هو سورة (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ)

رواه مسلم عن ابن عباس، ولكننا نستطيع أن نحمل هذا الخبر على أن هذه السورة آخر ما نزل مشعراً بوفاة النبي - صلى الله عليه وسلم -. ويؤيده ما روى من أنه - صلى الله عليه وسلم - قال حين نزلت: «نعيت إليّ نفسي» وكذلك فهم بعض كبار الصحابة كما ورد أن عمر رضي الله عنه بكى حين سمعها وقال: «الكمال دليل الزوال». ويحتمل أيضاً أنها آخر ما نزل من السور فقط ويدل عليه رواية ابن عباس: آخر سورة نزلت من القرآن جميعاً: (**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**) ونكتفي بهذا القدر، وإذا أردت الاطلاع على باقي هذه الأقوال فارجع إن شئت إلى كتاب (مناهل العرفان في علوم القرآن) للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني (انظر إلى كتابه المشار إليه ج1 ص 97-100).

تدريب (3)

ضع دائرة حول الجواب الصحيح.

من خلال دراستك لموضوع نزول القرآن، واطلاعك على مدى أهمية معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن فإن هذه الأهمية تكون فيما يأتي:

1- التمييز بين الناسخ والمنسوخ

2- معرفة تاريخ التشريع

3- إظهار مدى العناية التي أحيط بها القرآن حتى عرف منه أول ما نزل، وآخر ما نزل.

4- كل ما ذكر صحيح

4.5 أسباب النزول، معناها وفوائدها

جعل الله تبارك وتعالى لكل شيء سببا، كما جعل لكل شيء قدراً، ولا يقع حدث في هذا الوجود إلا إثر مقدمات وإرهاصات، ولا تتغير الأنفس إلاّ عقب سلسلة من التمهيد، وما ينبغي لعاقل أن يجهل أن من وراء الأحداث والوقائع أسباباً ودوافع . فهذا كتاب الله أنزل؛ ليهدي الإنسانية ويرشدها إلى الطريق المستقيم، ويقيم لها أسس الحياة الفاضلة التي تقوم دعامتها على الإيمان بالله ورسالاته ويقرر أحوال الماضي، ووقائع الحاضر، وأخبار المستقبل.

والقرآن الكريم قسمان: قسم أنزل من الله ابتداء غير مرتبط بسبب من الأسباب الخاصة، أهدافه عامة كهداية الخلق، ومن الأمثلة على ذلك قصص الأمم الغابرة مع أنبيائها، أو أخبار الغيب المستقبل أو تصوير قيام الساعة أو أحوال النعيم والعذاب، وهذا كثير ظاهر في كتاب الله لا يحتاج إلى بحث ولا إلى بيان.

وقسم نزل مرتبطاً بسبب من الأسباب الخاصة، وهو موضوع بحثنا، ويعد هذا القسم من أجلّ المواضيع وأهمها معرفة، إذ إن جهل الناس به كثيراً ما يوقعهم في اللبس والإبهام فيفهمون الآيات على غير وجهها، ولا يصيبون الحكمة الإلهية من تنزيلها، ولولا بيان سبب النزول لظل الناس إلى يومنا هذا يبيحون تناول المسكرات وشرب الخمور أخذاً بظاهر قوله تعالى في سورة المائدة: **(لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا)** (المائدة: 93) فقد حكي عن عثمان بن مظعون وعمرو بن معد يكرب أنهما كانا يقولان: الخمر مباحة، ويحتجان بهذه الآية، وخفي عليهما سبب نزولها، وما يمنع ذلك ما قاله الحسن وغيره:

لما نزل تحريم الخمر قالوا: كيف بإخواننا الذين ماتوا وهي في بطونهم، وقد أخبرنا الله أنها رجس فأنزل الله تعالى: **(لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا)** (المائدة: 93)، لولا بيان أسباب النزول لأباح الناس لأنفسهم التوجه في الصلاة إلى الناحية التي يرغبون، عملاً بالمتبادر من قوله تعالى: **(وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)** (البقرة: 115) ولكن الذي يطلع على سبب نزول الآية يستنتج أنها عالجت حال نفر من المؤمنين صلوا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في ليلة مظلمة فلم يدروا كيف القبلة، فصلى كل رجل منهم على حاله تبعا لاجتهاده، فلم يضع الله لأحد منهم عمله، وأثابه الرضى على صلاته، ولو لم يتوجه إلى الكعبة؛ لأنه لم يكن له سبيل إلى معرفة القبلة في ظلام الليل البهيم.

1.4.5 معنى سبب النزول

✗ سبب النزول: «هو ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال»، أو «هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه، أو مبينةً لحكمه أيام وقوعه».

والمعنى أن هناك حادثة وقعت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أو سؤال وجه إليه فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة، أو بجواب هذا السؤال سواء أكانت تلك الحادثة خصومة كالخلاف الذي شجر بين جماعة من الأوس وجماعة من الخزرج بدسيسة من أعداء الله اليهود حتى تنادوا: السلاح السلاح، ونزل بسببه آيات كريمة في سورة آل عمران، وهي قوله سبحانه: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ)** (آل عمران: 100) إلى آيات أخرى بعدها هي أروع ما ينفر من الانقسام والشقاق ويرغب في الوحدة والاتفاق، أم كانت تلك الحادثة خطأ فاحشاً ارتكب كالسكران الذي أمَّ الناس في الصلاة ثم قرأ بعد الفاتحة فقال: (قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون) وحذف لفظ (لا) من (لا أعبد) فنزلت الآية: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ)** (النساء: 43) أم كانت تلك الحادثة تمنياً من التمنيات، ورغبة من الرغبات كموافقات عمر - رضي الله عنه -، ومن أمثلتها ما أخرجه البخاري وغيره عن أنس رضي الله عنه قال: قال عمر: (وافقت ربي في ثلاث: قلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت: **(وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى)** (البقرة: 125) وقلت يا

رسول الله: إن نساءك يدخل عليهن البرُّ والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب، واجتمع على رسولِ الله -صلى الله عليه وسلم- نساؤه في الغِيْرة فقلت لهن: (**عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ ...**) (التحريم: 5).

وسواء أكان ذلك السؤال المرفوع للنبي - صلى الله عليه وسلم - يتصل بأمر مضى نحو قوله سبحانه: (**وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا...**) (الكهف: 83) أم يتصل بحاضر نحو قوله تعالى: (**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلا**) (الإسراء: 85) أم يتصل بمستقبل نحو قوله سبحانه: (**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا**) (النازعات: 42).

والمراد بـ (أيام وقوعه) الظروف التي ينزل القرآن فيها متحدثاً عن ذلك السبب سواء أوقع هذا النزول عقب سببه مباشرة أم تأخر عنه مدة لحكمة من الحكم، وذلك حين سئل الرسول عن الروح وأصحاب الكهف وذي القرنين، فقال - صلى الله عليه وسلم -: «غداً أخبركم» ولم يستثن (أي لم يقل: إن شاء الله)، فأبطأ عليه الوحي خمسة عشر يوما حتى شق عليه ذلك، ثم نزلت أجوبة تلك الأسئلة، وفي طيها يرشد الله تعالى رسوله إلى أدب الاستثناء بالمشيئة.

(**وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (23) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ**) (الكهف: 23-24).

ثم إن كلمة (أيام وقوعه) في تعريف سبب النزول قيد لا بد منه للاحتراز عن الآيات التي نزلت تتحدث عن الفروق الماضية ابتداءً من غير سبب.

ولا يعني هذا أن يلتمس الإنسان لكل آية سببا، فإن القرآن لم يكن نزوله وقفاً على الحوادث والوقائع، أو على السؤال والاستفسار، بل كان القرآن يتنزل ابتداء بعقائد الإيمان، وواجبات الإسلام، وشرائع الله في حياة الفرد والجماعة.

2.4.5 فوائد معرفة سبب النزول

زعم بعض الناس أن لا فائدة من الإلمام بأسباب النزول، وأنها لا تعدو أن تكون تاريخاً للنزول أو جارية مجرى التاريخ، وهذا زعم خاطىء فإن لأسباب النزول فوائد متعددة، أهمها:

1. **بيان الحكمة التي دعت إلى تشريع حكم من الأحكام**، وإدراك مراعاة الشرع للمصالح العامة في علاج الحوادث رحمة بالأمة، وفي ذلك نفع للمؤمن وغير المؤمن. أما المؤمن

فيزداد إيمانا على إيمانه، ويحرص كل الحرص على تنفيذ أحكام الله والعمل بكتابه، لما يتجلى من المصالح والمزايا التي نيطت بهذه الأحكام، ومن أجلها جاء هذا التنزيل، وأما الكافر فتسوقه تلك الحكم الباهرة إلى الإيمان إن كان منصفا حين يعلم أن هذا التشريع الإسلامي قام على رعاية مصالح الإنسان لا على الاستبداد والتحكم والطغيان وخير شاهد على ذلك تدرج الإسلام في تحريم الخمر.

2. معرفة سبب النزول خير لفهم معاني القرآن ودفع الإشكال عنها

وكشف الغموض الذي يكتنف بعض الآيات في تفسيرها ما لم يعرف سبب نزولها.

قال الواحدي: «لا يمكن معرفة تفسير آية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها»

وقال ابن دقيق العيد: «بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن»

وقال ابن تيمية: "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب" (انظر السيوطي - الإتقان في علوم القرآن ج28/1). ومن أمثلة ذلك: روي في الصحيح أن مروان بن الحكم أشكل عليه معنى قوله تعالى: (**لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**) (آل عمران: 188).

وقال: لئن كان كل امرىء فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذبن أجمعين، وبقي في إشكاله هذا حتى بين له ابن عباس أن الآية نزلت في أهل الكتاب حين سألهم النبي - صلى الله عليه وسلم - عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره، وأروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه أي طلبوا منه أن يحمدهم على ما فعلوا، وهنالك زال الإشكال عنه وفهم مراد الله من كلامه هذا، أو وعيده، ومثله آية: (**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ**) (البقرة: 158) فإن ظاهر الآية لا يقتضي أن السعي فرض، لأن رفع الجناح يفيد الإباحة لا الوجوب. وقد ردت عائشة على عروة بن الزبير في فهم الآية بما ورد في سبب نزولها وهو أن الصحابة تأثموا من السعي بينهما لأنه من عمل الجاهلية، حيث كان على الصفا إساف وعلى المروه نائلة، وهما صنمان، وكان أهل الجاهلية إذا سعوا مسحوهما: «عن عائشة أن عروة قال لها: أرأيتِ قول الله (**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ**

عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا) فما أرى على أحد جناح ألا يطوف بهما؟ فقالت عائشة: بئس ما قلت يا ابن أختي، إنها لو كانت على ما أوّلتَها كانت فلا جناح عليه ألا يطوف بهما ولكنها إنما أنزلت، إن الأنصار قبل أن يسلموا كانوا يهلون بمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها وكان من أهلّ لها يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة بالجاهلية، فأنزل الله **(إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ)** الآية، قالت عائشة: «ثم قد بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الطواف بهما فليس لأحد أن يدع الطواف بهما» (أخرجه الشيخان وغيرهما).

3. **معرفة من نزلت فيه الآية على التعيين حتى لا تحمل على غيره** بدافع الخصومة والتحامل فيتهم البريء ويبرىء المريب، ومثال ذلك: أنه لما أراد معاوية أن يستخلف يزيد وكتب إلى مروان بن الحكم - عامله على المدينة - بذلك، فجمع مروان الناس وخطبهم ودعاهم إلى بيعة يزيد فأبى عبد الرحمن بن أبي بكر أن يبايع فأراده مروان بسوء فقال: إن هذا الذي أنزل الله فيه **(وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي)** (الأحقاف: 17) فردت عليه عائشة – رضي الله عنها - وبينت له سبب نزولها فقالت: «ما أنزل فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذري» (أخرجه البخاري) وفي بعض الروايات قالت: «كذب مروان والله ما هو به ولو شئت أن أسمي الذي نزلت فيه لسميته» (أخرجه عبد بن حميد والنسائي وابن المنذر والحاكم وصححه).

4. **تخصيص الحكم بالسبب عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ** والجمهور يقول أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. فآيات الظهار في مفتتح سورة المجادلة سببها أن أوس بن الصامت ظاهر من زوجته خولة بنت حكيم بن ثعلبة، والحُكم الذي تضمنته هذه الآيات خاص بهما وحدهما - على هذا الرأي - أما غيرهما فيعلم بالقياس عليهما وبدهي أنه لا يمكن معرفة المقصود بهذا الحكم ولا القياس عليه إلا إذا علم السبب، وبدون معرفة السبب تصير الآية معطلة خالية من الفائدة.

5. **تيسير الحفظ وتسهيل الفهم وتثبيت الوحي** في ذهن كل من يسمع الآية إذا عرف سببها، وذلك لأن ربط الأسباب بالمسببات، والأحكام بالحوادث، والحوادث بالأشخاص والأزمنة

والأمكنة، كلُّ ذلك من دواعي تثبيت الأشياء وانتقاشها في الذهن وسهولة استذكارها عند استذكار مقارنتها في الفكر، وذلك هو قانون تداعي المعاني المقرر في علم النفس.

أسئلة التقويم الذاتي (3)

1- عرِّف الوحي لغة واصطلاحاً.
2- عدِّد المعاني التي يقع عليها (الوحي) في القرآن الكريم.
3- هل الرؤيا الصالحة من الوحي؟ وضح إجابتك.
4- ما الكيفيات التي يأتي عليها ملك الوحي جبريل عليه السلام؟
5- لماذا عُدَّ علم نزول القرآن أهم مباحث علوم القرآن ؟
6- اذكر مراحل تنزيل القرآن كما ذكر العلماء.
7- هناك حكم وفوائد عديدة لنزول القرآن منجماً على النبي - صلى الله عليه وسلم -. اذكر هذه الحكم باختصار شديد.
8- على أي شيء يُعتمد في معرفة أول ما نزل من القرآن، وآخر ما نزل منه ؟ وما فائدة هذا العلم؟
9- وردت أقوال عديدة في أول ما نزل من القرآن الكريم. اذكر هذه الأقوال، وناقش أدلتها وبين الراجح منها.
10- اذكر الأقوال الصحيحة في آخر ما نزل من القرآن الكريم، وهل يمكن الجمع بينها؟ وما الراجح منها؟
11- عرِّف سبب النزول، ثم وضح هذا التعريف واضرب أمثلة على ما تقول.
12- عدد فوائد أسباب النزول مع شرح موجز لكل فائدة.

6. المكي والمدني

مما هو معلوم أن الدعوة الإسلامية عاشت طورين متميزين واضحين، ومرحلتين متعاقبتين، المرحلة الأولى، هي: المرحلة المكية حيث القلة والضعف والشدة والإيذاء والكيد مع الأمر بالهجر الجميل والصفح وكف الأيدي... والصدع بالحق. والمرحلة الثانية: هي المرحلة المدنية... فكان الأمر بالقتال، وكان النصر وكان الكيد الداخلي الخفي المتمثل في النفاق، وكان الكيد الخارجي المتمثل في تأليب اليهود ومحاولات المشركين في القضاء على المسلمين، فالمسلمون في العهد المكي واجهوا أذى قوم يعبدون الأوثان ويشركون بالله، وينكرون الوحي، ويكذبون بيوم الدين، ألدّاء في الخصومة، وأهل مماراة ولجاجة في القول، فناسب أن يكون الوحي النازل فيهم قوارع زاجرة وشهباً منذرة، وحججاً قاطعة، يحطم وثنيتهم في العقيدة ويدعوهم إلى توحيد الألوهية والربوبية، ويُسفِّهُ أحلامهم ويقيم دلائل النبوة، ويضرب الأمثلة للحياة الآخرة وما فيها من جنة ونار، ويتحداهم - على فصاحتهم - أن يأتوا بمثل القرآن، ويسوق إليهم قصص المكذبين الغابرين عبرة وذكرى، أما حين تكونت الجماعة المؤمنة بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره نرى الآيات المدنية طويلة المقاطع تتناول أحكام الإسلام وحدوده وتدعو إلى الجهاد والاستشهاد في سبيل الله وتفصل أصول التشريع وتضع قواعد المجتمع، وتحدد روابط الأسرة، وصلات الأفراد، وعلاقات الدول والأمم، كما تفضح المنافقين وتكشف دخيلتهم وتجادل أهل الكتاب وترد عليهم. وكان هذا هو الطابع العام للقرآن المدني، ولا بد أن تعلم - أخي الدارس - أن العلماء اعتمدوا في معرفة المكي والمدني منهجين أساسيين، هما المنهج السماعي النقلي، والمنهج القياسي والاجتهادي. والمنهج السماعي النقلي يستند إلى الرواية الصحيحة عن الصحابة -رضوان الله عليهم- الذين عاصروا الوحي وشاهدوا نزوله أو عن التابعين الذين تلقوا عن الصحابة وسمعوا منهم كيفية النزول ومواقعه وأحداثه ومعظم ما ورد في المكي والمدني من هذا القبيل، والمنهج القياسي الاجتهادي يستند إلى خصائص المكي وخصائص المدني، فإذا ورد في السورة المكية آية تحمل طابع التنزيل المدني، أو تتضمن شيئاً من حوادثهِ قالوا: إنها مدنيَّة، وإذا ورد في السورة المدنية آية تحمل طابع التنزيل المكي أو تتضمن شيئاً من حوادثه قالوا: إنها مكية، وإذا وجد في السورة خصائص المدني قالوا: إنها مدنية، ولا شك أن السماعي يعتمد النقل، والقياسي يعتمد العقل، والنقل والعقل، هما طريقا المعرفة السليمة والتحقيق العلمي.

1.6 تعريف المكي والمدني

للعلماء في تعريف المكي والمدني ثلاثة آراء اصطلاحية، كل رأي منها بني على اعتبار خاص.

الرأي الأول: اعتبار زمن النزول: فالمكي ما نزل قبل الهجرة، وإن كان نزوله بغير مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بغير المدينة، فما نزل بعد الهجرة ولو بمكة أو عَرفة مدني كالذي نزل عام الفتح كقوله تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**) (النساء: 58) فإنها نزلت بمكة في جوف الكعبة عام الفتح الأعظم، أو نزل بحجة الوداع كقوله تعالى: (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**) (المائدة: 3) فهذه الآية مدنية مع أنها نزلت يوم الجمعة بعرفة في حجة الوداع، وهذا الرأي هو الأشهر، واعتمده العلماء لحصره واطراده.

الرأي الثاني: اعتبار مكان النزول: فالمكي ما نزل بمكة وما جاورها كمنى وعرفات والحديبية ولو بعد الهجرة، والمدني: ما نزل بالمدينة وما جاورها كأحد وقباء وسلع، وهذا التقسيم لوحظ فيه مكان النزول كما ترى، ويرد على هذا الرأي أنه غير ضابط ولا حاصر؛ لأنه لا يشمل ما نزل بغير مكة والمدينة وضواحيهما كقوله سبحانه في سورة التوبة: (**لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ**) (التوبة: 42) ... الآية فإنها نزلت بتبوك، وكذلك قوله سبحانه في سورة الزخرف: (**وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا**) (الزخرف: 45) إلخ فإنها نزلت ببيت المقدس ليلة الإسراء، فهذا الرأي إذن يغفل ويهمل ما نزل في الأسفار، أو تبوك، أو ببيت المقدس.

الرأي الثالث: اعتبار المخاطب، فالمكي: ما كان خطاباً لأهل مكة، والمدني: ما كان خطاباً لأهل المدينة، وعليه يحمل قول من قال: إن ما صدر في القرآن بلفظ (يا أيها الناس) فهو مكي، وما صدر فيه بلفظ (يا أيها الذين آمنوا) فهو مدني، لأن الكفر كان غالباً على أهل مكة فخوطبوا بهذا اللفظ، وإن كان غيرهم داخلاً فيهم. ولأن الإيمان كان غالباً على أهل المدينة فخوطبوا بهذا الخطاب، وإن كان غيرهم داخلاً فيهم أيضاً، وألحق بعضهم صيغة (يا بني آدم) بصيغة (يا أيها الناس)، وهذا الرأي يلاحظ عليه:

أنه غير ضابط ولا حاصر، فإن في القرآن ما نزل غير مصدَّر بأحدهما نحو قوله سبحانه في فاتحة سورة الأحزاب: (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ**) (الأحزاب: 1) إلخ ونحو قوله تعالى في فاتحة سورة المنافقين (**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ**) إلخ (المنافقون: 1).

تدريب (4)

ضع رمز (√) بجانب الجواب الصحيح.

أرجح الأقوال وأشهرها في تعريف المكي والمدني هي:

1- المكي: ما نزل بمكة وما جاورها ولو بعد الهجرة، والمدني: ما نزل بالمدينة وما جاورها.

2- المكي: ما نزل قبل الهجرة وإن كان نزوله بغير مكة.

والمدني: ما نزل بعد الهجرة وإن كان نزوله بغير المدينة.

3- المكي: ما كان خطاباً لأهل مكة.

المدني: ما كان خطاباً لأهل المدينة.

4- كل ما ذكر صحيح.

2.6 ضوابط المكي والمدني ومميزاتهما

قد عرفنا فيما سبق أن مرد العلم بالمكي والمدني، هو السماع عن طريق الصحابة والتابعين، بيد أن هناك علامات وضوابط ومميزات قياسية استنبطها العلماء بعد استقرار السور المكية والسور المدنية، وهي:

1.2.6 ضوابط المكي ومميزاته الموضوعية

1) كل سورة فيها سجدة فهي مكية.

2) كل سورة فيها لفظ (كلا) فهي مكية، ولم ترد إلا في النصف الأخير من القرآن. وقد ذكر هذا اللفظ في القرآن ثلاثاً وعشرين مرة في خمس عشرة سورة كلها في النصف الأخير من القرآن.

3) كل سورة فيها (يا أيها الناس) وليس فيها (يا أيها الذين آمنوا) فهي مكية إلا سورة الحج ففي أواخرها (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ**) ومع هذا فإن كثيراً من العلماء يرى أن هذه الآية مكية كذلك.

4) كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الغابرة فهي مكية سوى سورة البقرة.

5) كل سورة فيها قصة آدم وإبليس، فهي مكية سوى سورة البقرة كذلك.

6) كل سورة تفتح بحروف التهجي، مثل (الم) و(الر) و(حم) ونحو ذلك فهي مكية سوى الزهراوين - وهما البقرة وآل عمران - فإنهما مدنيتان بالإجماع، وفي الرعد خلاف.

هذا من ناحية الضوابط. أما من ناحية المميزات الموضوعية وخصائص الأسلوب فيمكن إجمالهما فيما يأتي:

1) الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله وحده وإثبات الرسالة، وإثبات البعث والجزاء، وذكر القيامة وأهوالها، والنار وعذابها، والجنة ونعيمها، ومجادلة المشركين بالبراهين العقلية والآيات الكونية.
2) وضع الأسس العامة للتشريع والفضائل الأخلاقية التي يقوم عليها كيان المجتمع، وفضح جرائم المشركين في سفك الدماء، وأكل أموال اليتامى ظلما، ووأد البنات، وما كانوا عليه من سوء العادات.
3) ذكر قصص الأنبياء والأمم السابقة زجراً لهم حتى يعتبروا بمصير المكذبين قبلهم، وتسلية للرسول - صلى الله عليه وسلم - حتى يصبر على أذاهم ويطمئن على الانتصار عليهم.
4) قصر الفواصل مع قوة الألفاظ، وإيجاز العبارة، لأنهم كانوا أهل فصاحة، صناعتهم الكلام وهمتهم البيان، فيناسبهم الإيجاز والإقلال من دون الإسهاب والإطناب، وتأكيد المعنى بكثرة القسم.

2.2.6 ضوابط المدني ومميزاته الموضوعية

1) كل سورة فيها فريضة أو حدّ فهي مدنية.
2) كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية سوى العنكبوت فإنها مكية.
3) كل سورة فيها مجادلة أهل الكتاب فهي مدنية.

هذا من ناحية الضوابط، أما من ناحية المميزات الموضوعية وخصائص الأسلوب فيمكن إجمالها فيما يأتي:

1) بيان العبادات والمعاملات والحدود ونظام الأسرة، والمواريث وفضيلة الجهاد، والصلات الاجتماعية، والعلاقات الدولية في السلم والحرب، وقواعد الحكم ومسائل التشريع.
2) مخاطبة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ودعوتهم إلى الإسلام وبيان تحريفهم لكتب الله

وعدم غلوهم في دينهم وتجنيهم على الحق، واختلافهم من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم.

3) الكشف عن سلوك المنافقين، وتحليل نفسيتهم وبيان خطرهم على الدين.

4) طول المقاطع والآيات في أسلوب يقرر الشريعة ويوضح أهدافها ومراميها.

3.6 فوائد العلم بالمكي والمدني

للعلم بالمكي والمدني فوائد، أهمها:

1.3.6 الاستعانة به في تفسير القرآن الكريم

إن معرفة مواقع النزول تساعد على فهم الآية وتفسيرها تفسيراً صحيحاً، ويستطيع المفسر في ضوء ذلك عند تعارض المعنى في آيتين أن يميز بين الناسخ والمنسوخ فإن المتأخر يكون ناسخاً للمتقدم.

2.3.6 تذوق أساليب القرآن والاستفادة منها في أسلوب الدعوة إلى الله

إن لكل مقام مقالاً، ومراعاة مقتضى الحال من أخص معاني البلاغة، وخصائص كلٍّ من أسلوب المكي والمدني تعطي الدارس منهجاً لطرائف الخطاب في الدعوة إلى الله بما يلائم نفسية المخاطب، ويمتلك عليه لبّه ومشاعره، ويعالج فيه دخيلته بالحكمة البالغة، ولكل مرحلة من مراحل الدعوة موضوعها وأساليب الخطاب فيها كما يختلف الخطاب باختلاف أنماط الناس ومعتقداتهم وأحوال بيئتهم، ويبدو هذا واضحاً جليا في الأساليب المختلفة في مخاطبة المؤمنين والمشركين والمنافقين وأهل الكتاب.

3.3.6 الوقوف على السيرة النبوية من خلال الآيات القرآنية

إن تتابع الوحي على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ساير تاريخ الدعوة بأحداثها في العهد المكي والعهد المدني منذ بدء الوحي حتى آخر آية نزلت، والقرآن الكريم هو المرجع الأصيل لهذه السيرة الذي لا يدع مجالا للشك فيما روي عن أهل السيرة موافقاً له، ويقطع دابر الخلاف عند اختلاف الروايات.

4.3.6 الثقة بهذا القرآن وبوصوله إلينا سالماً من التغيير والتحريف

يدل على ذلك اهتمام المسلمين به كل هذا الاهتمام حتى أنهم يعرفون ويتناقلون ما نزل فيه قبل الهجرة وما نزل بعدها، وما نزل بالحضر، وما نزل بالسفر، وما نزل بالنهار، وما نزل بالليل، وما نزل بالسماء إلى غير ذلك، فلا يعقل بعد هذا أن يسكتوا ويتركوا أحداً يمسه ويعبث به، وهم المتحمسون لحراسته وحمايته والإحاطة بكل ما يتصل به.

5.3.6 معرفة تاريخ التشريع وتدريجه الحكيم

يترتب على هذا الإيمان بسمو السياسة الإسلامية في تربية الشعوب والأفراد.

?

أسئلة التقويم الذاتي (4)

1- هناك طريقان لمعرفة المكي والمدني اعتمدهما العلماء، بيِّنْهما.

2- اذكر أقوال العلماء في تعريف المكي والمدني، وبين القول الراجح منها، ولماذا ؟

3- عدد فوائد العلم بالمكي والمدني.

4- مِّيز المكي من المدني فيما يأتي من قوله تعالى: **(كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (20) وَتَذَرُونَ الْآَخِرَةَ)** (القيامة: 20-21).

(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) (البقرة: 34).

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (النساء: 1).

(وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) (النحل: 51).

(وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى) (النجم: 1-2).

(الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (النور: 2)

(الم (1) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (2) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ) (آل عمران: 1-3).

7. الخلاصة

لقد استعرضنا معك - أخي الدارس، أختي الدارسة - في هذه الوحدة من مقرر علوم القرآن موضوع القرآن ونزوله، حيث جرى تعريف القرآن الكريم لغة واصطلاحاً، إضافة إلى إظهار الفرق بينه وبين الحديث القدسي، والحديث النبوي الشريف، كما استعرضنا بالتفصيل مفهوم علوم القرآن ونشأتها وتطورها وأهم مؤلفاتها. ثم انطلقنا معك - عزيزي الدارس - إلى توضيح مفهوم الوحي واستعمالاته في القرآن، وصوره وكيفياته، كما وضحنا كيفية نزول القرآن، والحكمة من نزوله منجماً، ثم تعرفنا بعد ذلك إلى أول وآخر ما نزل من القرآن الكريم، كما تعرفنا إلى أسباب النزول: معناها وفوائدها. وفي القسم الأخير من الوحدة استعرضنا معك - أخي الدارس - القرآن المكي والمدني، وضوابط كل منهما ومميزاته، وفائدة العلم بالمكي والمدني لفهم معاني القرآن وأحكامه، وكانت غايتنا فيما أعددنا إثراء معارفك للقرآن معجزة النبي صلى الله عليه وسلم.

8. لمحة عن الوحدة الدراسية الثانية

بعد أن تعرفت - عزيزي الدارس - علوم القرآن من حيث مفهومها ونشأتها، وكيفية نزول القرآن الكريم، ومعرفة أسباب النزول، وتعرفت المكي والمدني في القرآن، سنواصل معك - بإذن الله - في الوحدة الثانية تعريف جمع القرآن وتدوينه في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وفي عهد الخلفاء الراشدين، كما سنعرفك - أخي الدارس- مفهوم السور والآيات وترتيبها، ومفهوم المصحف العثماني من حيث معناه وقواعده وفوائده والمؤلفات فيه. كما سنحدثك عن ترجمة القرآن وأقسامها وحكمها، ثم ننطلق بك أخيراً إلى الحديث عن أطلس القرآن، وذلك من خلال التعريف بالأماكن التي أشار إليها القرآن، والأقوام الذين تحدث عنهم.

9. إجابات التدريبات

تدريب (1)

ج- ما كان معناه من عند الله تعالى، ولفظه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم.

تدريب (2)

1- البرهان في علوم القرآن لعلي بن إبراهيم بن سعيد المشهور بالحوفي.

تدريب (3)

4- كل ما ذكر صحيح.

تدريب (4)

2- المكي: ما نزل قبل الهجرة، وإن كان نزوله بغير مكة.

المدني: ما نزل بعد الهجرة، وإن كان نزوله بغير المدينة.

10. مسرد المصطلحات

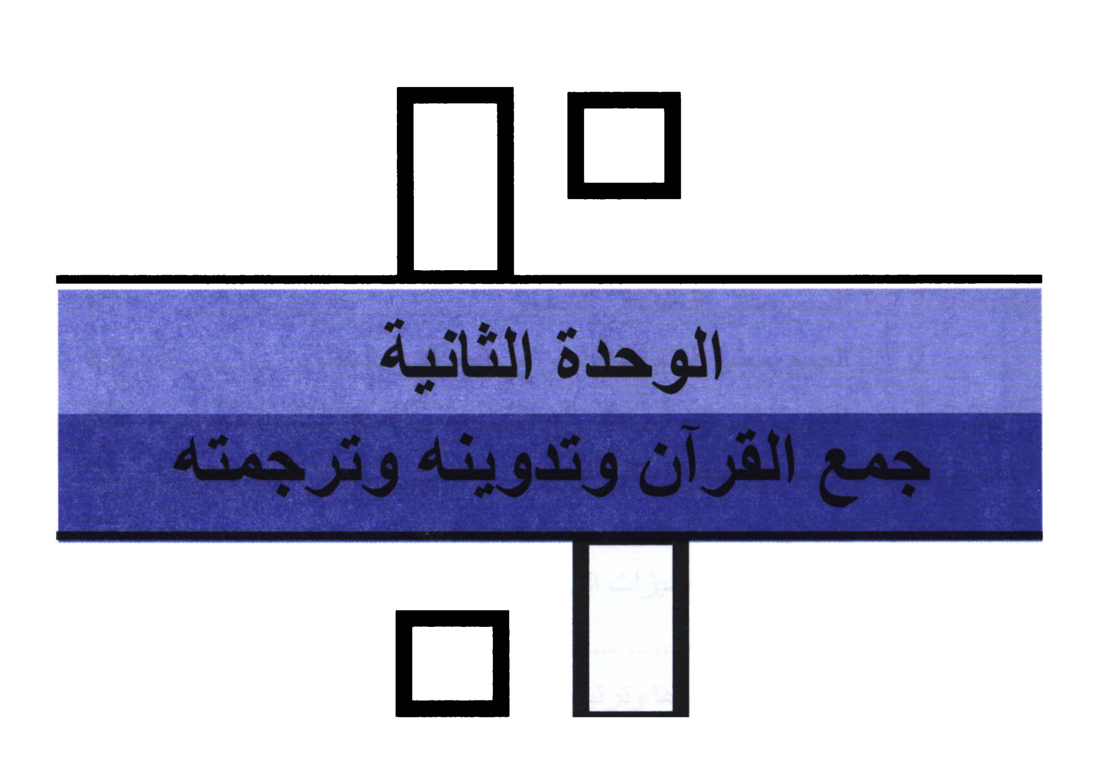
- **التابعي:** هو من لقي واحداً من الصحابة فأكثر، وإن لم يصحبه.
- **التنجيم:** هو نزول القرآن مفرقاً على دفعات على قلب النبي صلى الله عليه وسلم.
- **الحديث القدسي:** هو ما يضيفه النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى الله تعالى، أي أن النبي - صلى الله عليه وسلم، يرويه على أنه من كلام الله تعالى، فالرسول راوٍ لكلام الله بلفظ من عنده.
- **الحديث المرسل:** هو ما رفعه التابعي إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - من قول أو فعل أو تقرير، صغيراً كان التابعي أو كبيراً.
- **الحديث النبوي:** ما أضيف إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - من قول أو فعل أو تقرير أو صفة.
- **الخاص:** هو كل لفظ وضع لمعنى معلوم على الانفراد.

- **خبر الآحاد:** هو ما رواه الواحد أو الاثنان فأكثر بما لم تتوافر فيه شروط المتواتر، ولا عبرة للعدد فيه بعد ذلك.
- **سبب النزول:** هو ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال.
- **الصحابي:** هو كل مسلم رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومات على الإسلام.
- **ظني الثبوت:** ما كان ثابتاً برواية واحد أو جمع لم يبلغوا حد التواتر.
- **العام:** هو ما وضع وضعاً واحداً لكثير غير مخصوص.
- **علوم القرآن:** العلم الذي يتناول البحوث المتعلقة بالقرآن من حيث معرفة أسباب النزول، وجمع القرآن وترتيبه، ومعرفة المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن.
- **قطعي الثبوت:** ما كان مقطوعاً بثبوته وحصوله لأنه نقل بالتواتر.
- **الكلالة:** هو من لا ولد له ولا والد.
- **المتعبد بتلاوته:** من خصائص القرآن التي تجعل تلاوته وقراءته عبادة خاصة يثاب عليها المرء ثواباً خاصاً.
- **المتواتر:** ما رواه جمع عن جمع يستحيل تواطؤهم على الكذب من أول السند إلى منتهاه.
- **المدني:** ما نزل بعد الهجرة، وإن كان نزوله بغير المدينة.
- **المكي:** ما نزل قبل الهجرة، وإن كان نزوله بغير مكة.



11. المراجع

1. أبو شهبة، محمد بن محمد، 1412هـ-1992م، **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، الطبعة الأولى، مكتبة السنة.
2. الأصفهاني، أبو القاسم، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، 1961م، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: محمد سيد كيلاني، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة.
3. دراز، محمد عبد الله، **النبأ العظيم**، بدون طبعة ولا تاريخ.
4. زرزور، عدنان، 1984م، **علوم القرآن**، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي.
5. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، 1957م، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية.
6. الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
7. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن الشافعي، **الإتقان في علوم القرآن**، المكتب الثقافي، بيروت، لبنان.
8. الصالح، صبحي، 1990م، **مباحث في علوم القرآن**، الطبعة السابعة عشر، دار العلم للملايين، بيروت.
9. عبد العزيز، أمير، 1403هـ-1983م، **دراسات في علوم القرآن**، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة ودار الفرقان.
10. القطان، مناع، **مباحث في علوم القرآن**، مؤسسة الرسالة.


الوحدة الثانية
جمع القرآن وتدوينه وترجمته

محتويات الوحدة

1. المقدمة

1.1 تمهيد

أخي الدارس - أختي الدارسة - السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد.

فهذه هي الوحدة الثانية من مقرر علوم القرآن في تخصص التربية الإسلامية.

أما موضوع هذه الوحدة فهو جمع القرآن وتدوينه وترجمته وأطلسه، وقد اعتمدنا في مادتها على القرآن الكريم، والمصادر المعتمدة في علومه وتفسيره مثل كتب: البرهان في علوم القرآن للزركشي، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ومناهل العرفان للزرقاني، وتفسير الإمام القرطبي والألوسي وغيرها، ثم المصادر الأصيلة في الحديث وشرحه مثل صحيح البخاري، وفتح الباري لابن حجر العسقلاني، وصحيح مسلم للإمام مسلم، وغيرهما من كتب الصحاح.

وكنا حريصين أن نسجل إضافات ذات أهمية في هذا المجال لكتاب وباحثين كانت لهم دراسات واسعة، وبحوث قيمة خدمت النص القرآني في جوانب متعددة.

وقد بلغ بنا الحرص أيضا أن ندون المحصلة النهائية لهذا البحث أو لهذه الوحدة - وهي سلامة النص القرآني من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان... على الرغم من المحاولات المستمرة والمعارك العنيفة الثقافية منها والحضارية التي حاولت النيل من هذا النص الخالد المحفوظ تحقيقاً لوعده تعالى: (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**) (الحجر: 9).

وفي ضوء هذه الحقيقة نستطيع القول: إن القرآن الذي بين أيدينا هو عين الذي نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو ذات النسخة المتداولة بين أيدي الملايين من المسلمين في مختلف أرجاء المعمورة.

2.1 أهداف الوحدة

عزيزي الدارس: بعد فراغك من قراءة هذه الوحدة أرجو أن تكون قادراً على أن:

1- تحدّد أهمية تدوين القرآن الكريم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

2- تشرح دوافع جمع القرآن في عهد أبي بكر، وعهد عثمان رضي الله عنهما.

3- توضح حكم ترتيب سور القرآن الكريم، وترتيب آياته في سور المصحف الشريف.

4- توضح معنى الرسم العثماني وقواعده وفوائده ودواعي نقط المصحف وشكله، وتجزئته وتحزيبه.

5- تبين حكم ترجمة القرآن الكريم وفوائدها وأقسامها، وما يجوز فيها وما لا يجوز منها.

6- تتعرف الأماكن التي تحدث عنها القرآن الكريم أو أشار إليها.

7- تتعرف الأمم والشعوب والقبائل والجماعات التي تحدث عنها القرآن أو أشار إليها.

3.1 أقسام الوحدة

هذه الوحدة تتكون من خمسة أقسام ترتبط بقائمة الأهداف سابقة الذكر على النحو الآتي:

القسم الأول: "جمع القرآن"، ويحقق الهدفين الأول والثاني.

القسم الثاني: "السور والآيات: معانيها وأسماؤها وترتيبها" ويحقق الهدف الثالث.

القسم الثالث: "المصحف العثماني" ويحقق الهدف الرابع.

القسم الرابع: "ترجمة القرآن الكريم" ويحقق الهدف الخامس.

القسم الخامس: "أطلس القرآن (أماكن وأقوام)" ويحقق الهدفين السادس والسابع.

4.1 القراءات المساعدة

عزيزي الدارس، يمكنك الانتفاع بالقراءات التالية؛ نظراً لاتصالها المباشر بموضوع هذه الوحدة، ولا ريب أن انتفاعك بها سيعمق فهمك، واستيعابك للموضوع ويوسع مداركك وآفاقك فيه.

1- أبو خليل، شوقي، 1423هـ، **أطلس القرآن (أماكن. أقوام. أعلام)**، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق.

2- الزرقاني، عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ط 3، عيسى البابي الحلبي، (عوامل حفظ الصحابة للكتاب والسنة، الجزء الأول ص 282–331).

3- أبو زهرة، محمد، **القرآن المعجزة الكبرى**، دار الفكر العربي، القاهرة، (ترجمة القرآن 527-530).

4- أبو شهبة، محمد، 1987م-1407 هـ، **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، دار اللواء، الرياض.

(أ- كتابة القرآن ورسمه 335 – 387).

(ب- العوامل المساعدة على حفظ القرآن 403 – 434).

5- دراز، محمد عبد الله، 1980، **مدخل إلى القرآن الكريم**، دار القلم، الكويت، (جمع نص التنزيل 33–51).

5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة

1- الكتاب المقرر لمادة المساق.

2- أشرطة مسجلة، مرئية مسموعة، أو مسموعة لتعليم القرآن الكريم: تلاوة، وتفسيراً، وفقهاً، بلغته، أو مترجماً.

2. جمع القرآن

1.2 تمهيد

جمع القرآن: يطلق الجمع ويراد به الحفظ والاستظهار في الصدور، ويطلق لفظ جمع القرآن – أيضاً - ويراد به كتابة القرآن وتدوينه في السطور والصحف.

ولقد تحقق هذا الجمع - أعني الثاني - في ثلاثة عهود - عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي عهد أبي بكر، وفي عهد عثمان - وسنتحدث عن الجمع في هذه العهود الثلاثة، وما تفرد به كل عهد من أسباب الجمع ومسوغاته وما تميز به من منهج وخصائص.

2.2 الجمع في عهد النبي صلى الله عليه وسلم

1.2.2 الجمع بمعنى الحفظ في الصدور

أ- حفظ الرسول صلى الله عليه وسلم

لقد أوحى الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بوساطة جبريل، فتلقفه بعناية فائقة وحرص شديد ملك عليه قلبه وجوارحه، حتى كان شغله الشاغل في جميع أحواله، وأحايينه، يحرك لسانه بقراءته، ويتعجل حفظه واستظهاره، وما زال كذلك حتى طمأنه ربه ووعده أن يحفظه له في صدره، وأن ييسر له قراءته وفهم مراده ومعناه. قال تعالى: **(لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ)** (القيامة: 16–19)، وقال في موضوع آخر **(وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا)** (طه: 114).

وهكذا تنزل جبريل عليه السلام بالقرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن السؤال الذي ينهض هاهنا كيف تلقى الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم - القرآن الكريم من الوحي؟ وللإجابة عن هذا التساؤل نقول:

كان جبريل عليه السلام يعلم الرسول - صلى الله عليه وسلم - القرآن الكريم ويُقرِئُه، فيقرأ جبريل عليه أولاً، ثم يقرأ الرسول مثلما قرأ جبريل عليه، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما قرأ...

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما «كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما

قرأه. (ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري 29/1). وفي رواية لابن عباس أيضاً «وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان يدارسه القرآن» (المصدر السابق، 30/1). والمدارسة: المفاعلة والمشاركة، وتقتضي أن يقرأ كل منهما على الآخر، وذلك بغية التثبت من الحفظ والتمكن من الاستظهار، وهو ما وعد الله به رسوله - صلى الله عليه وسلم - حتى لا يضيع شيء منه، ويتأكد هذا بأن جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن في كل عام مرة وعارضه إياه في العام الأخير من حياته - صلى الله عليه وسلم - مرتين.

روى الإمام البخاري عن عائشة وفاطمة رضي الله عنهما «أسر إليَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- أن جبريل كان يعارضه القرآن كل سنة، وإنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي» (المصدر السابق 30/9). وعن أبي هريرة رضي الله عنه «كان يعرض على النبي - صلى الله عليه وسلم - القرآن كل عام مرة فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه» (المصدر السابق: 30/9).

ومما تقدم يمكن أن نقف على أمرين مهمين:

الأول: أن جبريل تلقى القرآن من لدن حكيم خبير، ثم لقنه محمداً -صلى الله عليه وسلم- كما يتلقن التلميذ عن أستاذه، ولم يكن له فيه من عمل بعد ذلك إلا الوعي والحفظ والحكاية والتبليغ، ثم البيان والتفسير، ثم التطبيق والتنفيذ.

أما ابتكار معانيه وصياغة مبانيه فما هو منها بسبيل، وليس له من أمرهما شيء إن هو إلا وحي يوحى (دراز، النبأ العظيم، ص20).

الثاني: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان سيد الحفاظ وأولهم، ومرجع المسلمين في كل ما يعنيهم من أمر القرآن تلاوة وحفظاً وبياناً وتفسيراً.

ب- حفظ الصحابة رضوان الله عليهم للقرآن الكريم

لقد عكف الصحابة رضوان الله عليهم على حفظ القرآن الكريم واستظهاره، فكانوا يهجرون نومهم وراحتهم من أجل حفظه وتلاوته، حتى كان يسمع لبيوتهم في غسق الليل دوي كدوي النحل، بل إن منازلهم عرفت وميزت من سماع تلاوتهم للقرآن.

روى الشيخان عن أبي موسى الأشعري: قال النبي -صلى الله عليه وسلم- «**إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم**

بالقرآن بالليل، إن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار» (اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ص 678).

وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يذكي فيهم روح العناية بالتنزيل ويحثهم على مدراسته وحفظه، حتى إنه كان يبعث من كان بعيداً عنهم من يعلمهم القرآن ويقرئهم، فقد بعث مصعب بن عمير وابن أم مكتوم إلى المدينة قبل الهجرة يُقرِئان الناس القرآن، وبجهودهما ما بقي بيت في المدينة - قبل الهجرة - إلا ودخله القرآن (ابن سعد: الطبقات 118/3).

وقال عبادة بن الصامت رضي الله عنه «كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي إلى رجل منا يعلمه القرآن، وكان يسمع لمسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ضجة بتلاوة القرآن حتى أمرهم رسول الله أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا» (الزرقاني، مناهل العرفان 234/1).

لهذا كله كان حفاظ القرآن من الصحابة كثيرين، منهم الخلفاء الأربعة، وابن مسعود وابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وسعد وطلحة وحذيفة بن اليمان وخلق كثير من المهاجرين.

ويكفي للدلالة على كثرة الحفاظ من الصحابة أن قتل منهم يوم بئر معونة سبعون، ومثلهم قتل يوم اليمامة إن لم يكن أكثر (ابن حجر / فتح الباري).

وحفظ القرآن من الأنصار في حياته - صلى الله عليه وسلم - كثير منهم أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وزيد بن ثابت، وأبو الدرداء، وأنس بن مالك، وأبو أيوب الأنصاري، وغيرهم.

ويؤخذ من هذا أن حفظ الصحابة للقرآن بهذه الأعداد الكبيرة إنما يمثل لونا من ألوان التوثيق، إلى جانب أن بعضهم كان يقرأ، أو يعرض ما يحفظهِ على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقد أخرج البخاري من حديث ابن مسعود قال: «قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: اقرأ علي، قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل، قال: فإني أحب أن أسمعه من غيري، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت **(فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا)** (النساء: 41) قال أمسك، فإذا عيناه تذرفان» (المصدر السابق 250/8 وانظر، زرزور، علوم القرآن، ص 85).

نشاط (1)

1. ارجع – عزيزي الدارس - إلى كتاب «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» وقف على الأحاديث التي توضح مدى عناية الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه بحفظ القرآن الكريم.
2. عد إلى سورة القيامة في القرآن الكريم واحفظ الآية الدالة على وعد الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بحفظ القرآن في صدره.

أخي الدارس، أرأيت مدى عناية الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وصحابته الكرام بحفظ القرآن والاشتغال به بغية ألا يضيع أو ينسى، فهل لنا أن نقتدي بالرسول - صلى الله عليه وسلم - ثم بصحابته نتأسى بهم فنفرغ وقتا لعبادة الله عن طريق القرآن - نحفظ آياته ونتدبر معانيه ونقف على مقاصده ونتعرف أحكامه - إذ هو عنوان وجودنا وأصل استمرار بقائنا، بل هو دستورنا ونظام حياتنا، تقوم عليه ثقافتنا وحضارتنا؟ إننا مأمورون بذلك لا خيار لنا باعتبار أننا مسلمون اتخذنا الإسلام عقيدة ودستوراً ونظام حياة.

قال تعالى: **(فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ)** (المزمل: 20)، وقال أيضاً **(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)** (النساء: 82).

رد شبهة: وعلى الرغم من تلك العناية الفائقة المتمثلة في القرآن تلاوة وحفظاً من قبل أعداد كبيرة من الصحابة رضوان الله عليهم فقد زعم أعداء الإسلام أن الحفاظ من الصحابة لم يتجاوز عددهم الأربعة فقط وتمسكوا بحديث رواه البخاري وغيره متوهمين أنهم عثروا على ضالتهم!! بيد أن علماءنا ردوا عليهم ودحضوا افتراءهم.

أما الحديث: فيما أخرجه البخاري عن أنس بن مالك قال: «مات النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد» (ابن حجر، فتح الباري، 47/9).

وقد توهم أولئك أن الحصر في هذا الحديث إنما هو حصر حقيقي، وهذا مردود بما يلي:

1- إن الحصر نسبي لا حقيقي - والدليل على ذلك أن أنساً نفسه سأل قتادة عمن جمع القرآن على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: «أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن

كعب ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت وأبو زيد»، فقد ذكر في هذه الرواية أبي بن كعب بدلاً من أبي الدرداء في الرواية الأولى. وهو صادق في كلتا الروايتين؛ لأنه لا يتصور أن يكذب نفسه، فيتعين أن يكون الحصر إضافيا لا حقيقيا.

2- ثبت في الصحيح أنه قتل يوم اليمامة سبعون من حفظة القرآن، وكانت موقعة اليمامة قريبا من وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم -، وهذا العدد الذي استشهد، فكيف ممن لم يقتل ممن حضرها وممن لم يحضرها. زد على ذلك أن الذين حفظوا القرآن على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كثيرون غير هؤلاء.

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة: وقد أشبع القاضي أبو بكر محمد بن الطيب في كتاب «الإنتصار» الكلام على حملة القرآن في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم -، وأقام الأدلة على أنهم كانوا أضعاف هذه العدة المذكورة، وأن العادة تحيل خلاف ذلك... وقال الماوردي: وكيف الإحاطة بأنه لم يكمله سوى أربعة، والصحابة متفرقون في البلاد، وإن لم يكمله سوى أربعة فقد حَفِظَ جميع أجزائه مئون لا يحصون (الزركشي، البرهان 242/1 فما بعدها).

على أن هناك تأويلات للحديث الشريف ترفع في جملتها الحصر الحقيقي وتثبت الحصر النسبي (الزرقاني، مناهل العرفان، 235/1 فما بعدها).

وهكذا - أخي الدارس - انتهينا من الموضوع الأول المتعلق بجمع القرآن بمعنى استظهاره وحفظه في الصدور سواء ما تعلق بحفظ الرسول عليه السلام، أم حفظ الصحابة رضوان الله عليهم، وما دار حول ذلك من بحوث ومناقشات.

?

أسئلة التقويم الذاتي (1)

عزيزي الدارس، إذا اتضحت لديك جوانب هذا الموضوع فهل لك أن تجيب عن الأسئلة الآتية:

1- لماذا كان حفظ القرآن الكريم الشغل الشاغل لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟

2- وضح كيفية تلقي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - القرآن الكريم من جبريل عليه السلام.

3- هات صورة واضحة تبين من خلالها مدى عناية الصحابة بحفظ القرآن واستظهاره.

4- هات آية من القرآن الكريم تفيد أن الله تكفل لرسوله تحفيظه القرآن الكريم وبيان معانيه.

5- توهم بعض المغرضين بظاهر حديث أفاد حصر حفظة القرآن في أربعة من الصحابة فقط، ما ردك على هذا التوهم؟

6- اذكر لونا من ألوان التوفيق كان موضع اهتمام الرسول، ليتأكد حفظ القرآن والتثبت من استظهاره.

2.2.2 الجمع بمعنى الكتابة والتدوين في الصحف والسطور

أ- في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

لم تكن عناية النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بحفظ القرآن واستظهاره تصرفهم عن كتابته وتدوينه، فقد اختار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مجموعة من أصحابه لكتابة القرآن، وكان يطلق عليهم «كتّاب الوحي» ومنهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وثابت بن قيس، وخالد بن الوليد، ومعاوية بن أبي سفيان.

وكان إذا نزل شيء من القرآن دعا عليه السلام بعض هؤلاء الكتاب، فيأمره بكتابة ما نزل من الآيات في الموضع المحدد من السورة قال ابن عباس: «كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا نزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب فقال: ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا».

وروى الإمام أحمد بإسناد حسن عن عثمان بن أبي العاص، قال: كنت جالساً عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ شخص ببصره ثم صوبه، ثم قال: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من السورة (**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي**

الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (النحل: 90)، وعلى هذا فإن ترتيب الآيات القرآنية في السور ترتيب توقيفي من الوحي عليه السلام، وليس اجتهاداً من الرسول، أو غيره، فقد ورد أن جبريل كان يقول ضعوا الآية كذا في موضعها من السورة كذا، وسيأتي هذا مفصلاً إن شاء الله.

وكان الصحابة يكتبون على العسب - جريد النخل - واللخاف أي الحجارة الرقيقة، والرقاع، جمع رقعة، وقد تكون من الورق أو الجلد، وقطع الأديم، والأكتاف والأضلاع.

قال زيد بن ثابت: كنا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نؤلف القرآن من الرقاع، ثم قال بعد جمعه القرآن.... فجمعته من الرقاع والأكتاف وصدور الرجال (ابن حجر، فتح الباري بشرح البخاري، 10/9 فما بعدها).

هذا وقد أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الصحابة أن يكتبوا القرآن، ونهاهم أن يكتبوا شيئا غيره، فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: **(لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن ومن كتب عني شيئاً غير القرآن فليمحه)** (ابن الأثير، جامع الأصول، 33/8).

والداعي إلى هذا النهي مزيد العناية به، وكتابته وتوثيقه، حتى لا تنصرف هممهم وجهودهم إلا له، ولئلا ينشغلوا بغيره عنه. ولكن السؤال ها هنا: ما السبب الباعث على كتابة القرآن مع أن حفظة القرآن من الصحابة كانوا كثيرين؟ والجواب يتلخص فيما يأتي:

1- معاضدة المكتوب للمحفوظ، وهذا أدعى للتوثيق والتثبت، ولذا كان المعول عليه عند الجمع الحفظ والكتابة كما ورد في حديث زيد «فجمعته من الرقاع والأكتاف وصدور الرجال».

2- الاعتماد على حفظ الصحابة لا يكفي لأنهم عرضة للنسيان، والموت مثلما حصل في موقعة اليمامة، أما التدوين فباق لا يزول.

وإذا كتب القرآن في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم -، فلماذا لم يجمع في مصحف واحد أو في مصاحف؟ والإجابة تنحصر في النقاط الآتية:

1- أن القرآن نزل منجماً في مدى عشرين عاما أو أكثر.

2- أن ترتيب آياته وسوره ليس على ترتيب نزوله، فنزوله حسب الوقائع والحوادث والأسئلة.

3- أن فيه الناسخ والمنسوخ.

4- عدم توافر أدوات الكتابة والتدوين مثلما كانت زمن أبي بكر وعثمان (الزرقاني، مناهل العرفان، 241/1).

خلاصة القول: إن القرآن الكريم جمع كله على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جميعاً في الصدور وفي السطور، وبالتالي كان محفوظاً مصوناً، موثقاً من طريقي الحفظ والاستظهار، والكتابة والتدوين.



تدريب (1)

أ- إن جمع القرآن الكريم في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعني أحد الأبدال التالية، ما هو؟

1- حفظه واستظهاره في الصدور فقط.

2- حفظه في الصدور وكتابته وتدوينه في الرقاع والعسب.

3- كتابته وتدوينه في الوسائل المعروفة في عهده - صلى الله عليه وسلم - فقط.

ب- في ضوء فهمك لموضوع تدوين القرآن بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم ضع دائرة حول رمز الإجابة الصحيحة التي تشير إلى دوافع ذلك الجمع:

1- معاضدة المكتوب للمحفوظ؛ لأنها المعول عليه عند الجمع، ثم عدم الاعتماد على الحفظ في الصدور؛ لأن الحفاظ عرضة للموت والنسيان.

2- لقد كانت الكتابة على وسائل مختلفة.

3.2 الجمع والتدوين في عهد أبي بكر رضي الله عنه

وخير من يحدثنا عن الجمع في عهد أبي بكر الصديق أحد كتاب الوحي، وموثق القرآن الكريم بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو زيد بن ثابت.

أخرج البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت قال: «أرسل إليَّ أبو بكر الصديق مقتل

أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: هو والله خير. فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره **﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾** (التوبة: 128) حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهما» (ابن حجر، فتح الباري بشرح البخاري، 11/10).

ومن خلال هذه الرواية نستطيع الوقوف على الباعث على الجمع، ومنهجه في هذا العهد، ثم بيان خصائصه ومميزاته.

1- الباعث على هذا الجمع: إن الباعث على جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه هو الخوف من أن يذهب كثير من القرآن باستشهاد حفظة القرآن الكريم، وبخاصة عقب مقتل المئات من الحفاظ في معركة اليمامة.

2- كان الجمع بإشارة عمر رضي الله عنه الذي خشي تناقص عدد هؤلاء القراء تدريجياً بسبب الحروب المحتملة، فيضيع القرآن الكريم، وبهذا فإنه يهدف إلى حفظ القرآن الكريم في مأمن من الأخطار، وفي صورة يسهل الرجوع إليها مع إقرار الشكل النهائي لهذا الكتاب المقدس، وتوثيقه عن طريق حفاظه الباقين، واعتماده من الصحابة - رضوان الله عليهم - الذين كانوا يحفظونه (دراز، مدخل إلى القرآن، 36).

3- أما منهج الجمع: فيقول زيد بن ثابت نفسه في رواية البخاري «فتتبعت أجمعه من العسب

واللخاف وصدور الرجال».

ويؤخذ من هذا أن منهج الجمع قام على دعامتين اثنتين:

الأولى: الاعتماد علي ما كان محفوظاً في صدور الصحابة رضوان الله عليهم.

الثانية: الاعتماد على ما كان مكتوباً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومما يؤكد هذا ما رواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال: «أراد عمر بن الخطاب أن يجمع القرآن، فقام في الناس فقال من كان تلقى من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئاً من القرآن فليأتنا به» (ابن أبي داود، المصاحف، 17). «وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان» (ابن أبي داود، المصاحف، 17). «وقال أبو بكر لعمر بن الخطاب وزيد بن ثابت اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه» (المصدر نفسه).

وبعد هذا النداء تتابع الناس، ومعهم ما يحفظون من القرآن في الصدور، وفي السطور، وكان زيد لا يكتب شيئاً من القرآن إلا بعد أن يشهد شاهدان عدلان على أن هذا مما كتب بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ثم يقابل المحفوظ الذي في الصدور بالمكتوب في الصحف والألواح.

وما كان هذا المنهج القائم على المقابلة بين المحفوظ في الصدور والمحفوظ في السطور إلا زيادة في التوثيق والتثبت، وأن هذا المكتوب إنما هو عين ما كتب بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، وعلى هذا فإن الشهادة هاهنا ليست على قرآنية المكتوب؛ لأن القرآنية لا ريب فيها، ولم تكن موضع شك حتى تحتاج إلى شهادة بخلاف الكتابة بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فإن من الصحابة من كان يكتب القرآن لنفسه وفق ما تيسر له، ولو في غير مجلس النبي - صلى الله عليه وسلم -. وهكذا جمع أبو بكر القرآن الكريم فكان أول من جمع القرآن في كتاب واحد بين لوحين. جاء في كتاب المصاحف لابن أبي داود قال علي رضي عنه: «أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع بين اللوحين» (المصدر السابق، ص11 فما بعدها)، ثم حفظه رضي الله عنه عنده ثم عند عمر ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهما.

وينهض تساؤل في هذا المقام، وهو لماذا اختير زيد بن ثابت لهذه المهمة الجليلة؟ والجواب كما يتراءى من خلال حديث البخاري السالف ذكره: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك،

وكنت تكتب الوحي لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتتبع القرآن.

وبجانب جمعه هذه الصفات العقلانية، الذكاء، العدالة، النزاهة، وإنه كاتب الوحي، فقد حضر بنفسه العرضة الأخيرة أي آخر تلاوة للقرآن الكريم قام بها رسول الله صلى الله عليه وسلم (دراز، مدخل إلى القرآن، ص37).

1.3.2 مزايا هذا الجمع وخصائصه

أ- جمع القرآن على أدق وجوه البحث والتحري والتثبت.

ب- اقتصر على ما لم تنسخ تلاوته.

ج- ظفر بإجماع الأمة وتواتر ما فيه (الزرقاني، مناهل العرفان، 246/1).

وبهذه الخصائص فإن شبهة تطعن في تواتره تعدُّ ساقطة داحضة، لا سيما وأن ما جمع في الصحف ثبتت روايته من طرق لا تعد ولا تحصى، والتعويل على توثيق القرآن إنما هو على الرواية والتلقي طبقة عن طبقة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع تحقيق التواتر في كل طبقة من طبقات السند لا على الكتابة، بل لو لم يكتب ما قدح أصلاً في تواتره، حيث نقل سماعاً ومشافهة على سبيل التواتر في كل طبقة من طبقات رواته.

4.2 نسخ القرآن في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه

وهو نسخ للقرآن أطلق عليه لفظ من باب المجاز - ويختلف سببه ها هنا عنه في زمن أبي بكر رضي الله عنه - فقد كان الباعث على الجمع في زمن أبي بكر -كما سبق- هو الخشية من ضياعه بموت الحفاظ، وأما الجمع في هذا العهد فهو اختلاف أهل الأمصار والبلاد الإسلامية في القراءات، حيث وصل الأمر إلى حد الخصومة، بل إلى تكفير كل فريق المخالف له في القراءة، وإليك السبب مفصلاً كما جاء في كتاب المصاحف لابن أبي داود عن أيوب عن أبي قلابة «لما كان في خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل، والمعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون، حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين. قال أيوب لا أعلمه إلا قال: حتى كفر بعضهم بقراءة بعض، فبلغ ذلك عثمان فقام خطيباً فقال: أنتم عندي تختلفون فيه فتلحنون، فمن نأى عني من الأمصار أشد فيه اختلافاً وأشد لحناً، اجتمعوا يا أصحاب محمد، واكتبوا للناس إماماً» (ابن أبي داود، المصاحف ص 29).

وفي قصة حذيفة بن اليمان أيضاً خير توضيح لمسوغات هذا النسخ ودواعيه، ثم بيان منهجه. فقد أخرج البخاري بسنده «عن ابن شهاب عن أنس بن مالك حدثه أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك. فأرسلت حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل القرآن بلغتهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف والمصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق» (ابن حجر، فتح الباري، 10/9 فما بعدها).

أخي الدارس، أختي الدارسة، لدى إنعامنا النظر في هذا النص الذي أخرجه الإمام البخاري لا بد أن نصل إلى النتيجة المدونة في المقدمة، وهي المسوغات والدواعي للنسخ في عهد عثمان ثم المنهج الذي اتبعه في النسخ المذكور، وهذا تفصيله.

1- إن الباعث على نسخ المصاحف في عهد عثمان والداعي إليه إنما هو حسم الاختلاف في القراءات القرآنية، والذي نتج عن تفرق الصحابة في الأمصار، وقراءة كل أهل بلد بقراءة من اشتهر عندهم من القراء، وكان كل أهل بلد يقرأون بما قرأهُ الصحابي في بلده فاختلف الشامي مع العراقي، والمكي مع المدني، حتى كفر بعضهم بقراءة بعض - كما تقدم - وحينئذ كان الأمر يستدعي حسم الخلاف والقضاء على الفتنة وتوحيد الأمة على مصحف إمام يرجعون إليه عند اختلافهم.

لقد كان حذيفة حريصاً على وحدة الأمة، وتدارك أمرها ورأب صدعها قبل أن يستشري خطر هذا كله، فقد روي أنه دخل على عثمان يخبره بذلك قبل أن يدخل بيته وقال: أدرك هذه الأمة قبل أن تهلك (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 51/1 فما بعدها).

ومما يذكر أيضاً أن من أسباب الخلاف إضافة إلى ما تقدم:

أ- عدم علمهم بأن القرآن نزل على سبعة أحرف - وأنه يقرأ على هذه الأحرف - وأن من قرأ على أي حرف منها فقد أصاب، كما ورد في الأحاديث الصحيحة **«فبأي حرف قرأتم فقد أصبتم»**.

ب- بعدهم عن مركز الخلافة - المدينة المنورة - التي تعد حاضرة السنة النبوية، ومرجعاً يحسم فيه كل خلاف؛ لأن أهلها بالسنة والأحكام أفهم وأعلم.

ج- عدم وجود مصحف إمام يرجعون إليه عند اختلافهم.

2- ويؤخذ من الرواية اختيار عثمان لزيد بن ثابت رئيساً للجنة الرباعية التي أسند إليها مهمة النسخ، وذلك لتوافر المؤهلات التالية:

أ- أن زيداً يتوفر فيه الذكاء ورجاحة العقل «إنك شاب عاقل» كما ورد في الحديث السابق ذكره.

ب- أن زيداً تتوفر فيه العدالة والنزاهة «لا نتهمك».

ج- أن زيداً من كتبة الوحي، وحضر آخر تلاوة للقرآن الكريم قام بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

د- الخبرة السابقة والثقة التامة، فقد قام بجمع القرآن على عهد أبي بكر رضي الله عنه، لذا نرى عثمان يوليه هذه المهمة الجليلة.

3- ويؤخذ من الرواية أن عثمان أمرهم عند الاختلاف في كتابة كلمة أن يكتبوها بلغة قريش، فإنما نزل القرآن بلغتهم، وهي أفصح اللغات كما هو معروف. فقد اختلفوا مثلا في كلمة تابوت، ثم أقروها كما وردت عند قريش «التابوت» و «التابوه».

4- تجريد المصاحف المنسوخة مما ليس قرآنا، مثل الشروح والتفاسير التي كان يكتبها بعض الصحابة في مصاحفهم مثل **(لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ)** (البقرة: 198). هذه الآية كتبها ابن مسعود في مصحفه توضيحاً، وزيادة لبيان المقصود، فكانت عنده (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم) بزيادة «في مواسم الحج» وهذه ليست من الآية وإنما هي زيادة في التفسير للتوضيح.

5- خلو المصاحف من الشكل والنقط، وعلى هذا تكون محتملة للأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن، وتجمع القراءات المتعددة في لفظ واحد مثل كلمة «فتبينوا»، حين تجرد من الشكل والنقط تقرأ «فتثبتوا»، وكلمة «ننشرها» تقرأ أيضاً «ننشزها» بالزاي.

6- نسخ المصاحف وإرسالها إلى الأمصار، فَأَرْسَلَ لكل مِصر مُصحفاً كما ورد في الرواية (فأرسل إلى كل أفق بمصحف) وهذا المصحف يعد مرجعاً وحيداً لرفع الخلاف وحسم النزاع.

وقد أرسلت المصاحف المنسوخة إلى الآفاق، وكانت في المدينة ومكة، والكوفة، والبصرة، والشام، واليمن، والبحرين، والمصاحف المرسلة هذه هي صورة النسخة الأصلية عن عين ما نقل عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليس إلا.

7- أمر عثمان بحرق المصاحف أو الصحف الأخرى، وبعمله هذا جمع المسلمين على المصحف الإمام الثابت الذي نال إجماع الصحابة رضوان الله عليهم والأمة الإسلامية في مختلف أقطارها وأمصارها، بيد أن الشيعة والمغرضين غالوا في هذه المسألة - حرق المصاحف الفردية - وزعموا أن عثمان أسقط شيئاً من القرآن الكريم يتعلق بعلي بن أبي طالب وآل البيت الطاهرين، أو أنه بدّل شيئاً من نصوص القرآن الكريم.

ومن أبسط صور الرد على هذه الفرية أنه لو حدث هذا - وهذا مستحيل - لمراجعة حفظة القرآن وحماته، وهم كثيرون، حتى أن ابن مسعود الذي حمل اعتراضاً على مسألة جمع القرآن، حيث كان يرى نفسه أحق من غيره بذلك الجمع أقرَّ ورضي بفعل عثمان رضي الله عنه (ابن أبي داود، المصاحف، ص25 رضا عبد الله بن مسعود لجمع عثمان) وأحرق مصحفه. على أن عليّا نفسه شهد بموقف عثمان وانبرى يدافع عنه، ويبرىء ساحة عثمان مما نسبه إليه الشيعة ورموه به، فقد روى ابن أبي داود في كتاب المصاحف: عن سويد بن غفلة قال: قال علي حين حرق عثمان المصاحف: «لو لم يصنعه عثمان لصنعته» (المصدر السابق ص 30). وفي رواية أخرى عن سويد نفسه قال: «والله لا أحدثكم إلا شيئاً سمعته من علي بن أبي طالب، سمعته يقول: يأيها الناس لا تغلوا في عثمان ولا تقولوا له إلا خيرا في المصاحف وإحراق المصاحف، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملإٍ منا جميعاً» (المصدر السابق ص30) ثم يقول: «سمعت عليا يرحمه الله يقول: رحم الله عثمان لو وليته لفعلت ما فعل في المصاحف» (المصدر السابق ص30) أي لو وليت هذا الأمر لفعلت ما فعل عثمان.

هذه شهادة علي في عثمان وكفى، فالأحرى بهم أن يرجعوا عما نسبوه إليه.

ومما تجدر الإشارة إليه ها هنا أن أقطاب الشيعة يرفضون هذا الزعم ويقررون أن القرآن الكريم الذي بين أيدينا هو نفسه الذي نزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - تكفل الله بحفظه وصونه، فلا تبديل ولا تحريف ولا زيادة ولا نقصان **(لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ)** (فصلت: 42) (الطبرسي، مجمع البيان، 331/6، 15/9).

هذا فضلاً عن أن كثيراً من المستشرقين شهدوا بقطعية النص القرآني وثبوته وسلامته

من التغيير والتبديل، بل قرروا أنه الكتاب الأوحد الذي ليس فيه أي تغيير. وهو بعيد عن الزيادة والنقصان والتحريف.

قال موير «إن المصحف الذي جمعه عثمان قد تواتر انتقاله من يد ليد حتى وصل إلينا دون أي تحريف، ولقد حفظ بعناية شديدة بحيث لم يطرأ عليه أي تغيير يذكر، بل نستطيع أن نقول إنه لم يطرأ عليه أي تغيير على الإطلاق في النسخ التي لا حصر لها والمتداولة في البلاد الإسلامية المتنازعة، وهذا الاستعمال الجماعي لنفس النص المقبول من الجميع حتى اليوم، يعد أكبر حجة ودليل على صحة النص المنزل الموجود معنا، والذي يرجع إلى الخليفة المنكوب» (دراز، مدخل إلى القرآن، ص40، القرآن والتوراة، والإنجيل، ص151 فما بعدها).

ويقول لوبلوا: «إن القرآن هو اليوم الكتاب الرباني الوحيد الذي ليس هنا فيه أي تغيير يذكر» (الزرقاني، مناهل العرفان، 254/1).



تدريب (2)

ضع دائرة حول رمز الإجابة الصحيحة.

أ- لقد كان قرار عثمان بن عفان حرق المصاحف الفردية قراراً:

1- فردياً منه.

2- جماعيا عن غير رضا الصحابة.

3- جماعيا عن رضا الصحابة وإجماعهم.

ب- ارجع إلى قصة حذيفة بن اليمان في صحيح البخاري، ثم أمعن النظر جيداً في نصوصها لتتراءى لك مسوغات نسخ عثمان للمصاحف في مصحف واحد فهل هي:

1- حسم الخلاف في القراءات القرآنية.

2- حرص عثمان على توحيد الأمة وتدارك أمرها والقضاء على الفتنة.

3- الاتعاظ بما حل في أهل الكتاب، وتجنب ذلك.

4- ما تقدم كله.

1.4.2 الخصائص والمميزات التي امتاز بها مصحف عثمان رضي الله عنه

1- الاقتصار على ما ثبت بالتواتر، دون ما كانت روايته آحاداً.

2- إهمال ما نسخت تلاوته، ولم يستقر في العرضة الأخيرة.

3- ترتيب السور والآيات على الوجه المعروف الآن.

4- كتب بطريقة تجمع وجوه القراءات المختلفة والأحرف التي نزل عليها القرآن.

5- تجريده من كل ما ليس قرآنا كالذي كان يكتبه بعض الصحابة في مصاحفهم شرحاً للمعنى، أو زيادة على وجه التفسير.

أخي الدارس، هذه مراحل الجمع التي مر بها القرآن الكريم في العهود الثلاثة: في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي عهد أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما، وقد وقفنا على كل مرحلة من هذه المراحل، من حيث مسوغات الجمع ودواعيه، ثم من حيث المنهج والخصائص.

وقد أدركنا مدى عناية الله تعالى لهذا الكتاب، وحفظه له تحقيقاً لوعده تعالى **(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)** (الحجر: 9)، ثم علمنا – أيضاً - مدى حرص الرسول - صلى الله عليه وسلم - على هذا الكتاب، وصحابته من بعده من خلال إحاطتنا لجوانب هذا الموضوع ومفرداته الذي قام على أدق طرق التحري ووجوه التثبت والتوثيق وكيفية التدوين. فالقرآن الكريم بحق الوثيقة الخالدة السالمة من كل نيل، وقد شهد الله تعالى بذلك - وكفى - ثم شهد أعداء الإسلام بأنه الكتاب الذي لم تصل إليه يد التحريف والتبديل أو الزيادة والنقصان - كما سبق. إنّه: **(لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)** (فصلت: 42).

?

أسئلة التقويم الذاتي (2)

عزيزي الدارس، إذا كان لنا هذا الوقوف على ما تقدم بالتفصيل، فلا علينا إلا أن نجيب عن التساؤلات الآتية استئناساً منا وتأكيدا على أننا استوعبنا الموضوع على الوجه المطلوب وأحطنا بكلياته وجزئياته كما جاءت هنا في هذا البحث.

1- اذكر مسوغات جمع القرآن في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وفي عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

2- وضح المنهج الذي قام عليه الجمع في عهد أبي بكر رضي الله عنه.
3- لماذا وقع الاختيار على زيد بن ثابت في جمع القرآن الثاني والثالث.
4- قارن بين منهجي جمع القرآن في عهد كل من: أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما.
5- وضح الحكمة من إحراق عثمان الصحف من المصاحف الفردية التي كانت عند الصحابة.
6- اذكر الخصائص التي تميز بها مصحف عثمان رضي الله عنه.
7- لقد حفظ الله القرآن الكريم من كل تحريف وتبديل، ما الدليل على ذلك؟

نشاط (2)

1- اكتب تقريراً عن موضوع جمع القرآن موضحاً معنى الجمع ودوافعه وبواعثه ومناهجه، مقارناً بين تلك الدوافع والمناهج في العهود الثلاثة، ومشيراً إلى الخلاصة في هذا التقرير والمصادر التي رجعت اليها.
2- اعرض ما كتبته على مشرفك؛ لتقف على القيمة العلمية لتقريرك في ضوء التوجيهات المقدمة إليك.

3. السور والآيات: معانيها وأسماؤها وترتيبها

1.3 السور: معانيها وأسماؤها

أولاً: معنى السور

السُّور جمع سُورة، كغُرف جمع غُرفة، ورُتب جمع رُتبة، ومعناها: البناء المرتفع، ومنه أطلق على سور المدينة، لارتفاعه وإحاطته، وتطلق أيضاً على المنزلة الرفيعة، ومنه قول الشاعر النابغة الذبياني:

ألم تر أن الله أعطاك سورة
ترى كل ملك دونها يتذبذب

وسميت السورة من القرآن سورة لرفعتها وجلالها ولإحاطتها بالآيات التي تضمها كإحاطة السور بالبنيان (ابن منظور، لسان العرب، 386/4).

والسورة في الاصطلاح: طائفة من الآيات القرآنية لها فاتحة وخاتمة. وتختلف سور القرآن طولاً وقصراً، فأطول سورة في القرآن هي سورة البقرة، وآياتها ست وثمانون ومئتان،

وسورة الكوثر هي أقصر سورة في القرآن، وعدد آياتها ثلاث فقط.

ومجموع سور القرآن أربع عشرة ومئة سورة، قسمها العلماء إلى أربعة أقسام على النحو الآتي:

1. الطوال: وعددها سبع سور، وهي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، وبراءة.
2. المئون: وهي السور التي يزيد عدد آياتها عن مئة أو يقارب ذلك.
3. المثاني: وهي التي تلي المئين في عدد آياتها، وسميت بالمثاني؛ لأنها تثنى وتكرر أكثر من الطوال والمئين، أو لأن الأنباء والقصص تثنى فيها.
4. المفصل: ما يلي المثاني في عدد آياته، وسمي بذلك لكثرة الفواصل التي بين السور، وهو أقسام:
   أ- طوال المفصل: وأوله سورة الحجرات – سورة البروج.
   ب- أوساط المفصل: وأوله سورة الطارق – البينة.
   ت- قصار المفصل: وأوله سورة الزلزلة – الناس.
   (الزركشي، البرهان، 244/1).

ثانياً: أسماء السور

قد يكون للسورة اسم واحد، وهو كثير مثل النساء، والأعراف، والأنعام، ومريم، وطه، والشورى، والمدثر، وقد يكون لها أكثر من اسم، فمن ذلك:

1. سورة الفاتحة: فمن أسمائها فاتحة الكتاب، وأم الكتاب، وأم القرآن، والسبع المثاني، والشافية، والكافية، والأساس.
2. سورة براءة: تسمى التوبة، والفاضحة، والبحوث – بفتح الباء -، والعذاب، والمقشقشة: أي المبرِّئة من النفاق.
3. سورة الإسراء: تسمى سورة بني إسرائيل وسورة سبحان.
4. سورة يس: تسمى قلب القرآن، والمعمَّة، والمدافعة، والقاضية.
5. سورة الطلاق: تسمى سورة (النساء القصرى).
6. سورة الملك: تسمى تبارك، والمانعة، والواقية، والمنجية.

7. سورة الإخلاص: تسمى سورة الأساس. (ابن عقيلة المكي، الزيادة والإحسان في علوم القرآن (1: 378-390)، أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص 288).

وكما سميت السورة الواحدة بأسماء، سميت سور باسم واحد، كالسور المسماة (ألم) أو (ألر) على القول بأن فواتح السور أسماء لها. (السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 161/1).

وقد سموا مجموع السور المفتتحة بكلمة حم «آل حم»، وربما سموا السورتين بوصف واحد، فقد سموا سورة (الكافرون) وسورة (الإخلاص) بالمقشقشتين (ابن عاشور، التحرير والتنوير، 89/1).

وثبت أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أطلق اسم الزهراوين على سورة البقرة وسورة آل عمران، فقال: **(إقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فِرقان من طير صواف تُحاجان عن أصحابهما)** (صحيح مسلم بشرح النووي 6 /90). الغمامة والغياية: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغيره، فِرقان: قطيعان أو جماعتان.

وروي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ المسبحات كل ليلة قبل أن يرقد، ويقول: **(فيهن آية خير من ألف آية)** (مسند الإمام احمد 121/4 وسنن أبي داود: حديث رقم 5057).

والمسبحات، هي: سور الحديد، والحشر، والصف، والجمعة، والتغابن، والأعلى (البقاعي، مصاعد النظر 64/3).

واعلم أخي الدارس، أختي الدارسة:

- أن أسماء السور إما أن تكون بأوصافها، مثل الفاتحة وسورة الحمد، وإما أن تكون بالإضافة لشيء اختصت بذكره نحو سورة لقمان، وسورة يوسف، وسورة البقرة، وإما بالإضافة لما كان ذكره فيها أوفى نحو سورة هود، وسورة إبراهيم، وإما بالإضافة لكلمات تقع في السورة نحو سورة براءة، وسورة (حم عسق)، وسورة (حم السجدة)، كما سماها بعض السلف، وسورة فاطر. (ابن عاشور، التحرير والتنوير 89/1).
- وقد تسأل أخي الدارس، أختي الدارسة، بعد الذي ذكرناه عن أسماء السور: هل تسمية السور توقيفية أم اجتهادية؟ فالذي عليه أكثر العلماء أن تسمية السور توقيفية، غير أنه لا

بأس لمن أحسن تدبر سور القرآن الكريم أن يستنتج بعض ما امتازت به كل سورة فيسميها به على أن لا تكون هذه التسمية بديلاً للتسمية الأولى. فنقول مثلاً سورة الحجرات يمكن أن تسمى سورة الآداب، وسورة العنكبوت يمكن أن تسمى سورة الدعاة، وذلك لما فيها من بدايتها إلى نهايتها من حث الدعاة على الثبات على الدين.

وكذلك سورة الفرقان يمكن أن تسمى سورة رد الشبهات، وسورة النحل سورة النعم – كما يقول العلماء – ولكن على أن لا يقال: قرأت سورة الآداب، وتدبرت سورة الدعاة، وفسرت سورة النعم، ......وإنما تذكر السورة أول ما تذكر باسمها الذي عرفت به (عباس، إتقان البرهان في علوم القرآن 1/445-446).

2.3 الآيات

الآيات جمع آية وهي تطلق في اللغة على معان عديدة.

1. العلامة: قال تعالى: **(إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ....)** (البقرة: 248).
2. العبرة والعظة: **(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ)** (الشعراء: 8).
3. المعجزة: **(سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ)** (البقرة: 211).
4. الدليل والبرهان: **(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)** (آل عمران: 190).
5. الأمر العجيب: **(وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً)** (المؤمنون:50).

أما معنى الآية في الاصطلاح: فهي طائفة من الكلمات القرآنية، لها مطلع ومقطع مندرجة في السورة القرآنية، معروفة بالسماع (الزرقاني، مناهل العرفان 1/332).

وجميع المعاني اللغوية السابقة تتفق مع المعنى الاصطلاحي. فالآية القرآنية علامة على نفسها بداية ونهاية، وفيها العبرة، وهي معجزة كذلك، وهي أمر عجيب لما فيها من سمو تشريع وبيان، وهي دليل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم (عباس، إتقان البرهان في علوم القرآن 1/431).

وآيات القرآن تختلف طولاً وقصراً، وأكثر الآيات الطوال في السور الطوال، وأكثر الآيات القصار في السور القصار، وأطول آية هي آية الدين (البقرة: 282)، وأقصر آية طه،

ويس، عند من عدهما، وقد تكون الآية مكونة من كلمة واحدة، مثل (مدهامتان) وقد تكون مؤلفة من كلمتين، مثل (والضحى) وقد تكون من أكثر من ذلك، وهو غالب آيات القرآن.

وقد يطلق اسم الآية، ويراد بعضها مجازاً، وذلك مثل قول ابن عباس: أرجى آية في القرآن **(وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ)** (الرعد: 6)، فإنها جزء آية باتفاق، ووقع إطلاق اسم الآية على أكثر من آية، وذلك مثل قول ابن مسعود: أحكم آية **(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)** (الزلزلة: 7-8)، وهاتان آيتان باتفاق، ومثل ذلك يرد كثيراً في كلام السلف والخلف. (أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، 278-279).

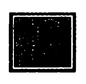
هذا وقد عرفت بعض الآيات بأسماء مستقلة، كآية الكرسي، وهي قوله تعالى: **(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)** (البقرة: 255).

وآية الكرسي هي أعظم آية في كتاب الله عز وجل. فعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يا أبا المنذر! أيُّ آية من كتاب الله معك أعظم؟ قلت: (الله لا اله إلا هو الحي القيوم)، فضرب في صدري، وقال: ليهنك العلم أبا المنذر**». (رواه مسلم برقم 810).

ومن الآيات التي عرفت باسم مستقل آية البر، وهي قوله تعالى: **(لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)** (البقرة: 177).

وكذلك آية الدين، وهي قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا**

أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (البقرة: 282) وكذلك آية الكلالة، وهي قوله تعالى: **(يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)** (النساء: 176) وهكذا الأمر في آيات أخرى.



نشاط (3)

ارجع إلى كتاب الله عز وجل واحفظ كلاً من آية الدين وآية الكلالة.

3.3 ترتيب الآيات والسور في القرآن الكريم

1.3.3 ترتيب الآيات في السور القرآنية

إن ترتيب الآيات الكريمة في السور القرآنية ترتيب توقيفي، تلقاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من جبريل عليه السلام، فلا مجال لاجتهاد أحد فيه. وقد تضافرت النصوص، وانعقد الإجماع على ذلك بما يرفع الإشكال، ويزيل الإلباس (الزركشي، البرهان 1/ 256 – السيوطي، الإتقان 1/ 60 فما بعدها).

1) أخرج البخاري عن ابن الزبير قال: قلت لعثمان «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً» قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها، أو تدعها، قال «يا ابن أخي لا أغير شيئاً منه من مكانه».

2) روى الإمام مسلم عن عمر قال: «ما سألت النبي - صلى الله عليه وسلم - عن شيء أكثر مما سألته عن الكلالة حتى طعن بأصبعه في صدري وقال تكفيك آية النصف التي في آخر النساء».

3) أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قلت لعثمان ما حملكم أن عمدتم إلى الأنفال، وهي من المثاني وإلى براءة، وهي من المئين، ففرقتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) ووضعتموها في السبع الطوال؟ فقال عثمان كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تنزل عليه السورة ذات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء دعا من كان يكتب، فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فقبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) ووضعتها في السبع الطوال».

4) وأخرج الإمام أحمد عن عثمان بن أبي العاص قال: «كنت جالساً عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم- إذ شخص ببصره، ثم صوبه، ثم قال: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة (**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**) (النحل: 90) (السيوطي، الإتقان 1/ 60 فما بعدها).

ويؤخذ من الروايات المتقدمة أن ترتيب الآيات القرآنية الكريمة في السور القرآنية ترتيب توقيفي؛ فقد كانت تنزل الآيات الكريمة على الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيدعو أحد كتاب الوحي، ويأمره بأن يضع الآية في موضعها من السورة كما تقدم، وبمجموع تلك النصوص ثبت دون أدنى ريب أنّ ترتيب الآيات أمر توقيفي لا مدخل للاجتهاد فيه من أحد لا من الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولا من غيره، على أن هناك أحاديث أخرى في هذا الباب تدل على هذا الحكم بوضوح (المصدر السابق بنفس الجزء والصفحة).

إضافة إلى ما سبق فقد ثبت أنّ النبي - صلى الله عليه وسلم - قرأ في الصلاة سوراً عديدة، كسورة البقرة، وآل عمران، والنساء.

وقرأ الروم في صلاة الفجر، وسورة السجدة والدهر قرأهما في صلاة صبح الجمعة، والأعلى والغاشية قرأهما في صلاة الجمعة.

وفي قراءة هذه السور مرتبة دليل واضح على أنّ ترتيب ما فيها من آيات توقيفي أيضاً.

وفي ضوء ما تقدم من الأدلة يتضح أن موضوع التوقيف في ترتيب الآيات في سورها

أمر مقطوع فيه. قال القاضي أبو بكر: «ترتيب الآيات أمر واجب وحكم لازم فقد كان جبريل يقول ضعوا آية كذا في موضع كذا» (الزركشي، البرهان 256/1).

ومما يزيد الأمر تأكيداً أن مسألة النظم القرآني التي تشكل أبرز دلائل الإعجاز في القرآن إنما تتحقق في ترتيب آيات القرآن الكريم، بل تعود في أبرز وجوهها إلى ذلك الترتيب مما يدل على أنه من عمل الوحي يقيناً (الزرزور، علوم القرآن ص106).

هذا هو القول الفصل في ترتيب الآيات القرآنية الكريمة وهو قول واحد لا ثاني له، ترتيب توقيفي واجب لا يجوز الخروج عنه إلى غيره، واجب الالتزام والأخذ به.

2.3.3 ترتيب السور في المصحف

أما ترتيب السور بين دفتي المصحف ففيه آراء ثلاثة:

- **الرأي الأول:** وهو رأي جمهور العلماء - ذهب هؤلاء إلى أن ترتيب سور القرآن على ما هو بين أيدينا ترتيب توقيفي وليس اجتهاديا، شأنه في ذلك شأن ترتيب الآيات الكريمة، واستدلوا بما يأتي:

1- قال أبو جعفر النحاس: المختار إن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وروي ذلك عن علي بن أبي طالب، وذلك لحديث واثلة بن الأسقع أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل».

قال أبو جعفر النحاس: «وهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وأنه مؤلف - أي مرتب - من ذلك الوقت، وإنما جمع في المصحف على شيء واحد؛ لأنه قد جاء هذا الحديث بلفظ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على تأليف القرآن» (السيوطي، الإتقان 1/ 62).

2- روى مسلم في صحيحه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران».

3- ويؤكد هؤلاء قولهم بما رواه ابن أبي شيبة عن سعيد بن خالد: قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالسبع الطوال في كل ركعة، وكان يجمع المفصل في ركعة، ويستدلون أيضاً بما رواه البخاري أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال في بني اسرائيل والكهف

ومريم وطه والأنبياء: «إنهن من العتاق الأول وهن من تلادي» فذكرها نسقاً كما استقر ترتيبها.

4- ومما عزز به أصحاب هذا الرأي موقفهم القائل إن ترتيب السور توقيفي أنّ الاتساق والتناسب بين السور القرآنية لا يقل أهمية عن تناسب الآيات بعضها مع بعض في النظم والرصف.

وقد أكثر الإمام فخر الدين الرازي صاحب تفسير «مفاتيح الغيب» من إيراد هذه المناسبات بين الآيات القرآنية وبين السور، كما عرض غيره أيضاً لمثل هذا التلاؤم والتناسب.

قال الإمام الزركشي: «لترتيب وضع السور في المصحف أسباب تطلع على أنه توقيفي صادر عن حكيم. أحدها: بحسب الحروف كما في الحواميم. وثانيها: لموافقة أول السورة لآخر ما قبلها، كآخر «الحمد» في المعنى وأول «الإخلاص» وثالثها: لمشابهة جملة السورة لجملة الأخرى مثل «الضحى» و «ألم نشرح». قال أبو بكر الأنباري: «أنزل الله القرآن كله إلى السماء الدنيا، ثم فرق في بضع وعشرين..... ويقف جبريل النبي - صلى الله عليه سلم - على موضع السورة والآية، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف كله من النبي - صلى الله عليه وسلم - فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد النظم» (الزركشي، البرهان 257/1، 260).

- **الرأي الثاني:** يقول أصحاب هذا الرأي: إن ترتيب جميع سور القرآن اجتهادي ويستدلون على رأيهم هذا باختلاف مصاحف الصحابة في ترتيب السور.

ويستدلون أيضاً بأن عثمان اجتهد في ترتيب سورتي الأنفال والتوبة.

وقد عزا الإمام الزركشي هذا الرأي إلى جمهور العلماء (الزركشي، البرهان 257/1، 260).

والناظر في هذا القول يجد أنه يتعارض مع صحيح الروايات التي تدل على أن ترتيب كثير من سور القرآن توقيفي، هذا فضلاً عن أن الصحابة أحرقوا مصاحفهم الخاصة عن رضا وطواعية بعد نسخ المصاحف في عهد عثمان، بل التزموا بالترتيب الوارد في مصحف عثمان، ولذلك فإن الأدلة الواردة على اعتبار هذا الرأي ليست بشيء.

- **الرأي الثالث:** ويقول أصحابه: أن ترتيب معظم السور القرآنية توقيفي والبعض الآخر

اجتهادي، وإلى هذا مال الامام ابن عطية (المفسر الأندلسي) فقال: «إن كثيرا من السور كان قد علم ترتيبها في حياته - صلى الله عليه وسلم - كالسبع الطوال والحواميم والمفصل، وأن ما سوى ذلك يمكن أن يكون فوّض الأمر فيه إلى الأمة» (ابن عطية، المحرر الوجيز 66/1). وقد وصف الزرقاني هذا الرأي بأنه أمثل الآراء، وإليه ذهب فطاحل العلماء (الزرقاني، المناهل 349/1).

ومما يؤخذ على هذا الرأي أن الدليل الصحيح قام وأكد شقه الأول والقاضي بأن معظم سور القرآن علم ترتيبها في حياته صلى الله عليه وسلم، وأما الشق الثاني والقائل إن ترتيب بعضها اجتهادي فمما لا ينهض عليه دليل.

والذي يتحصل مما تقدم كله أن الرأي الأول الذي هو رأي جمهور العلماء والأمة، والقاضي بترتيب كل سور القرآن ترتيباً توقيفياً هو الرأي الراجح الذي تلقته الأمة بالقبول، وعلى رأسها الصحابة رضوان الله عليهم، فما عهد عنهم خلاف ذلك، وقد تحقق هذا الإجماع في الجمع الأول، وفي الجمع الثاني، والثالث حتى عصرنا هذا بدون خلاف؛ لذا لا يصار لغيره؛ لأنه إجماع الصحابة أولاً كما تقدم وإجماع الأمة، والإجماع حجة وجب الالتزام بها.

4. المصحف العثماني

لما كان المصحف العثماني هو الكتاب الأول الذي حوى كلام الله عز وجل المنزّل على محمد صلى الله عليه وسلم، والمتضمن لشرائع الإسلام، كان لهذا المصحف علومه الكثيرة التي حظيت بالعناية والرعاية من علماء الأمة، ومن هذه العلوم رسم المصحف وقواعده، ونقطه وشكله وتجزئته وتحزيبه.

وسنحاول في هذا القسم من هذه الوحدة إلقاء الضوء على هذه الموضوعات المهمة لبيانها وتوضيحها.

1.4 الرسم العثماني

1.1.4 معنى الرسم العثماني

يراد بالرسم العثماني: الوضع الذي ارتضاه عثمان رضي الله عنه في كتابة كلمات القرآن وحروفه. والأصل في المكتوب أن يكون موافقاً تمام الموافقة للمنطوق، من غير زيادة ولا نقص، ولا تبديل ولا تغيير، لكن المصاحف العثمانية قد أهمل فيها هذا الأصل فوجدت بها حروف كثيرة جاء رسمها مخالفاً لأداء النطق، وذلك لأغراض شريفة. (الزرقاني، مناهل العرفان 362/1).

2.1.4 قواعد الرسم العثماني

ذكر الكاتبون في علوم القرآن أن قواعد رسم المصحف تنحصر في ست قواعد، هي: الحذف والزيادة والهمز والبدل، والوصل والفصل، وما فيه قراءتان فكتب على إحداهما. ولتوضيح هذه القواعد نمثل لكل واحدة بمثال للدلالة على المقصود:

1. الحذف: مثل حذف الألف من ياء النداء في (**يأيها الناس**) ومن هاء التنبيه في (**هأنتم هؤلاء**) وحذف الألف في (**سمعون للكذب**) وفي (**المؤمنت**) و (**المسلمت**). وتحذف الياء من كل منقوص منون رفعاً وجراً مثل (**غير باغٍ ولا عادٍ**). وتحذف الواو إذا وقعت مع واو أخرى نحو (**لا يستون**) (**فأوا إلى الكهف**).
2. الزيادة: مثل زيادة الألف نحو (**بنوا إسرائيل**) وفي (**مائة**). وزيادة الياء نحو (**نبإى المرسلين**) (**ومن آناءى الليل**). وزيادة الواو نحو (**أولئك**) (**أولاء**) (**سأوريكم**).

3. الهمز: نحو (فادارأتم) حذفت الهمزة وكتبت مفردة مثل (**فادرءتم**). ونحو (ينشأ) رسمت بالواو وزيدت بعدها ألف مثل (**ينشؤا**).
4. البدل: نحو الصلاة كتبت بالواو (**الصلوة**) وكتبت الزكاة (**الزكوة**)، والربا كتبت (**الربوا**).
5. الوصل والفصل: نحو (أن لا) كتبت في حالة تشديد اللام والقطع (**ألاّ**) وكتبت مفصولة في مواضع عشرة، منها (**أن لا تقولوا**) (**أن لا تعبدوا**).
6. ما فيه قراءتان متواترتان وكتب على أحدهما نحو (**مالك يوم الدين**) (**ملك يوم الدين**) (**لامستم**) و (**لمستم**). (أبو شهبة، مدخل لدراسة القرآن، ص 302 فما بعدها).

3.1.4 فوائد الرسم العثماني

إن اتباع الرسم العثماني له فوائد متعددة حرية بالعناية، نذكر منها:

1. حمل الناس على أخذ القرآن عمَّن عرف رسم المصحف، وألاّ يكتفى بأخذه من المصحف لمَا يترتب عليه من اللبس، وعدم القراءة بالقراءة الصحيحة. وبهذا لا يوجد قارئ للقرآن إلا له شيخ أخذ عنه زيادة في التثبت من ألفاظ القرآن وكيفيات النطق بها، فوق ما فيها من اتصال سند قراءة القارئ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتلك من خصائص هذه الأمة امتازت بها عن سائر الأمم.
2. الدلالة على أصل الحركة ككتابة الكسرة ياءً والضمة واوا في نحو (**إيتاءى ذي القربى**) (**سأوريكم آياتي**). أو للدلالة على أصل الحرف ككتابة (**الصلوة**) (**الحيوة**) (**الزكوة**).
3. إفادة المعاني المختلفة بالرسم، مثل وصل (أم من) في قوله: (**أمّن يمشي سوياً**) وفصلها في قوله: (**أم من يكون عليهم وكيلا**) فإن المفصولة تفيد معنى بل دون الموصولة.
4. الدلالة على بعض اللغات الفصيحة ككتابة هاء التأنيث تاء في لغة طيء، ومثل حذف أمر المضارع المعتل لغير جازم، كقوله (**يوم يأت**) في لغة هذيل.
5. المحافظة على ما كان في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - وأجمع عليه الصحابة. (عباس، إتقان البرهان في علوم القرآن 481/1-482).

4.1.4 حكم الالتزام بالرسم العثماني

أجمع سلف هذه الأمة من لدن الصحابة رضوان الله عليهم وحتى أوان أئمة المجتهدين على وجوب التزام رسم المصحف العثماني وحرمة مخالفته، وممن حكى الإجماع على ذلك أبو عمرو الداني في كتابه المقنع. (الرشيد، المتحف في أحكام المصحف / ص601).

فقد سئل الإمام مالك: هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟ فقال: «لا. إلا على الكتبة الأولى».

وقال الإمام أحمد: يحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك.

وقال البيهقي في شعب الإيمان: «من يكتب مصحفاً فينبغي أن يحافظ على حروف الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيها، ولا يغير مما كتبوه شيئا، فإنهم كانوا أكثر علماً وأصدق قلباً ولسانا، وأعظم أمانة منا، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم» (الزركشي، البرهان 2/ ص 14-15).

والقول بالتزام الرسم هو المفتى به لدى فقهاء الحنفية، ففي الهندية: «ولا ينبغي له أن يخالف الذين اتفقوا وكتبوا المصاحف التي في أيدي الناس». (الشيخ نظام، الفتاوي الهندية 316/5).

5.1.4 الكتب المؤلفة في الرسم العثماني

لقد أضحى الرسم العثماني علماً مستقلاً له ضوابطه وقواعده، وله أصوله وأحكامه، ولهذا عُني بالتأليف فيه علماء كثيرون من المتقدمين والمتأخرين، فظهرت مؤلفات كثيرة في هذا الفن، نذكر منها على سبيل المثال:

1. (المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار) لأبي عمرو عثمان بن سعد الأموي الداني، المعروف في زمانه بابن الصيرفي.
2. كتاب (المحكم) في نقط المصاحف له أيضاً.
3. (عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل) لأبي العباس أحمد بن محمد بن عثمان المراكشي الشهير بابن البناء، ألفه في توجيه ما خالف قواعد الخط من رسم المصحف، وبين فيه أن هذه الأحرف إنما اختلف حالها في الخط بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها، وأن فيها

فوائد بلاغية ولغوية ونحوية.

4. (هجاء المصاحف) للإمام مكي بن أبي طالب القيسي الأندلسي.
5. أرجوزة أو منظومة للعلامة الشيخ محمد بن أحمد، الشهير بالمتولي شرحها العلامة الشيخ محمد علي خلف الحسيني، شيخ المقارئ المصرية، وذيَّل الشرح بكتاب له سماه (مرشد الحيران إلى معرفة ما يجب اتباعه في رسم القرآن).
6. (إيقاظ الأعلام إلى اتباع رسم المصحف الإمام) للأستاذ الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي.
7. (رسم المصحف – دراسة لغوية تاريخية) للأستاذ غانم قدوري الحمد. (أبو شهبة: المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص 302، إسماعيل: دراسات في علوم القرآن، ص 121-122).

2.4 نقط المصحف وشكله

عرفت - أخي الدارس، أختي الدارسة - أن المصحف العثماني قد خلا من الشكل والنقط ليحتمل الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن، وليجمع القراءات المتعددة في لفظ واحد.

كان هذا الأمر قبل شيوع اللحن في الكلام «فلما اختلط العرب بالعجم شاع اللحن في الكلام العربي، وشاع اللحن – أيضاً - في القرآن الكريم بين الصبيان والمولدين، فاضطر المسلمون أمام هذه الظاهرة الخطيرة أن يضبطوا المصاحف بالنقط والشكل حتى يصحح الناس قراءتهم على ضوئها». (إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، ص 147).

وتذكر الروايات عن أهل العلم أن أبا الأسود الدؤلي، هو أول من وضع الشكل في المصحف على اختلاف بين الكاتبين في تسمية من أمر أبا الأسود بذلك (الرشيد، المتحف في أحكام المصحف، ص 406).

فقد ذكر أبو عمرو الداني أن أبا الأسود الدؤلي كان السابق إلى التشكيل ونظائره، وهو المبتدئ به، وهو الذي جعل الحركات والتنوين لا غير (أبو عمرو الداني، المحكم، ص 3-6).

والجدير بالذكر أن أبا الأسود الدؤلي لم يضع شكلاً لكل حرف، وإنما شكل الحرف الأخير فقط من كل كلمة.

ولهذا استمر الخطأ في القراءة واشتبهت نفس الحروف لعدم نقطها على القارئين،

وكادت كارثة التحريف تسيء إلى كتاب الله، فقيض الله له عبد الملك بن مروان، فأمر الحجاج أن يهتم بهذا الخطر، وأن يختار لعلاجه العالم التقي الورع الخبير بأصول اللغة ووجوه القراءات. فاختار الحجاج لهذه المهمة نصر بن عاصم الليثي حوالي سنة (80) من الهجرة فعمم شكل أبي الأسود على جميع حروف الكلمة أولها ووسطها وآخرها، ولكنه ما زال الكل على هيئة النقط.

ولم يرق للحجاج هذا العمل لأنه لم يقطع دابر الخطأ والاختلاف في القراءة، فعهد إلى لجنة مكونة من نصر بن عاصم الليثي، ويحيى بن يعمر العدواني، والحسن البصري أن تقوم بعمل كبير يحيط كتاب الله بسياج من السلامة وتحول بينه وبين التحريف. فنقطت الحروف نقطة ونقطتين فوق الحرف أو تحته، وثلاث نقاط فوق بعض الحروف، لئلا يختلط الشكل بالنقط عمدت إلى نقطة الفتحة، ونقطة الكسرة فسحبتها حتى صارتا كالهيئة المعهودة الآن، وعمدت إلى نقطة الضمة فجعلتها واوا صغيرة، والى نقطتي السكون فأكملت بهما دائرة، وبهذا تم النقط والشكل للمصحف (لاشين، اللآلئ الحسان في علوم القرآن، ص 69-70).

3.4 تجزئة المصحف وتحزيبه

يطلق لفظ أجزاء المصحف ويراد به أحد أمرين:

أولهما: ما جرت عليه عادة كثير من نسّاخ الكتاب العزيز من وضع رموز خاصة في حاشية المصحف تشير إلى أجزاء المصحف الثلاثين التي اشتهرت قسمة الكتاب العزيز إليها، غير أنهم يكتبون ذلك في حاشيته بخط مخالف لخطه، ومداد مخالف لمداده.

وهذه التجزئة الثلاثينية تتفرع عنها تجزئة أخرى حيث جزؤوا كل واحد من هذه الأجزاء الثلاثين إلى جزأيْن فصارت الأجزاء بذلك ستين، وقد أطلقوا على كل واحد منها اسم الحزب (الجزائري، التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتقان، ص 190).

والحزب طائفة من القرآن يختلف مقدارها في عُرف السلف عنه في عُرف الخلف، فعلى حين كان السلف رضوان الله عليهم يُحزِّبون القرآن سبعة أحزاب، صار الخلف يُحزِّبونه ستين حزباً (الرشيد، المتحف في أحكام المصحف، ص 85).

والأمر الثاني الذي يتناوله لفظ أجزاء المصحف ويدخل في ماهيته أن المراد بأجزاء المصحف تفريقه في كراريس بعدد أجزائه الثلاثين بحيث تطبع مستقلة تيسيراً على

صغار التلاميذ كما هو شائع في المدارس والكتاتيب، وقد تكون هذه الأجزاء أسداساً أو أسباعاً (الزركشي، البرهان في علوم القرآن 349/1، الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن 1/ 407).

وقد تسأل - أخي الدارس، أختي الدارسة - عن حكم تجزئة المصحف وتحزيبه وإجراء بعض التحسينات على خطه. وللإجابة على تساؤلك نقول:

«تقسيم القرآن إلى ثلاثين جزءاً، وتقسيم الجزء إلى حزبين، وتقسيم الحزب إلى أربعة أرباع، وكتابة أرقام الآيات بعد كل منها، ووضع علامات الوقف والمد وغيرها على الحروف، كل ذلك مستحدثات، وفيه كلام طويل للعلماء من حيث الكراهية والجواز، والصواب أن ذلك كله جائز لتيسير قراءته وحفظه، وأما ما أدخل عليه من تحسينات في الخط والحجم والورق، والطبع والتجليد، والتذهيب فالأمر فيه واسع بل ذلك مما يستحب فعله إجلالاً للمصحف، وتكريماً له، ولما فيه من الترغيب في قراءته واقتنائه وإهدائه لمن يحسن القراءة فيه (إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، ص 150).



تدريب (3)

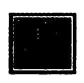
ضع اشارة (√)بجانب الجواب الصحيح.

من خلال اطلاعك على نصوص القرآن والسنة في موضوع ترتيب الآيات القرآنية في السور فإن ترتيب الآيات الكريمة:

1- توقيفي

2- اجتهادي

3- بعضها توقيفي وبعضها اجتهادي



نشاط (4)

1- ارجع إلى القرآن الكريم واستخرج خمس آيات تشتمل على لفظ (آية) ثم قف على المعاني اللغوية المختلفة لهذا اللفظ موضحاً العلاقة بينها وبين المعنى الاصطلاحي.

2- ارجع إلى موضوع ترتيب الآيات، والسور القرآنية في كتب علوم القرآن، وكتب الصحاح في الحديث؛ لتقف بنفسك على حقيقة الترتيب التوقيفي للآيات، والسور القرآنية الكريمة.

?

أسئلة التقويم الذاتي (3)

1. عرِّف السورة لغة واصطلاحاً.
2. عدِّد أقسام السور محدداً سور كل قسم.
3. اذكر خمس سور لها أكثر من اسم مع بيان تلك الأسماء.
4. ما السُّور التي يطلق عليها اسم (المسبحات)؟
5. وضح معنى الآية في اللغة والاصطلاح.
6. عرفت بعض الآيات بأسماء مستقلة. اذكر ثلاثاً منها.
7. وضح آراء العلماء في ترتيب السور في المصحف مع بيان الراجح منها.
8. ما المراد بالرسم العثماني؟
9. مثِّل لكل قاعدة من قواعد الرسم العثماني بمثال واحد.
10. عدِّد خمس فوائد للرسم العثماني.
11. اذكر خمسة كتب ألَّفها العلماء في الرسم العثماني.

5. ترجمة القرآن الكريم

أخي الدارس، هذا هو القسم الرابع من هذه الوحدة، وهو يتناول موضوع ترجمة القرآن الكريم، ويندرج تحته الأقسام التالية:

1- معنى الترجمة
2- أقسام الترجمة
3- حكم الترجمة

1.5 معنى الترجمة وأقسامها

الترجمة هي نقل الكلام من لغة إلى أخرى، والترجمان: بضم التاء وفتحها: المفسر الذي ينقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى (ابن منظور، لسان العرب 12 /66). وتطلق الترجمة على تفسير الكلام بلغته التي جاء بها: ومن ذلك ما قيل في ابن عباس رضي الله عنه (ترجمان القرآن).

وعلى هذا فإن ترجمة القرآن تعني تفسيره وبيان معانيه ومراميه ومقاصده بلغة غير لغته.

- أقسام الترجمة:

هناك نوعان من الترجمة لا ثالث لهما، وهما:

1- الترجمة الحرفية: وتراعى فيها المحاكاة الأصلية في النظم والترتيب؛ فالمترجم ترجمة حرفية يقصد إلى كل كلمة في الأصل، فيفهمها ثم يستبدل بها كلمة تساويها في اللغة الأخرى، مع وضعها موضعها وإحلالها محلها، وإن أدى ذلك إلى خفاء المعنى المراد من الأصل (الزرقاني، المناهل 48/2).

2- الترجمة التفسيرية: وهي ترجمة معاني القرآن، أو ترجمة تفسير ألفاظه بعد فهمها وإدراك أبعادها ومقاصدها والمراد منها.

وعلى هذا فإن الترجمة الحرفية - ومن خلال الوقوف على معناها - مستحيلة في القرآن الكريم، فمن المتعذر أن يبدل حرف أو كلمة بما يساويه من اللغة الأخرى، إذ إن هذا يخرج بالقرآن عن كونه قرآنا، فضلاً عن أنه يذهب بإعجازه وفصاحته. ورصانة نظمه، هذا بالإضافة إلى أنه يذهب معانيه ومدلولاته الأصلية والتبعية.

ومما تجدر الإشارة إليه ها هنا أن للألفاظ العربية معنيين:

المعنى الأصلي: وهو المعنى الذي لا خلاف فيه في ظل الألسنة واللغات.

والمعنى التبعي، أو الثانوي: وهو المعنى الذي تتفاوت فيه درجات التعبير تبعا لتفاوت درجة الفهم والتمكن من المراد وإدراك المقاصد والأبعاد.

ولنأخذ مثالاً نوضح من خلاله إمكانية ترجمة القرآن أو عدمها.

قال تعالى: (**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ**) (الإسراء: 29)، فلو قصدنا ترجمتها ترجمة حرفية فإن غاية ما يقال: إن الآية الكريمة نهت عن ربط اليد في العنق ومدها كل المد.

إن الناظر في هذه الترجمة الحرفية للآية الكريمة يجزم بدون أدنى ملابسة باستحالة هذا المعنى، وأنه ليس المراد منها، وبالتالي تعذر توضيح مرادها ومقصودها وإدراك معناها الذي جاءت من أجله وهو النهي عن البخل والإسراف والتبذير والتقتير.

وهناك أمثلة أخرى كثيرة يمكن من خلال الوقوف عليها القطع باستحالة ترجمتها ترجمة حرفية. من ذلك على سبيل المثال، لا الحصر:

قوله تعالى (**نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ**) (البقرة: 223).

قوله تعالى (**هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ**) (البقرة: 187).

2.5 حكم الترجمة الحرفية

وفي ضوء ما تقدم فقد تقرر استحالة الترجمة الحرفية، وأجمع العلماء على تحريمها، فهي لا تسمى قرآنا، ولا يسند شيء منها إلى الله، وبالتالي لا يتعبد بتلاوتها ولا يقرأ بها في الصلاة.. ثم أنه إذا كان إبدال لفظ من ألفاظ القرآن الكريم في المصحف بلفظ آخر يساويه ويرادفه من اللغة العربية حرام لا يجوز، مثل (شك) بدلاً من (ريب) في قوله تعالى: (**لَا رَيْبَ فِيهِ**) (البقرة: 2) (لاشك فيه) فإنه من باب أولى حرمة إبدال لفظ من لغة أخرى مكان لفظ من ألفاظ القرآن الكريم (رضا، المنار 330/19).

وإذا كانت رواية القرآن بالمعنى في كلام عربي محرمة وممنوعة إجماعاً فهذه الترجمة أحرى بالمنع والحرمة للاختلاف بين لغتها ولغة الأصل (الزرقاني، المناهل 48/2).

على أن هناك قضية خطيرة تترتب على هذه الترجمة تتصل بحفظ القرآن الكريم، وهي: أن الترجمة الحرفية تؤدي إلى ألا يحفظ القرآن من التبديل والتحريف، بل يعتريه ما اعترى التوراة والإنجيل من تحريف وتبديل، فالأناجيل ضاع أصلها العبري، ولم يبق إلا

ترجمتها اليونانية، أو بالأحرى ترجمة بعضها، والسبب في ذلك هو ترجمتها من العبرية، وهكذا يكون القرآن لو سوغنا ترجمته حرفيا، ولكن الطريق مسدود ابتداء، لأن الترجمة غير ممكنة، فكان القرآن محفوظاً **(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)** (الحجر: 9) (أبو زهرة، المعجزة الكبرى 523).

ويضاف إلى ما ذكر أيضاً، أن هذه الترجمة تحدث خلافاً بين المسلمين وفتناً هم في غنى عنها، ويختلفون اختلاف اليهود والنصارى في التوراة والإنجيل، لأن كل قوم سيدعون أن قرآنهم أفضل من قرآن غيرهم، وأن لسانهم أقوم من لسان غيرهم، وهكذا تكون فتن ممزقة أشد من التي أمر عثمان أن تحرق بسببها المصاحف الفردية، وأن يجتمع المسلمون على تلك المصاحف العثمانية الجماعية (الزرقاني، المناهل 48/2).

3.5 حكم الترجمة التفسيرية

أما الترجمة التفسيرية، وهي ترجمة المعاني، أو ترجمة التفسير فهي مباحة وجائزة، لا بل قد تكون واجبة إن كانت هي الطريق الوحيد إلى تبليغ القرآن الكريم، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب كما هو معروف.

قال الإمام الزمخشري عند تفسير قوله تعالى **(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)** (إبراهيم: 4).

فإن قلت لم يبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى العرب وحدهم وإنما بعث إلى الناس جميعاً، بل إلى الثقلين وهم على ألسنة مختلفة، فإن لم تكن للعرب حجة، فلغيرهم الحجة، وإن لم تكن لغيرهم حجة، فلو نزل بالعجمية لم تكن للعرب حجة أيضاً.

قلت: لا يخلو: إما أن ينزل بجميع الألسنة أو بواحد منها، فلا حاجة إلى نزوله بجميع الألسنة، لأن الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل، فبقي أن ينزل بلسان واحد، فكان أولى الألسنة لسان قوم الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأنهم أقرب إليه، فإذا فهموا عنه وتبينوه، وتنوقل عنهم وانتشر قامت التراجم ببيانه وتفهيمه كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم في كل أمة من أمة العجم (الزمخشري، الكشاف 366/2).

وقال الشيخ زاده في حاشيته على تفسير البيضاوي عند تفسير الآية نفسها: «....وكان أولى الألسنة لسان قوم الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأن قومه أقرب الناس إليه، فكان حقهم عليه أقدم، وكان الأولى أن يدعوهم إلى الحق أولاً، وينذرهم عن المخالفة والعصيان، حتى إذا فهموا منه يبينون ما أرسل به إليهم، ويترجمون لغيرهم ما فهموه فتنتشر دعوته إلى أطراف العالم» (ابن حجر، فتح الباري 8/1).

خلاصة القول أن الترجمة الحرفية محرَّمة، ولا تجوز للأسباب المذكورة آنفا وإن الترجمة التفسيرية مباحة وجائزة، بل قد تكون واجبة إذا كانت هي السبيل الوحيد لتبليغ القرآن الكريم، لكن لابد من الإشارة هنا إلى أن هذه الترجمة - أعني التفسيرية - لا تعدو كونها ترجمة لمعاني القرآن أو ترجمة تفسيره، فهي لا تعد قرآنا بحال، وليست معجزة، ولا يتعبد بتلاوتها ولا يقرأ بها في الصلاة.

تدريب (4)

أخي الدارس، اقرأ العبارات الآتية وتبين إن كانت صحيحة وإن كان هناك شيئ تضيفه

حكم الترجمة الحرفية: حرام، وذلك لما يلي:

1- استحالة تبديل حرف بحرف أو كلمة بكلمة.

2- تخرج القرآن عن كونه قرآنا.

3- تذهب بإعجاز القرآن وفصاحته ورصانة نظمه.

4- تحدث خلافا بين المسلمين كالذي حصل عند اليهود والنصارى نظرا لاختلاف ترجمات التوراة والإنجيل.

4.5 حكم قراءة الترجمة في الصلاة وغيرها

لقد سبق القول إن الترجمة ليست قرآناً وبالتالي لا يقرأ بها على وجه التعبد، أو لالتماس الإعجاز والفصاحة، كما لا يقرأ بها في الصلاة. واتفقت كلمة الفقهاء على هذا الحكم، وهو عدم جواز القراءة بالترجمة التفسيرية - والحرفية من باب أولى - في الصلاة وخارجها

إلا رأيا لأبي حنيفة على ما أبينه إن شاء الله.

قال الإمام النووي في كتاب المجموع «مذهبنا - الشافعية - أنه لا تجوز قراءة القرآن بغير لسان العرب سواء أمكنته العربية أم عجز عنها، وسواء أكان في الصلاة أم في غيرها، فإن أتى بترجمته في صلاته بدلا عنها لم تصح صلاته سواء أحسن القراءة أم لا».

ويقول ابن قدامة في كتابه المغني: «ولا تُجزِئُهُ القراءة بغير العربية ولا إبدال لفظها بلفظ عربي سواء أحسن قراءتها بالعربية أو لم يحسن، وبه قال الشافعي وأبو يوسف، فإن لم يحسن القراءة بالعربية لزمه التعلم» (ابن قدامة، المغني 1/ 486 فما بعدها).

ويقول الإمام الشافعي في كتابه الرسالة: «إن الله تعالى فرض على جميع الأمم تعلم اللسان العربي بالتبع لمخاطبتهم بالقرآن والتعبد به.... فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد به أنه لا اله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك» (الشافعي، الرسالة 46-48).

هذه آراء الأئمة في حكم القراءة بالترجمة القرآنية في الصلاة وغيرها، وقد بدا واضحاً تحريمها ومنعها، بل إن الامام ابن حزم ذهب إلى أبعد من ذلك فقد حكم بفسق من قرأ بغير العربية في الصلاة، أو بألفاظ غير الألفاظ التي أنزل الله تعالى عامداً لذلك أو قدم كلمة أو أخرها عامداً لذلك وصلاته باطلة، لأن الله تعالى قال **(قُرْآنًا عَرَبِيًّا)** (يوسف: 2) وغير العربي ليس عربياً، وإحالة عربية القرآن تحريف لكلام الله، وقد ذم تعالى من فعلوا ذلك فقال **(يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ)** (النساء: 46).

ثم قال: «من كان لا يحسن العربية فليذكر الله تعالى بلغته، ولا يحل له أن يقرأ أم القرآن ولا شيئاً من القرآن مترجماً، على أنه الذي افترض الله عليه أن يقرأه لأنه غير الذي افترض عليه مفترياً على الله» (ابن حزم، المحلى 254/3).

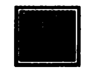
هذا هو رأي جمهور الفقهاء... أما أبو حنيفة فقد ورد عنه أنه أجاز قراءة الترجمة في الصلاة للعاجز عن العربية على وجه الخصوص، وروي عن أبي يوسف ومحمد صاحبيِّ أبي حنيفة جواز ذلك للعاجز عن العربية فقط.

لكن هل يبيح أبو حنيفة هذه القراءة التفسيرية بدل القرآن وهي ليست قرآنا؟ يوضح الإمام محمد أبو زهرة هذا الرأي ويوجهه قائلاً: «إن رأي أبي حنيفة هذا رخصة لمن عجز عن

القراءة بالعربية بخاصة، وأنه قد أدرك الفرس، وهم يدخلون في دين الله أفواجا، وهم يلوون ألسنتهم بالعربية ولا يحسنون النطق بها، ولا تستطيع ألسنتهم إخراج الحروف العربية من مخارجها وإن عرفوا العربية في الجملة، واستطاعوا التفاهم بها بشكل عام، ثم رآهم ينطقون بآي القرآن نطقاً شائها، وألسنتهم تأكل حروفها، وينطقون بألفاظ التكبير، ولفظ الجلالة نطقا غير حسن فرخص بها واعتبرها ذكراً، لا قرآنا. ويبدو أنه رجع عن هذا القول خوفاً من أن يظن أن الترجمة قرآن يقوم مقام الأصل العربي، فأجازها للعاجز فقط. واعتبرها ذكراً لا قرآنا، كما اعتبرها صاحباه على نفس الوضع» (أبو زهرة، أبو حنيفة 308). وقد ورد جواز الذكر - التسبيح والتهليل - بدلا عن قراءة القرآن لمن عجز عن ذلك في أحاديث صحيحة.

أسئلة التقويم الذاتي (4)

1- حدد معنى ترجمة القرآن في ضوء معرفتك لمعاني الترجمة في اللغة.
2- ما معنى الترجمة الحرفية للقرآن الكريم، وما معنى الترجمة التفسيرية؟
3- اذكر مثالاً واحداً تستطيع من خلاله الوصول إلى حكم الترجمة الحرفية.
4- الترجمة الحرفية لا تعد قرآنا بحال، ولا تنسب إلى الله تعالى، ولها مخاطر متعددة. وضح جوانب هذه الحقيقة وأبعادها.
5- بيِّن رأي العلماء في الترجمة التفسيرية، وما حكم القراءة بها في الصلاة وخارجها؟
6- سم ثلاثة كتب مع مؤلفيها عرضت لموضوع ترجمة القرآن.



نشاط (5)

1) اكتب تقريراً مفصلاً عن حكم ترجمة القرآن من المصادر الآتية:
أ- المجموع – النووي
ب- المحلى - ابن حزم
ج- المغني - ابن قدامة
2) عرف بهؤلاء الأئمة الثلاثة موثقاً ذلك من كتب التراجم والطبقات التي رجعت اليها.

6. أطلس القرآن (أماكن وأقوام)

أخي الدارس، أختي الدارسة، هذا هو القسم الخامس من أقسام هذه الوحدة وهو يتحدث عن أطلس القرآن.

لقد تحدث القرآن الكريم في مسيرة هديه الطويلة عن أماكن محددة وأقوام مخصوصين، وسنحاول في هذا القسم من هذه الوحدة إلقاء الضوء على تلك الأماكن الواردة في القرآن الكريم، وعلى أولئكم الأقوام الذين ذكرهم القرآن بأعيانهم أو أشار إليهم بمناقبهم وأعمالهم.

وفيما يأتي بيان لهذا الموضوع.

1.6 أطلس القرآن (أماكن)

أخي الدارس، أختي الدارسة، مع أن القرآن الكريم قد تحدث عن السماوات والأرض وما بينهما وما فيهما بصفة عامة، إلا أن غرضنا من هذا الموضوع هو الحديث عن تلك الأماكن المحددة والمواضع المعينة التي ذكرها القرآن الكريم أو أشار إليها على هذه الأرض التي جعلها الله مستقراً للإنسان وموطناً له إلى حين، كما قال تعالى: **(فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ)** (البقرة: 36). وقال: **(قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ)** (الأعراف: 25). فلقد ذكر القرآن بلاداً وأقطاراً بأعيانها، وسمى مدناً وقرى بأسمائها، وأشار إلى أماكن أخرى منها البحار، ومنها الأنهار، ومنها الجبال ومنها أماكن العبادة، ومنها غير ذلك من المواضع والمواقع.

فمن الأقطار التي ذكرها القرآن باسمها (مصر) حيث تكرر ذكرها أربع مرات وذلك في قوله تعالى: **(وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)** (يونس: 87). وقوله تعالى: **(وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا)** (يوسف:21). وقوله تعالى: **(فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ)** (يوسف:99). وقوله تعالى: **(وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ)** (الزخرف: 51).

ومن البلدان التي أشار إليها القرآن (الشام)، وقد جاءت الإشارة إلى الشام في مواطن

كثيرة من كتاب الله منها قوله تعالى: **(وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا)** (الأعراف:137) يعني أرض الشام كما قال القاضي البيضاوي (تفسير البيضاوي 357/1) وقوله تعالى: **(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ)** (الإسراء: 1). وقوله تعالى بحق إبراهيم عليه السلام **(وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ)** (الأنبياء: 71). وقوله تعالى: **(وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ)** (الأنبياء: 81). وقوله تعالى: **(وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ)** (سبأ: 18). ففي الآيات الأربع الأخيرة جاء التعبير عن الشام بالأرض التي بارك الله فيها. قال ابن الجوزي: «وبركتها أن الله عز وجل بعث أكثر الأنبياء منها، وأكثر فيها الخصب والأنهار» (زاد المسير 368/5).

وجاءت الإشارة إلى الشام بقوله تعالى: **(رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ)** (قريش: 2). «فرحلة الشتاء والصيف كان يقوم بها رؤوس قريش في كل عام، شتاء إلى اليمن والحبشة، وصيفاً إلى الشام والعراق. وكان أبناء عبد مناف الأربعة يقودون هذه القوافل، فكان هاشم يقصد الشام، وغزَّة خاصة حتى سميت (غزَّة هاشم)، والمطلب يقصد اليمن، وعبد شمس يقصد الحبشة، ونوفل يقصد العراق» (أبو خليل، أطلس القرآن، ص 157).

وأشار القرآن الكريم في بعض آياته إلى اليمن كما سبق أن بينا في قوله تعالى: **(رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ)** (قريش: 2). وكما في قوله تعالى: **(لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ)** (سبأ: 15). فسبأ اسم لقبيلة قوية سكنت اليمن، وأنشأت فيها حضارة، وكانت سبأ ملوك اليمن وأهلها، وكانت التتابعة منهم، وبلقيس صاحبة سليمان عليه السلام من جملتهم. وأصل قبيلة سبأ وملوكها من رجل يقال له سبأ.

قال المؤرخون والإخباريون: إن سبأ هو أول من ملك اليمن، وإنَّ اسمه هو: عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وسمي سبأ لأنه أول ملك من العرب سبى أعداءه (الخالدي، مع قصص السابقين في القرآن، ص 639–640. الزحيلي، التفسير المنير 494/11).

وذكر القرآن فيما ذكر مدناً وقرىً أهمها:

1. مكة المكرمة: فقد جاء ذكرها في القرآن الكريم في مواطن عديدة، وبأسماء متعددة منها

مكة حيث يقول تعالى: **(وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ)** (الفتح: 24). ومنها بكة حيث يقول تعالى: **(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ)** (آل عمران: 96).

ومنها: أمُّ القرى حيث يقول تعالى: **(وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا)** (الشورى: 7).

ومنها: البلد الأمين، حيث يقول تعالى: **(وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ)** (التين: 3).

ومنها المسجد الحرام، حيث يقول تعالى: **(وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ)** (البقرة: 217)، ويقول: **(لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ)** (الفتح: 27).

2. المدينة المنورة: جاء ذكر المدينة المنورة - على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم – في غير موضع في كتاب الله عز وجل. من ذلك قوله تعالى:**(وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ)** (التوبة: 101). وقوله تعالى: **(مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ)** (التوبة: 120). وقوله: **(يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ)** (المنافقون: 8). وقوله: **(وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ)** (الحشر: 9).

"فالدار هي المدينة المنورة دار هجرة النبي صلى الله عليه وسلم". (الزحيلي، التفسير المنير 458/14). ويقول تعالى: **(وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا)** (الأحزاب: 13). فيثرب: «اسم للبقعة التي هي المدينة، أو طيبة، أو طابة» (التفسير المنير 292/11).

3. بيت المقدس: سبق أن بينا أن القرآن الكريم قد عبَّر عن الشام بالأرض المباركة، وإذا كانت البركة في الشام عامَّة، فهي في بيت المقدس خاصة، فبيت المقدس قد حوى في جنباته أولى القبلتين وثالث الحرمين (المسجد الأقصى المبارك)، يقول الله تعالى: **(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ)** (الإسراء: 1)، ولقد تبوأ بيت المقدس مكانة كريمة في سائر الشرائع السماوية وخصوصاً شريعة محمد - صلى الله عليه وسلم - باعتبارها الشريعة الخاتمة والكاملة والمهيمنة على

ما سبقها. ومن هنا عني القرآن الكريم ببيت المقدس، فجاء ذكره في مواطن عديدة منها قوله تعالى: **(وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا)** (البقرة: 58)، فالقرية المذكورة في الآية هي بيت المقدس (الصابوني، صفوة التفاسير 60/1). وقوله تعالى: **(يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ)** (المائدة: 21)، فالأرض المقدسة هي «أرض بيت المقدس سميت بذلك لأنها كانت قرار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومسكن المؤمنين» (تفسير البيضاوي 261/1). وقوله تعالى: **(وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (1) وَطُورِ سِينِينَ (2) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ)** (التين: 1-3)، قال ابن كثير: «وقال بعض الأئمة: هذه محال ثلاثة بعث الله في كل واحد منها نبياً مرسلاً من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار – فـ(الأول): محله التين والزيتون وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى بن مريم عليه السلام، و(الثاني) طور سينين وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران، و(الثالث) مكة وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمناً، وهو الذي أرسل فيه محمداً صلى الله عليه وسلم» (تفسير القرآن العظيم 563/4)، وجاءت الإشارة إلى بيت المقدس في قوله تعالى: **(أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا)** (البقرة: 259)، فالقرية المشار إليها هي بيت المقدس لما خربها بختنصر (الصابوني، صفوة التفاسير 165/1).

4. بابل: ورد اسم بابل في القرآن الكريم في سياق الحديث عن اليهود واتباعهم الشياطين وولعهم بالسحر الذي هو من كبائر الآثام. يقول تعالى: **(وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ)** (البقرة: 102)، «وبابل: بلد بالعراق في أرض الكوفة لها شهرة تاريخية قديمة» (الزحيلي، التفسير المنير 266/1).
5. مَدْين: ورد ذكر مَدْين في القرآن الكريم مرات عديدة وذلك في سياق الحديث عن قصة نبي الله شعيب عليه السلام. يقول تعالى: **(وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)** (الأعراف: 85). قال ابن كثير: «وتطلق مَدْين على القبيلة وعلى المدينة، وهي التي بقرب (معان)» (أحمد محمد شاكر، عمدة التفسير عن ابن كثير 198/5).

هذا وقد فسَّر بعض العلماء بعض الآيات التي ورد فيها كلمتا (المدينة) و (القرية)

بأسماء مدن وقرى محددة.

فمن ذلك تفسيرهم لقوله تعالى: **(فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا)** (الكهف: 77)، فالقرية المذكورة هي أنطاكية على قول بعض العلماء (الماوردي، النكت والعيون 330/3).

وقال تعالى: **(وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ)**(يس: 13)، قال الماوردي: هذه القرية هي أنطاكية في قول جميع المفسرين (النكت والعيون 10/5).

ومن ذلك تفسيرهم لقوله تعالى: **(وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ)** (الأعراف: 163)، قال بعض العلماء: هي (أيلة) – العقبة -، وقال آخرون: هي ساحل (مَدْين)، وقال آخرون: هي (مقنا) (الخالدي، تفسير الطبري تقريب وتهذيب 689/3).

ومن ذلك تفسيرهم لقوله تعالى: **(فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا)** (يونس: 98)، فقد روي عن جماعة من المفسرين أن قوم يونس كانوا بنينوى من أرض المَوْصل (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 384/8).

ومن ذلك تفسيرهم لقوله تعالى: **(وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ)** (الحجر: 67)، فالمدينة المذكورة هي مدينة سدوم عظمى قرى قوم لوط (الصابوني، صفوة التفاسير 113/2) ويقول تعالى: **(وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ)** (الفرقان: 40)، «أي: ولقد مرت قريش مراراً في متاجرهم إلى الشام على تلك القرية التي أهلكت بالحجارة من السماء وهي قرية (سدوم)» (المرجع السابق /ص 363).

وجاء التعبير عن قرى قوم لوط بالمؤتفكات مرة وبالمؤتفكة مرة أخرى، فقال تعالى: **(وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ)** (الحاقة: 9)، وقال **(وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى)** (النجم: 53)، والمؤتفكة: المنقلبة بالخسف، وهي مدائن قوم لوط.

فبعث الله عليهم جبريل فاحتملها بجناحه ثم صعد بها حتى إنَّ أهل السماء يسمعون نباح كلابهم وأصوات دجاجهم، ثم كفأها على وجهها، ثم أتبعها بالحجارة كما قال تعالى: **(وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ)** (هود: 82) (الماوردي، النكت والعيون 406/5).

ومن ذلك تفسيرهم لقوله تعالى: **(وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ)** (الزخرف: 31)، فالمقصود بالقريتين مكة والطائف، والمقصود بالرجل العظيم: الوليد بن المغيرة المخزومي، أو عروة بن مسعود الثقفي (تفسير أبي السعود 45/8).

ومن ذلك تفسيرهم لقوله تعالى: **﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾** (يوسف: 30)، ففي المدينة المذكورة قولان: أحدهما: مصر، والثاني: عين شمس (الماوردي، النكت والعيون 30/3).

وفي قوله تعالى: **﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾** (القصص: 15)، فالمدينة المذكورة هي منفيس أو عينِ شمس (أبو خليل، أطلس القرآن، ص294).

تدريب (5)

بيِّن المواطن التي بعث بها الأنبياء والمرسلون الذين ذكروا في القرآن.

أخي الدارس، أختي الدارسة، إن القرآن الكريم لم يقتصر في ذكره للأماكن على ذكر الأقطار والمدن والقرى فحسب، بل لقد ذكر القرآن بحاراً وأنهاراً وجبالاً، وأودية، ومساجد وأماكن أخرى.

فمن البحار التي أشار إليها القرآن:

البحر الأحمر، يقول تعالى مخاطباً بني إسرائيل: **﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾** (البقرة: 50).

فالبحر المذكور في الآية هو البحر الأحمر (الزحيلي، التفسير المنير 175/1).

ومن الأنهار التي ذكرها القرآن نهر النيل. يقول تعالى: **﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾** (القصص: 7)، فاليمّ هنا هو نهر النيل الذي كان يشق مدينة فرعون حيث منازل بني إسرائيل (ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير 16/26)، وأشار القرآن إلى نهر الأردن بقوله **﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾** (البقرة: 249)، فالنَّهر هو نهر الأردن بين فلسطين والأردن (أبو خليل، أطلس القرآن، ص306).

وذكر القرآن جبالاً باسمها كعرفات، قال تعالى: **﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ﴾** (البقرة: 198)، وعرفات: اسم لبقعة مخصوصة، وقيل: سميت بذلك لوقوع المعرفة فيها بين آدم وحواء، وقيل: بل لتعرف العباد إلى الله تعالى بالعبادات والأدعية (الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 561).

ومن الجبال التي ذكرها القرآن جبلا الصفا والمروة، يقول تعالى: **(إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ)** (البقرة: 158)، فالصفا والمروة اسم لجبلين بمقربة من البيت الحرام (الصابوني، صفوة التفاسير 108/1).

وذكر الله جبل الطور في كتابه أكثر من مرة، وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام، ولبركة هذا الجبل وشرفه أقسم الله به وسمي به سورة من سور القرآن هي سورة الطور، فقال الله في حقه **(وَالطُّورِ (1) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ)** (الطور: 1-2)، وقال تعالى: **(وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (1) وَطُورِ سِينِينَ)** (التين: 1-2)، قال الخازن: سمي (سينين) و(سيناء) لحسنه ولكونه مباركاً، وكل جبل فيه أشجار مثمرة يسمى سينين وسيناء (تفسير الخازن 4/ 266).

ومن الجبال التي ذكرها القرآن: الجودي، يقول تعالى: **(وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ)** (هود: 44)، فالجودي جبل بالجزيرة قرب الموصل (تفسير القاسمي 306/4).

وذكر القرآن أودية بعينها:

فمن الأودية التي ذكرها القرآن حنين، يقول تعالى: **(وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا)** (التوبة: 25)، فحنين واد بين مكة والطائف (صحيح مسلم بشرح النووي 113/12).

وحكى القرآن عن ثمود قوله تعالى: **(وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ)** (الفجر: 9)، والواد المذكور هنا هو وادي القرى في الحجر بين تبوك والمدينة المنورة (الصابوني، قبس من نور القرآن الكريم 196/16).

وذكر أن وادي النمل الذي مر به نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام يقع بظاهر عسقلان بين أسدود وغزة (أبو خليل، أطلس القرآن، ص 93) وقد جاء ذكر هذا الوادي في قوله تعالى: **(وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (17) حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)** (النمل: 17-18).

ولا تنس - أخي الدارس، أختي الدارسة – أن دعاء أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذي وصف فيه مكة بأنها واد غير ذي زرع فقال **(رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ**

غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ) (إبراهيم: 37).

هذا وقد ذكر القرآن مواقع أخرى لا يتسع المجال في هذا البحث الموجز لذكرها؛ لأنها تحتاج إلى مؤلفات مستقلة، لذا نكتفي - أخي الدارس، أختي الدارسة – بما ذكرنا.

والآن ندعوك – أخي الدارس، أختي الدارسة- لحل التدريب الآتي:

تدريب (6)

ذكر القرآن الكريم عدداً من المساجد المحددة، سجِّل ثلاثة منها مع الآيات الدالة عليها.

2.6 أطلس القرآن (أقوام)

أخي الدارس، أختي الدارسة، إن الناظر في كتاب الله عز وجل والمتأمل فيه يجد أن القرآن قد تحدث عن أقوام كثيرين، منهم الأمم، ومنهم الشعوب، ومنهم القبائل، ومنهم الجماعات، وإنَّ التعريف بهذه الأقوام ينطوي على أهمية كبيرة في التعرف على أناس كان لهم الدور البارز على هذه الأرض مما يعين على أخذ العبر والانتفاع بها، كما يساعد على التعرف على مراد الله عز وجل في كثير من آيات الكتاب التي تحدثت عن قصص الأمم والشعوب.

وفيما يلي بيان موجز لهذه الأقوام التي ذكرها القرآن أو أشار إليها، نرتبها لك - أخي الدارس - حسب حروف الهجاء تيسيراً لسردها وبيان المقصود منها:

1. إرم:

جاء ذكر (إرم) في قوله تعالى: **(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ)** (الفجر: 6-7). وفي بيان معنى (إرم)، قال فريق من العلماء، هي اسم بلدة، وقال آخرون: هي أمة، وقال فريق ثالث: (إرم) القديمة، وقال فريق رابع: (إرم) قبيلة من عاد، وقال فريق خامس: (إرم) الهالك.

ورجح الطبري رحمه الله القول بأن (إرم): اسم قبيلة من عاد، هي بيت ملكها، ولهذا جاءت في الإعراب بدلاً منها (بعادٍ إرمَ ذات العماد)، فجاءت عاد منونة، وجاءت (إرم) بدلاً ممنوعة من الصرف (الخالدي، تفسير الطبري تقريب وتهذيب 621/7).

2. الأسباط:

ورد ذكر الأسباط في أكثر من آية من كتاب الله عز وجل، من ذلك قوله تعالى: **(قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ)** (البقرة: 136).

قال القرطبي رحمه الله «والأسباط: ولد يعقوب عليه السلام، اثنا عشر ولداً، ولد لكل واحد منهم أمة من الناس؛ وأحدهم سبط. والسبط في بني إسرائيل بمنزلة القبيلة في ولد إسماعيل. وسمّوا الأسباط من السِّبط وهو التتابع؛ فهم جماعة متتابعون. وقيل: أصله من السَّبَط (بالتحريك) وهو الشجر، أي هم في الكثرة بمنزلة الشجر، الواحدة سبطة» (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 141/2).

3. أصحاب الأخدود:

جاء في سورة البروج قوله تعالى: **(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (2) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (3) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ)** (البروج: 1-4)) «أي لعن أصحاب الأخدود، وجمعه أخاديد: وهي الحفر في الأرض. وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله عز وجل فقهروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم فأبوا عليهم فحفروا لهم في الأرض أخدوداً، وأججوا فيه ناراً وأعدوا لها وقوداً يسعّرونها به، ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم فقذفوهم فيها» (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 526/4).

ويذكر بعض المفسرين والمؤرخين أن الملك الظالم الذي أمر بحرق المؤمنين لرفضهم الارتداد عن دينهم هو (يوسف ذو نواس) من ملوك حمير، المتوفى سنة (524م) الذي كان متعصباً لليهودية، فاضطهد نصارى نجران، وخيرهم بين الحريق بالنار أو الخروج عن دينهم، فأبوا فحرقهم سنة (523م)، مما دفع نجاشي الحبشة النصراني للانتقام لهم (أبو خليل، أطلس القرآن، ص 149).

4. أصحاب الأيكة:

يقول تعالى: **(وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ)** (الحجر:78). قال الآلوسي رحمه الله: أصحاب الأيكة: هم قوم شعيب عليه السلام. والأيكة في الأصل الشجرة الملتفة واحدة الأيك، قال الشاعر:

تجلو بقادمتي حمامة أيكة

بردا أسف لثانه بالإثْمِدِ

والمراد بها غيضة أي بقعة كثيفة الأشجار بناء على ما روي أن هؤلاء القوم كانوا يسكنون الغيضة، وعامة شجرها الدوم، وقيل السدر – فبعث الله تعالى إليهم شعيباً فكذبوه فأهلكوا. وقيل: بلدة كانوا يسكنونها وإطلاقها على ما ذكر إما بطريق النقل أو تسمية المحل باسم الحال فيه ثم غلب عليه حتى صار علما. (الآلوسي، روح المعاني 75/14).

5. أصحاب الجنة:

ورد ذكر أصحاب الجنة في سورة القلم حيث يقول تعالى: **(إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ)** (القلم: 17). وفي التعريف بأصحاب الجنة، جاء في التفسير المنير «روي أن واحداً من ثقيف، وكان مسلماً، كان يملك ضيعة فيها نخل وزرع بقرب صنعاء، وكان يجعل من ناتجها عند الحصاد نصيباً وافراً للفقراء فلما مات، ورثها منه بنوه، ثم قالوا: عيالنا كثير، والمال قليل، ولا يمكننا أن نعطي المساكين مثلما كان يفعل أبونا، فأحرق الله جنتهم» (الزحيلي، التفسير المنير 63/15).

6. أصحاب الحجر:

يقول تعالى: **(وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ)** (الحجر: 80).

وأصحاب الحجر: هم ثمود، قوم صالح عليه السلام، سمّوا بأصحاب الحجر لأنهم سكنوا وأقاموا فيها (الماوردي، النكت والعيون 169/3).

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: مررنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الحجر. فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، إلا أن تكونوا باكين، حذرا أن يصيبكم مثل ما أصابهم». (أخرجه البخاري برقم 3378، 3379، ومسلم برقم: 2981).

7. أصحاب الرس:

جاء ذكر (أصحاب الرس) مرتين في القرآن الكريم، هما: **(وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ**

الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا) (الفرقان: 38). **(كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ)** (ق: 12).

والرسُّ في اللغة: البئر المطوية بالحجارة، وقيل: إنها بئر معينة كانت لبطن من قبيلة ثمود، فعرفوا بأصحاب الرس، كما قيل: إنهم عرفوا بهذا الاسم لأنهم ألقوا النبي الذي أرسله الله إليهم في رس – في بئر-.

وبعض المفسرين يذهبون إلى أن أصحاب الرس هم أصحاب الأخدود (أبو خليل، أطلس القرآن، ص 125).

8. أصحاب الفيل:

يقول تعالى: **(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (2) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (3) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (4) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ)** (سورة الفيل).

روي أن أبرهة الأشرم ملك اليمن بنى كنيسة عظيمة بصنعاء، وأراد أن يصرف إليها حجيج العرب، وزينها بالرخام والجوهر المرصع، وجعل فيها صليباً من الذهب والفضة، وكتب إلى النجاشي ملك الحبشة، إني قد بنيت لك كنيسة، لم يبن مثلها لملك قبلك، ولست أرضى حتى أصرف الناس عن حج بيت الله الحرام إليها، وسمع العرب بذلك، فخرج رجل من بني كنانة، حتى أتى صنعاء، فدخل الكنيسة ليلاً فتغوط فيها ولطخ جدرانها بالنجاسة والأقذار، احتقاراً لها، وإغاظة للملك، فلما رأى السدنة تلك النجاسة، رفعوا الأمر إلى الملك (أبرهة) وقالوا: إنما صنع هذا بعض قريش غضباً لبيتهم، الذي عزمت أن تصرف الناس عنه، فغضب أبرهة وأقسم أن يهدم الكعبة حجراً حجراً، وجاء مكة بجيش عظيم عرمرم، يركبون على أفيال، يتقدمهم فيل هو أعظم الفيلة، فلما وصل فر أهلها إلى الجبال، خوفاً من جيشه وجبروته، وأرسل الله على جيش أبرهة الأشرم طيوراً سودا، في مناقيرها وأظافيرها الحجارة. مع كل طائر ثلاثة أحجار، حجر في منقاره، وحجران في رجليه، فرمتهم الطير بالحجارة، فكان الحجر يدخل في رأس الرجل، ويخرج من دبره، وينفذ من الفيل فيخرق في الأرض، ففروا وهلكوا في كل طريق ومنهل، وجعل الله قصتهم عبرة للمعتبرين (الصابوني، قبس من نور القرآن الكريم 356/16).

9. أصحاب القرية:

يقول تعالى: **(وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ)** (يس:13).

سبق أن بينا أن القرية المذكورة في الآية هي (أنطاكية) كما قال المفسرون، وأصحاب تلك القرية هم أهلها، أما المرسلون إلى تلك القرية فقد اختلف أهل العلم فيهم على أقوال:

1. فقال بعضهم: كانوا رسل عيسى بن مريم عليه السلام، فهو الذي أرسلهم إلى تلك القرية. وهذا قول قتادة.
2. وقال آخرون: كانوا أنبياء، أرسلهم الله إلى أهل تلك القرية، وهذا قول ابن عباس (الخالدي، تفسير الطبري تقريب وتهذيب 307/6).

10. أصحاب الكهف

هم فتية مؤمنون خرجوا من أوطانهم، فراراً بدينهم، خوفاً من بطش أحد الملوك الظالمين، الذي كان يجبر الناس على الوثنية، وعبادة الأصنام، ويقتل كل مؤمن لا يستجيب لدعوته الضالة، حتى عظمت فتنته، واستطار شره وبلاؤه، فهرب هؤلاء الفتية المؤمنون من وجهه حتى لجأوا إلى كهف في أحد الجبال، وألقى الله عليهم النوم، فناموا فيه ثلاثمائة وتسع سنين دون موت، ثم بعثهم الله بعد تلك المدة الطويلة، وكان ذلك من آيات الله الباهرة، ودلائله الساطعة، على إمكان البعث والنشور، الذي أنكره الكثيرون من الخلائق في شتى الأزمنة والعصور، وهو أحد أهم أركان الإيمان، بعد الإيمان بوجود الله ووحدانيته، وفي هذه القصة رمز للتضحية بالنفس، في سبيل العقيدة والإيمان، وهي رمز (البطولة) و (الشجاعة)، ومن أجل هذه الحادثة العجيبة سميت السورة الكريمة (سورة الكهف). (الصابوني، قبس من نور القرآن الكريم 8/7).

11. بنو إسرائيل

إسرائيل اسم لنبي الله يعقوب، ويعقوب هو ابن نبي الله إسحاق، وإسحاق ابن نبي الله إبراهيم، عليهم الصلاة والسلام، فبنو إسرائيل – على هذا – هم أبناء يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وهم أيضاً اليهود الذين عرفهم الناس قديماً وحديثاً بهذا الاسم. (البهي الخولي، بنو إسرائيل في ميزان القرآن، ص 41).

ورد ذكر بني إسرائيل في القرآن بأسمائهم المختلفة (بنو إسرائيل، اليهود، الذين هادوا) في مواطن كثيرة، من ذلك قوله تعالى: **(يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ)** (البقرة: 40)، وقوله: **(لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا)** (المائدة: 82)، وقوله: **(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)** (البقرة: 62).

هذا وقد أسهب القرآن الكريم في الحديث عن بني إسرائيل مبيناً خباياهم وخفاياهم، وما انطوت عليه أنفسهم من انحراف والتواء، وما يمارسونه من فساد وإفساد، فأنزل الله فيهم سوراً، وآيات. فسورة الإسراء تتحدث في بعض آياتها عن بدايات بني إسرائيل ونهاياتهم لذا سميت بسورة بني إسرائيل.

وسورة الحشر تحدثنا عن قبيلة من قبائل اليهود سكنت بجوار المدينة المنورة، وهي قبيلة بني النضير التي تآمرت على النبي صلى الله عليه وسلم تبغي قتله، حتى إن السورة سميت باسمهم (سورة بني النضير)، وسورة الأحزاب تحدثنا عن قبيلة أخرى من قبائلهم نقضت العهد والميثاق مع المسلمين هي قبيلة بني قريظة.

كما تحدثت سورتا آل عمران والحشر في بعض آياتهما عن قبيلة بني قينقاع.

12. ثمود:

هم قوم صالح – عليه السلام – وهم قبيلة مشهورة، يقال لهم ثمود باسم جدهم ثمود أخي جديس، وثمود مأخوذ من الثمد وهو الماء القليل الكدر، قال النابغة:

واحكم بحكم فتات الحي إذ

نظرت إلى حمام سراع وارد الثمد.

وكانوا عرباً من العاربة، يسكنون الحجر الذي بين الحجاز وتبوك - وقد مر به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو ذاهب إلى تبوك بمن معه من المسلمين- وكانوا بعد قوم عاد، وكانوا يعبدون الأصنام كأولئك، فبعث الله فيهم رجلاً منهم، وهو عبد الله ورسوله صالح، فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأن يخلعوا الأصنام والأنداد ولا يشركوا به شيئاً، فآمنت به طائفة منهم، وكفر جمهورهم، ونالوا منه بالمقال والفعال وهمّوا بقتله، وقتلوا الناقة

التي جعلها الله حجة عليهم، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر (الماوردي، النكت والعيون 344/5، سليم الهلالي، صحيح قصص الأنبياء، ص 89).

13. الروم:

اسم غلب في كلام العرب على أمة مختلطة من اليونان والصقالبة ومن الرومانيين الذين أصلهم من اللاطينيين - سكان بلاد ايطاليا- نزحوا إلى أطراف شرق أوروبا. تقومت هذه الأمة المسماة (الروم) على هذا المزيج فجاءت منها مملكة تحتل قطعة من أوروبا وقطعة من آسيا الصغرى، وهي بلاد الأناضول.

وقد أطلق العرب على مجموع هذه الأمة اسم (الروم) تفرقة بينهم وبين الرومان اللاطينيين وسموا الروم أيضاً ببني الأصفر، وكانوا أمة ذات مدنية وحضارة وقوة. وكانوا نصارى (ابن عاشور، التحرير والتنوير 7/21-8، الزحيلي: التفسير المنير 48/11). ورد ذكرهم في كتاب الله عز وجل في سورة سميت باسمهم حيث يقول تعالى: **(الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ)** (الروم: 1-3).

14. الصابئون

جاء ذكر الصابئة في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع هي قوله تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)** (البقرة: 62). وقوله **(إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)** (المائدة: 69). وقوله **(إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)** (الحج: 17).

واختلف في المأخوذ منه هذا الاسم، على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه مأخوذ من الطلوع والظهور، من قولهم: صبا ناب البعير: إذا طلع، وهذا قول الخليل.

والثاني: أن الصابئ: الخارج من شيء إلى شيء، فسمي الصابئون بهذا الاسم، لخروجهم من

اليهودية والنصرانية، وهذا قول ابن زيد.

والثالث: أنه مأخوذ من قولهم: صبا يصبو، إذا مال إلى الشيء وأحبه، وهذا قول نافع، ولذلك لم يهمز (الماوردي: النكت والعيون 132/1-133).

واختلف أهل التأويل فيمن ينطبق عليهم اسم (الصابئين):

1. قال مجاهد وقتادة وابن زيد: الصابئون قوم في شمال العراق ليسوا بمجوس، ولا يهود، ولا نصارى، وهم لا دين لهم.
2. وقال أبو العالية: الصابئون قوم يعبدون الملائكة ويصلون إلى القبلة.
3. وقال السدّي: هم طائفة من أهل الكتاب، والمشهور هو القول الأول.

(الخالدي، تفسير الطبري، تقريب وتهذيب 254/1).

15. عاد:

هو اسم رجل كان من العماليق، كثر ولده، فصاروا قبائل، وهم قوم هود عليه السلام، وكانوا عرباً يسكنون الأحقاف – وهي جبال الرمل – وكانت باليمن بين عُمان وحضرموت بأرض مطلة علي البحر، يقال لها: الشِّحْر، واسم واديهم مغيث.

وكانوا كثيراً ما يسكنون الخيام، ذوات الأعمدة الضخام، كما قال تعالى: **(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ)** (الفجر: 6-7).

وكانوا أول من عبد الأصنام بعد الطوفان، فبعث الله فيهم أخاهم هودا – عليه السلام – فدعاهم إلى الله والى إفراده بالعبادة والإخلاص له، فكذبوه وخالفوه، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر (الماوردي، النكت والعيون 344/5، سليم الهلالي، صحيح قصص الأنبياء، ص 73 وما بعدها).

16. المنافقون:

النفاق: هو إظهار الخير وإسرار الشر، وهو أنواع: اعتقادي وهو الذي يخلد صاحبه في النار، وعملي: وهو من أكبر الذنوب (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 91/1).

وقد رأينا القرآن الكريم يتحدث في المدني خاصة عن طائفة أطلق عليها اسم المنافقين، وهم الذين فسد باطنهم كالكافرين، ولكنهم ظهروا بين المسلمين كالمسلمين، قالوا كلمة التوحيد

كما يقولون، وصلوا كما يصلون، وظنوا أنهم يخادعون الله ورسوله والمؤمنين.

ولم تظهر هذه الطائفة إلا في المدينة حيث تكَوَّنَ المسلمون، وقويت شوكتهم، وأخافوا غيرهم، فضعفت طائفة عن المجاهرة بالكفر والعناد فكتموه في نفوسهم، فهؤلاء هم المنافقون. (محمود شلتوت، تفسير القرآن الكريم، ص 69-70).

فهم شر من الكافرين، لذا قال الله فيهم **(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ)** (النساء: 145).

هذا وقد أسهب القرآن الكريم في بيان حالهم وكشف حقائقهم، وفضح خباياهم وخفاياهم، فما تكاد سورة مدنية لا تتحدث عنهم، بل إن الله سمى سورة باسمهم، هي سورة (المنافقون)، وفضح أحوالهم في سورة التوبة التي من أسمائها (الفاضحة).

17. النصارى:

ورد ذكر النصارى في القرآن الكريم في مواطن كثيرة منها قوله تعالى **(وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ)** (البقرة: 111)، وقوله **(وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ)** (البقرة: 113)، وآيات أخرى كثيرة.

والنصارى جمع، ومفرده المذكر نصران والمؤنث نصرانة، كسكارى جمع لسكران وسكرانة، وعن سيبويه أن المفرد من نصارى لا يستعمل إلا مع ياء النسبة، فيقال: نصراني ونصرانية (محمد جواد مغنية، التفسير الكاشف 116/1-117).

وهناك قولان في سبب تسميتهم (النصارى):

الأول: لتناصرهم فيما بينهم، ونصرة بعضهم بعضاً، من التناصر والتعاون، قال تعالى: **(كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ)** (الصف: 14).

الثاني: سمّوا (نصارى) نسبة إلى مدينة (الناصرة) في شمال فلسطين، نزل فيها عيسى بن مريم – عليه السلام – ونزل فيها الحواريون معه.

وكان يقال: عيسى الناصري، ويقال: الناصريون، ثم قيل لهم نصارى (الخالدي، تفسير الطبري تقريب وتهذيب 253/1).

يأجوج ومأجوج:

ذكرت يأجوج ومأجوج مرتين في القرآن:

الأولى: في سورة الكهف في قوله تعالى: **(قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا)** (الكهف: 94).

الثانية: في سورة الأنبياء في قول الله تعالى: **(حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (69) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ)** (الأنبياء: 96-97).

فآيات سورة الكهف تتحدث عن يأجوج ومأجوج فيما مضى، وتخبر عن إفسادهم في الأرض، وإقامة ذي القرنين السد أمامهم، وعجزهم عن الظهور على السد أو نقبه، زمن ذي القرنين وبعده.

وآيات سورة الأنبياء تتحدث عن يأجوج ومأجوج في المستقبل، وعن خروجهم الكبير قبل قيام الساعة (الخالدي، مع قصص السابقين في القرآن، ص 480).

ويأجوج ومأجوج طائفتان من الترك، وهي في منطقة الشرق الأقصى، مابين روسيا وأفغانستان وبلاد القوقاز. وهم من ذرية آدم عليه السلام (يقول الله تعالى يوم القيامة: يا آدم. فيقول: لبيك وسعديك، فينادي بصوت: ابعث بعث النار، فيقول: كم؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة، فيومئذٍ يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها، فيقال: أبشروا فإن في يأجوج ومأجوج لكم فداء وفي رواية: إن فيكم أمتين ما كانتا في شيء إلا كثرتاه: يأجوج ومأجوج) رواه البخاري في صحيحه (محمد عبد الملك الزعبي، علامات الساعة، ص 34).

هذه – أخي الدارس، أختي الدارسة – أهم الأمم والأقوام الذين ورد ذكرهم في كتاب الله، ولا شك أن هناك أقواماً آخرين لا يتسع المجال لذكرهم.

والآن – أخي الدارس، أختي الدارسة – أجب عن النشاط الآتي:

نشاط (6)

عرِّف بالأقوام التالية أسماؤهم:

1. المهاجرون
2. الأنصار
3. الحواريون
4. الأعراب
5. المجوس

?

أسئلة التقويم الذاتي (5)

1. ما المقصود بأطلس القرآن (أماكن)

2. ما المقصود بأطلس القرآن (أقوام)

3. كم مرة ورد ذكر مصر في القرآن؟

4. بم فسر ابن كثير رحمه الله قوله تعالى: **(وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (1) وَطُورِ سِينِينَ (2) وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ)**؟

5. سجِّل ثلاث آيات أشارت إلى بيت المقدس.

6. ما المدينة المرادة في الآيات التالية؟

* **(وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ)** (الحجر: 67).
* **(وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ)** (يوسف: 30).
* **(وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا)**(القصص: 15).

7. عدِّد ثلاثة جبال ذكرها القرآن مع إيراد الآية الدالة على ذلك.

8. عرِّف بالأقوام التالية أسماؤهم:

* أصحاب الأيكة
* أصحاب الجنة
* أصحاب الفيل
* ثمود
* عاد

7. الخلاصة

درست في هذه الوحدة حفظ القرآن الكريم وتدوينه وترجمته وأطلسه، ويحسن بنا ها هنا أن نوجز أهم الأفكار الرئيسة التي وردت في هذه الوحدة:

أولاً: إن القرآن الكريم حفظ في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - والصحابة رضوان الله عليهم في الصدور والسطور كما هو بين أيدينا من غير زيادة ولا نقصان.

ثانياً: جمع القرآن في ثلاثة عهود، عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وعهد أبي بكر، ونسخ زمن عثمان رضي الله عنه، وكان لكل جمع مسوغاته ومنهجه وخصائصه.

ثالثاً: معنى السور والآيات، وأقسام السور: الطوال، المئون، المثاني، المفصل.

رابعاً: ترتيب الآيات في السور ترتيب توقيفي من الله لا مجال للاجتهاد والرأي فيه.

خامساً: ترتيب السور في المصحف ترتيب توقيفي.

سادساً: الرسم العثماني: وهو الوضع الذي ارتضاه عثمان رضي الله عنه، ومن كان معه من الصحابة في كتابة كلمات القرآن، ورسم حروفه في المصحف وأجمع عليه الصحابة والأمة.

سابعاً: للرسم العثماني قواعده المرعية وفوائده المتعددة.

ثامناً: أجمع العلماء على وجوب التزام رسم المصحف العثماني وحرمة مخالفته.

تاسعاً: جرى نقط المصحف وشكله وتجزئته وتحزيبه لتحقيق فوائد عديدة، منها سهولة قراءته وعدم اللحن فيه.

عاشراً: ترجمة القرآن الكريم وحكمها، وهي قسمان: ترجمة تفسيرية، وهي جائزة. وترجمة حرفية، وهي محرمة. ثم إن الترجمة التفسيرية هي ترجمة تفسير القرآن لذا لا تعد قرآناً، ولا يقرأ بها في الصلاة، ولا يتعبد بتلاوتها وليست معجزة.

حادي عشر: ذكر القرآن الكريم في مسيرة هديه الطويلة أقواماً مخصوصين يحصل في التعرف عليهم والتعريف بهم فوائد جليلة وعبر شتى.

ثاني عشر: أشار القرآن الكريم إلى أماكن مخصوصة ومواقع محددة على هذه الأرض، فأشار إلى أقطار ومدن وقرى وجبال وبحار يحصل في التعرف عليها علم نافع وعبر كثيرة.

8. لمحة عن الوحدة الدراسية الثالثة

أخي الدارس: بعد دراستنا لموضوعات الوحدة الثانية من هذا المقرر، ننتقل الآن إلى الوحدة الثالثة التي تشتمل على الموضوعات التالية من علوم القرآن: الأحرف السبعة، القراءات القرآنية، الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه.

وسوف تدرك - أخي الدارس - بعد دراستك لهذه الموضوعات ومفرداتها مدى العلاقة بينها وبين الموضوعات السابقة؛ إذ يتعذر العلم بموضوعات القرآن عامة، وهذه خاصة - أعني - الأحرف السبعة، والقراءات والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه - من غير أن يكون القرآن محفوظاً حاضراً في الصدور أو السطور، ومعلوماً من حيث رسمه وشكله وترتيبه، وإدراك معانيه ومقاصده.

9. إجابات التدريبات

تدريب (1)

أ- 2: حفظه في الصدور وكتابته وتدوينه في الرقاع والعسب.

ب- 1: معاضدة المكتوب للمحفوظ؛ لأنه المعوَّل عليه عند الجمع، ثم عدم الاعتماد على الحفظ في الصدور؛ لأن الحفاظ عرضة للموت والنسيان.

تدريب (2)

أ- 3: جماعيا عن رضا الصحابة وإجماعهم.

ب- 4: جميع ما تقدم.

تدريب (3)

1- توقيفي

تدريب (4)

كل ما ذكر صحيح.

تدريب (5)

المواطن التي بعث بها النبيون والمرسلون المذكورون في القرآن:

أولاً: جزيرة العرب، حيث بعث فيها:

(آدم – هود – صالح – إسماعيل – شعيب – محمد) عليهم الصلاة والسلام.

ثانياً: أرض العراق، وبعث فيها:

(إدريس- نوح – إبراهيم – يونس) عليهم الصلاة والسلام.

ثالثاً: بلاد الشام وفلسطين، وقد بعث فيها:

(لوط - اسحق – يعقوب - أيوب – ذو الكفل – داود – سليمان – إلياس – اليسع – زكريا – يحيى - عيسى) عليهم الصلاة والسلام.

رابعاً: مصر، وقد بعث فيها:

(يوسف-موسى-هارون) عليهم الصلاة والسلام.

تدريب (6)

ثلاثة مساجد أشار إليها القرآن بالاسم أو بالوصف:

1. المسجد الحرام بمكة المكرمة
2. المسجد الأقصى المبارك في بيت المقدس وفيهما يقول الله تعالى **(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)** (الإسراء: 1).
3. مسجد قباء أو مسجد التقوى، وفيه يقول الله تعالى: **(لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ)** (التوبة: 108)، وقباء قرب المدينة المنورة وفيها مسجد التقوى، وهو أول مسجد بني في الإسلام، وفيه أقيمت أول جمعة في الإسلام.

10. مسرد المصطلحات

- **أطلس القرآن (أقوام):** الجماعات والقبائل والشعوب والأمم التي ذكرها القرآن أو أشار إليها.
- **أطلس القرآن (أماكن):** الأماكن المعينة والمواقع المحددة التي ذكرها القرآن أو أشار إليها. وقد يكون قطراً أو مدينة أو قرية أو بحراً أو جبلاً أو مكاناً آخر.
- **الآية:** طائفة من الكلمات القرآنية لها مطلع ومقطع مندرجة في السورة القرآنية معروفة بالنقل – بالنص-.
- **ترتيب الآيات:** ترتيبها في سور القرآن مثلما هي في المصحف.
- **ترتيب السور:** ترتيبها في القرآن الكريم على ما هو عليه تبدأ بالفاتحة فالبقرة فآل عمران، وهكذا....إلى سورة الناس.
- **ترجمة القرآن:** تفسيره وبيان معانيه ومقاصده بلغة غير لغته.
- **توقيفي:** ما ورد عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - مما لا مجال لاجتهاد أحد فيه، وهو واجب الالتزام والاحترام ولا تجوز مخالفته.
- **جمع القرآن:** حفظ القرآن الكريم في الصدور وكتابته وتدوينه في السطور والصحف.
- **جمع القرآن على عهد عثمان رضي الله عنه:** نسخ القرآن الكريم المجموع على عهد أبي بكر رضي الله عنه في مصاحف، وإرسالها إلى الأمصار الإسلامية.
- **الرسم العثماني:** الوضع الذي ارتضاه عثمان بن عفان رضي الله عنه ومن كان معه من الصحابة في كتابة كلمات القرآن، ورسم حروفه في المصحف الإمام والمصاحف المنسوخة التي وجه بها إلى الآفاق.
- **السورة:** طائفة من الآيات القرآنية الكريمة لها فاتحة وخاتمة.
- **كتّاب الوحي:** مجموعة من الصحابة اختارهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لكتابة وتدوين ما كان يتنزل عليهم من القرآن الكريم منهم الخلفاء الأربعة وزيد بن ثابت وأبي بن كعب وثابت بن قيس وخالد بن الوليد ومعاوية بن أبي سفيان.

11. المراجع



1. ابن أبي داود، عبد الله بن أبي داود بن الأشعث السجستاني، 1985م، **كتاب المصاحف**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
2. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، 1969م، **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، مكتبة الحلواني.
3. إسماعيل، محمد بكر، 1419هـ - 1999م، **دراسات في علوم القرآن**، دار المنار، القاهرة، ط2.
4. البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، مكتبة المعارف، الرياض.
5. بوكاي، موريس، 1976م، **القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم**، دار المعارف، القاهرة.
6. البيضاوي، القاضي أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي، 1408هـ - 1988م، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
7. الجزائري، الشيخ طاهر بن صالح بن أحمد الجزائري الدمشقي، **التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتقان**، مطبعة المنار.
8. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد القرشي، 2002، **زاد المسير في علم التفسير**، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع.
9. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، إدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض.
10. ابن حزم، علي بن أحمد، **المحلى**، تحقيق: أحمد شاكر، دار الفكر، بيروت.
11. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، 1418هـ - 1997م، **تفسير الطبري، تقريب وتهذيب**، خرج أحاديثه: إبراهيم محمد العلي، دار القلم، دمشق والدار الشامية، بيروت، ط1.
12. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، 1425هـ - 2004م، **مع قصص السابقين في القرآن**، دار القلم، دمشق، ط4.
13. أبو خليل، شوقي، 1423هـ، **أطلس القرآن**، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق.

14. دراز، محمد عبد الله، 1980م، **مدخل إلى القرآن الكريم**، دار القلم، الكويت.
15. دراز، محمد عبد الله، 1977م، **النبأ العظيم**، دار القلم، الكويت.
16. الرشيد، صالح بن محمد، 1424هـ، **المتحف في أحكام المصحف**، مؤسسة الريان، لبنان، ط1.
17. رضا، محمد رشيد، **تفسير القرآن الحكيم الشهير بالمنار**، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
18. الزحيلي، وهبة، 1424هـ - 2003م، **التفسير المنير**، دار الفكر، دمشق، ط2.
19. زرزور، عدنان، 1981م، **علوم القرآن**، المكتب الإسلامي، دمشق.
20. الزرقاني، محمد عبد العظيم، 1954م، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
21. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، 1972م، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط2.
22. الزمخشري، محمود بن عمر، 1966م، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.
23. أبو زهرة، محمد، **أبو حنيفة: حياته وعصره**، دار الفكر العربي، القاهرة.
24. أبو زهرة، محمد، **المعجزة الكبرى: القرآن**، دار الفكر العربي، القاهرة.
25. ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى**، دار صادر، بيروت.
26. أبو السعود، محمد بن محمد العمادي الحنفي، **تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
27. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، 1951م، **الإتقان في علوم القرآن**، مصطفى البابي الحلبي وشركاه، ط3.
28. الشافعي، محمد بن إدريس، 1939م، **الرسالة**، تحقيق: أحمد شاكر.
29. أبو شهبة، محمد، 1987م، **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، دار اللواء، الرياض، ط3.
30. الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند، **الفتاوي الهندية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
31. الصابوني، محمد علي، **صفوة التفاسير**، مكتبة جدة، جدة

32. الصابوني، محمد علي، 1997، **قبس من نور القرآن الكريم**، دار السلام، القاهرة.
33. الطبرسي، الفضل بن الحسن، **مجمع البيان في تفسير القرآن**، ط3 /1383هـ، طهران.
34. ابن عاشور، محمد الطاهر، **تفسير التحرير والتنوير**، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.
35. عباس، فضل حسن، 1997م، **إتقان البرهان في علوم القرآن**، دار الفرقان، عمان، ط1.
36. عبد الباقي، محمد فؤاد، 1977م، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت.
37. ابن عطية، القاضي عبد الحق غالب، 1974م، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: أحمد صادق الملاح، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.
38. ابن عقيلة المكي، محمد بن أحمد، 2006، **الزيادة والإحسان في علوم القرآن**، مركز البحوث والدراسات، جامعة الشارقة، الإمارات.
39. ابن قدامة، عبد الله أحمد بن محمد المقدسي، 1981م، **المغني في الفقه**، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
40. القرطبي، أبو بكر محمد بن أحمد الأنصاري، 1965م، **الجامع لأحكام القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
41. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، 1406هـ، **تفسير القرآن العظيم**، دار المعرفة، بيروت، ط1.
42. لاشين، موسى شاهين، **اللآلئ الحسان في علوم القرآن**، دار الشروق، القاهرة.
43. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، 1992م، **النكت والعيون**، مؤسسة الكتب الثقافية ودار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
44. المشني، مصطفى، 1990م، **ابن العربي وتفسيره أحكام القرآن**، دار الجيل، بيروت، ط1.
45. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت.


الوحدة الثالثة
قراءات القرآن وناسخه ومنسوخه

محتويات الوحدة

1. المقدمة

1.1 تمهيد

أخي الدارس، أختي الدارسة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد:

فهذه هي الوحدة الثالثة من مقرر علوم القرآن في برنامج التربية، تخصص التربية الإسلامية. وموضوع هذه الوحدة هو: "قراءات القرآن وناسخه ومنسوخه"، ليعرف الدارس قراءات القرآن، والأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، باعتبار هذه المباحث موضوعات أساسية في علوم القرآن، وهي ضرورية لحسن فهم القرآن الكريم، ولا بد منها لتفسيره.

تتكون هذه الوحدة من أربعة أقسام، عدا المقدمة والأقسام الختامية.

يتحدث القسم الأول عن الأحرف السبعة التي أنزل الله القرآن بها، فيعرف هذه الأحرف، ويورد أحاديث صحيحة في إنزالها، ويستخلص الحكمة من ذلك، ويبين المراد بها، ووجودها في المصحف.

ويهتم القسم الثاني بالقراءات القرآنية، فيعرفها، ويبين الحكمة من تعددها، ويقدم شروط القراءة الصحيحة، ويتكلم عن القرءات السبع، ويعرض نموذجاً تطبيقياً لهذه القراءات.

ويعرض القسم الثالث موضوع الناسخ والمنسوخ في القرآن فيبين معنى النسخ في اللغة والاصطلاح، والحكمة من وجود النسخ في القرآن، ويتحدث عن شروط النسخ ومجالاته، وأنواعه.

ويعالج القسم الرابع موضوع المحكم والمتشابه في القرآن، فيبين معنى كل من المحكم والمتشابه، ويتحدث عن الإحكام العام والإحكام الخاص، والتشابه العام والتشابه الخاص، ويفرق بين التشابه اللفظي، والتشابه الموضوعي في القرآن، ويقدم الخلاف في تأويل المتشابه، وما يمكن تأويله منه، وما لا يمكن تأويله.

وقد حرصنا في هذه الوحدة، على تقديم خلاصة نافعة وموجزة عن موضوعات أقسام هذه الوحدة لك أيها الدارس، استقيناها من الدراسات الأصلية في علوم القرآن، وذكرنا الراجح من مسائل وقضايا هذه الموضوعات، ولم نذكر لك الأقوال المختلفة المتعارضة فيها، حتى لا تتيه في تلك الخلافيات.

وقدمنا في ثنايا هذه الوحدة تدريبات عديدة، بقصد استثارة الدافعية للتعليم في أثناء قراءة الوحدة، وهذه التدريبات ذات طبيعة متباينة، ويمكن للدارس أن يجيب عن بعضها عند قراءته المتأنية للوحدة، وتطالب تدريبات أخرى بالعودة إلى مصادر أخرى في الموضوع.

وننصح لك بمناقشة إجابات التدريبات مع مشرفك الأكاديمي، وتجد في نهاية كل قسم من أقسام الوحدة أسئلة التقويم الذاتي، ويمكنك الاجابة عنها من خلال قراءتك المتأنية للنص.

وقدمنا في آخر الوحدة خلاصة موجزة لها، وإجابات لتدريباتها، ومسرداً بأهم مصطلحاتها، وقائمة بمراجعها.

أخي الدارس، أختي الدارسة، أهلاً بكم مرة أخرى إلى هذه الوحدة، ونرجو أن يستمتع كل منكم بدراستها، وأن يستفيد منها. وعند وجود أي استفسارات لا تتوان عن الاتصال بمشرفك الأكاديمي.

2.1 أهداف الوحدة

أخي الدارس، أختي الدارسة، بعد الانتهاء من دراسة هذه الوحدة، وحل تدريباتها، ينبغي أن تكون قادراً على أن:

1- تحدد المراد من مصطلح الأحرف السبعة، والحكمة من إنزال القرآن بها.

2- تبين الأحرف السبعة في القرآن.

3- تعرف حكم القراءات القرآنية، والحكمة من تعددها.

4- تعدد شروط القراءة الصحيحة.

5- تميز بين القراءات المتعددة، عند سماعك لها.

6- تذكر حكمة النسخ في القرآن.

7- تحدد بعض مواطن النسخ في القرآن.

8- توضح معنى مصطلح «المحكم والمتشابه» في القرآن.

9 - تميز بين المتشابه اللفظي والمتشابه الموضوعي في القرآن.

10- تستخلص الاختلاف في تأويل المتشابه.

3.1 أقسام الوحدة

يتألف النص الرئيس في الوحدة من أربعة أقسام رئيسة، ترتبط بقائمة الأهداف سابقة الذكر على النحو الآتي:

الأول: الأحرف السبعة. ودراسة هذا القسم يمكنك -عزيزي الدارس- من تحقيق الهدفين الأول والثاني.

الثاني: القراءات القرآنية. ودراسة هذا القسم تساعدك -عزيزي الدارس- على تحقيق الأهداف الثالث والرابع والخامس.

الثالث: الناسخ والمنسوخ. ودراستك لهذا القسم تمكنك -عزيزي الدارس- من تحقيق الهدفين السادس والسابع.

الرابع: المحكم والمتشابه. ودراستك لهذا القسم تساعدك على تحقيق الأهداف الثامن والتاسع والعاشر.

نأمل أن تكون الدراسة ممتعة ذهنياً ونفسياً وعقلياً.



4.1 القراءات المساعدة

أخي الدارس، أختي الدارسة، لا يتضمن النص الوارد في هذه الوحدة تفاصيل هذه المباحث الأربعة في علوم القرآن. والاطلاع على تفاصيل هذه المباحث يتطلب منك جهداً إضافياً، لذا ننصح لك بالدراسات الآتية:

1- الزركشي، محمد بن عبد الله، 1957، **البرهان في علوم القرآن**، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ج 1: 318–341)، (ج 2: 28-44 و 68 – 89).

2 □ 1981، **علوم القرآن**، بيروت، المكتب الإسلامي، (109-119، 163–212).

5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة

تحتاج، أخي الدارس، في دراسة الوحدة وحل تدريباتها إلى ما يأتي:

1- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن لمعرفة الآيات وسورها.

2- حجة القراءات: في توجيه القراءات السبع. لأبي زرعة: عبد الرحمن ابن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني.

3- أشرطة مسجلة للقرآن بقراءة أحد القراء المشهورين، مثل عبد الباسط عبد الصمد، أو محمد صديق المنشاوي، أو محمود الحصري.

2. الأحرف السبعة

1.2 مقدمة

أخي الدارس، أختي الدارسة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

نعلم أن القرآن كلام الله، وأن الله حفظه، وأنه وصل إلينا كما أنزله الله على رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم -. وأن ألفاظ القرآن التي نتلوها، هي الألفاظ التي أخذها الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم بلغها الصحابة الكرام.

ونعلم أن الله يسَّر كتابه للذكر والتلاوة، حيث يقول الله تعالى: (**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**) (القمر: 17).

ومن تيسير القرآن للذكر والتلاوة، أن الله أنزله على سبعة أحرف، رحمة منه بالمؤمنين، وتسهيلاً عليهم.

فما الأحرف السبعة وما الحكمة من إنزال القرآن بها وما مواضعها الآن في المصحف الذي بين أيدينا وما الفرق بين الأحرف السبعة والقراءات السبع؟

نعرف الأجوبة على هذه التساؤلات فيما يلي، بعون الله.

2.2 تعريف الأحرف السبعة

الأحرف جمع حرف، والحرف يأتي بمعنى الحد. تقول: حرف السيف أي: حده وطرفه. قال الإمام الراغب الأصفهاني في كتاب المفردات في غريب القرآن «حرف الشيء طرفه، وجمعه أحرف وحروف. يقال: حرف السيف، وحرف السفينة، وحرف الجبل. وحروف الهجاء: أطراف الكلمة. والحروف العوامل في النحو: أطراف الكلمات التي تربط بعضها ببعض» (الأصفهاني، 1961، ص:114).

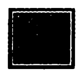
ويأتي الحرف بمعنى الوجه والطريقة قال تعالى: (**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةَ**) (الحج: 11).

أي: يعبد الله على وجه واحد وطريقة واحدة، فهو يعبده ويطيعه عند السراء ويعصيه عند الضراء، وهذه عبادته لربه على حرف.

ومعنى الحرف في إنزال القرآن على سبعة أحرف: الوجه، فالأحرف السبعة هي:

الوجوه السبعة التي أجاز الله قراءة القرآن بها، ونطق ألفاظه بها.

وهذه الوجوه السبعة تتعلق بكيفية نطق كلمات القرآن، أي أن وجوه الاختلاف في قراءة ألفاظ القرآن لا تزيد عن سبعة، فقولنا: «أنزل القرآن على سبعة أحرف» معناه: وسَّع الله على قارىء القرآن، فأجاز له أن يقرأه على سبعة أوجه، وأي وجه منها يغني عن سواه.



نشاط (1)

استخرج معاني الحرف واستعمالاته في اللغة، من كتب المعاجم، مثل: القاموس المحيط للفيروز أبادي، ولسان العرب لابن منظور، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس. واربط بين هذه المعاني والاستعمالات، وقدم تقريراً بذلك في صفحتين لمشرفك الأكاديمي.

3.2 أدلة نزول القرآن على سبعة أحرف

وردت أحاديث كثيرة صحيحة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تصرح بنزول القرآن على سبعة أحرف، وتبين الحكمة من ذلك. ونورد فيما يأتي بعض هذه الأحاديث:

1.3.2 ما رواه البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب

روى البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان، في حياة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة، لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكدت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلم، فلما سلم لببته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم! فقلت: كذبت فوالله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهو أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها. فانطلقت أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم! فقلت: يا رسول الله: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان، على حروف لم تقرئنيها، وأنت أقرأتني سورة الفرقان!

فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أرسله يا عمر. اقرأ يا هشام، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرؤها. فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: هكذا أنزلت!

ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر منه!!**».

2.3.2 ما رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عباس

روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أقرأني جبريل على حرف، فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني، حتى انتهى إلى سبعة أحرف.

3.3.2 ما رواه مسلم عن أبي بن كعب

روى مسلم عن أبي بن كعب رضي الله عنه: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان عند أضاة بني غفار، فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك على حرف فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم جاءه الثالثة، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك! ثم جاءه الرابعة، فقال إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا.

4.3.2 ما رواه الترمذي عن أبي بن كعب

روى الترمذي عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: لقي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- جبريل عند أحجار المروة، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لجبريل: إني بعثت إلى أمة أميين، فيهم الشيخ الفاني والعجوز الكبيرة والغلام.

قال: فمرهم يقرأوا القرآن على سبعة أحرف، فمن قرأ بحرف منها فهو كما قرأ.

أخي الدارس، أختي الدارسة، هذه الأحاديث الأربعة الصحيحة الصريحة، تبين الحكمة من إنزال القرآن على سبعة أحرف، ويمكن أن نستخرج منها دلالات مختلفة عديدة. ولكي يتأكد لك ذلك، عليك بحل التدريب الآتي:

تدريب (1)

أمعن النظر في الأحاديث الأربعة الماضية، واستخرج منها أربع دلالات، مع الإشارة إلى وجه الاستدلال.

4.2 الحكمة من إنزال القرآن على سبعة أحرف

الله عليم حكيم، والحكمة في كل أفعاله وأحكامه سبحانه وتعالى، ولهذا أنزل القرآن على سبعة أحرف لحكمة بالغة.

وتشير الأحاديث الأربعة السابقة، وبخاصة الحديث الرابع منها، إلى الحكمة من ذلك.

إنها التيسير على العرب والمسلمين، والتخفيف عليهم، ورفع الحرج عنهم.

لأن العرب كان فيهم اختلاف في اللهجات ونبرات الأصوات، وطريقة الأداء، ومدلولات بعض الألفاظ، بحيث يشق عليهم نطق وأداء جميع الكلمات بطريقة واحدة، ولهجة واحدة، ووجه واحد.

ولذلك كان نزول القرآن على سبعة أحرف لوناً من ألوان التيسير والتسهيل والتخفيف، ورفع الحرج.

لقد ظهرت هذه الحكمة واضحة في قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- لجبريل -في الحديث الثالث السابق-: «أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك» حيث قال له ذلك أكثر من مرة.

كما ظهرت هذه الحكمة في قول الرسول -صلى الله عليه وسلم - في الحديث الرابع السابق-: «إني بعثت إلى أمة أميين، فيهم الشيخ الفاني والعجوز الكبيرة والغلام!»

وللمحقق ابن الجزري قول مختصر لطيف في هذه الحكمة، أورده في كتابه «النشر في القراءات العشر»، قال: «وأما سبب نزوله على سبعة أحرف، فللتخفيف على هذه الأمة، وإرادة اليسر بها، والتهوين عليها، شرفاً لها، وتوسعة ورحمة وخصوصية لفضلها وإجابة لقصد نبيها، أفضل الخلق، وحبيب الحق... والعرب الذين نزل القرآن بلغتهم، لهجاتهم مختلفة، وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغة إلى غيرها، أو من حرف إلى آخر. بل

قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك، ولو بالتعليم والعلاج...» (النشر في القراءات العشر لابن الجزري، 1:22).

2/5 الأحرف السبعة توقيفية

الأحرف السبعة رخصة وتيسير من الله للأمة، وهي تتعلق في كيفية النطق بألفاظ القرآن.

وتدل الأحاديث السابقة على أن الأحرف السبعة توقيفية وليست اجتهادية.

ومعنى كونها توقيفية، أنها من عند الله، وأن الله أنزلها على رسوله محمد -صلى الله عليه وسلم-، وأنها كلام الله، وأنه لا دخل لأحد من البشر فيها، لا رسول الله عليه الصلاة والسلام، ولا صحابته الكرام.

إن الله الذي أنزل القرآن، هو الذي أنزل الأحرف السبعة، ولقنها للرسول عليه الصلاة والسلام، وأجاز للمسلمين قراءة القرآن بأي حرف منها، وجعل ذلك رخصة لهم، وتيسيراً عليهم.

والرسول -صلى الله عليه وسلم- علم أصحابه هذه الأحرف السبعة، كما علمهم القرآن، وبلغهم هذه الأحرف، كما تلقاها من جبريل عليه السلام.

فالصحابة الذين قرأوا القرآن بالأحرف السبعة، لا دخل لهم بألفاظ القرآن، ولم يغيروا أو يبدلوا فيها، ولم يأتوا بألفاظ اجتهادية منهم، إنما كانوا يتلقون الألفاظ والأحرف القرآنية السبعة من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ويلتزمون بما أقرأهم به منها.

يدل على هذا جواب هشام بن حكيم على سؤال عمر بن الخطاب: «من أقرأك هذه السورة؟» حيث قال: «أقرأنيها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-».

كما يدل عليه شهادة الرسول -صلى الله عليه وسلم- لقراءة هشام بن حكيم قائلاً: **«هكذا أنزلت»**.

ويدل عليه قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- السابق: **«أقرأني جبريل على حرف، فلم أزل أستزيده، ويزيدني، حتى انتهى إلى سبعة أحرف»**. ويدل عليه قول جبريل عليه السلام للرسول -صلى الله عليه وسلم-: **«إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف»**.

وهذا يبطل ما زعمه المستشرقون من أن الصحابة كانوا يقرأون القرآن بالمعنى، فيأتون بألفاظ وكلمات من اجتهادهم واختيارهم !!

وحول هذا المعنى يقول المستشرق (بلانشير) - كما نقله عنه الدكتور صبحي

الصالح:

«إن نظرية القراءة بالمعنى، كانت بلا ريب أخطر نظرية في الحياة الإسلامية، لأنها أسلمت النص القرآني إلى هوى كل شخص، يثبته على ما يهواه !!!». (الصالح، 1979، ص: 107).

وهذه النظرية خطيرة، لأنها تعني أن القرآن ليس كلام الله، بل هو كلام وألفاظ الصحابة، فهو ليس قطعي الثبوت، وهو ليس معجزاً وهو محرف مبدل. إن ما أوردناه قبل قليل يبطل هذه النظرية الباطلة، ويدل على أن الأحرف السبعة توقيفية من الله، وليست اجتهادية من الرسول -صلى الله عليه وسلم- أو الصحابة الكرام.

قال المفسر ابن عطية - فيما نقله عنه الدكتور عدنان زرزور - حول هذا المعنى:

«ولم تقع الإباحة في قوله عليه السلام: «**فاقرءوا ما تيسر منه**» بأن يكون واحد من الصحابة إذا أراد أن يبدل اللفظة، من بعض هذه اللغات، جعلها من تلقاء نفسه! ولو كان هذا، لذهب إعجاز القرآن، وكان معرضاً أن يبدل، حتى يكون غير الذي نزل من عند الله!! وإنما وقعت الإباحة في الحروف السبعة، للنبي عليه السلام، ليوسع بها على أمته، فقرأ مرة لأبي بن كعب بما عارضه به جبريل، ومرة لابن مسعود بما عارضه به أيضاً». (زرزور، 1981، ص: 111).

6.2 المراد بالأحرف السبعة

تمهيد

قال الإمام القرطبي –رحمه الله-: «اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولاً ذكرها أبو حاتم محمد بن حبان البستي» (الجامع لأحكام القرآن 42/1).

والسبب في اختلاف العلماء إلى هذا الحد ما قاله أبو بكر بن العربي ونقله عنه أبو شامة في المرشد الوجيز أنه لم تتعين هذه السبعة بنص من النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولا بإجماع من الصحابة (أبو شامة المقدسي، 1975، ص 97).

وليس غرضنا -أخي الدارس، أختي الدارسة- الإطالة المملة بسرد جميع الأقوال، بل سنقتصر على أهم الأقوال وأشهرها والتي دار حولها كلام أكثر العلماء المحققين والأئمة المجتهدين.

وبعد النظر في الأقوال والتأمل فيها نجد أن أشهرها أقوال ثلاثة، وهي:

6.2.1 القول الأول

إن الأحرف السبعة هي لغات سبع متفرقة في القرآن كله، وهذه السبع قيل: إنها من لغات العرب كلها، وقيل: من لغات مضر.

وليس معنى هذا القول: أن يكون في المعنى الواحد سبع لغات بألفاظ مختلفة. بل هذه اللغات متفرقة في القرآن كله، فبعضه بلغة وبعضه بلغة أخرى، وهكذا...إلى سبع، فيكون المنزل لفظاً واحداً لمعنى واحد من لغات متفرقة، وقد استند القائلون بهذا الرأي إلى ما يأتي:

1. وجود ألفاظ في القرآن المقروء اليوم بغير لغة قريش.
2. ما روي عن ابن عباس وعمر – رضي الله عنهما – عن عدم فهمهما لبعض الكلمات القرآنية، فقد خفي على ابن عباس معنى قوله تعالى: **(فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)** (يوسف: 101) حتى اختصم إليه أعرابيان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي ابتدأتها، فعلم معناها، وكذلك خفي عليه معنى **(رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ)** (الأعراف: 89) حتى سمع بنت ذي يزن تقول: تعالي أفاتحك، تريد أقاضيك وأخاصمك، فعلم معناها، وكذلك خفي على الفاروق عمر معنى (تخوف) في قوله تعالى: **(أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ)** (النحل: 47) والمراد بـ (الأب) في قوله تعالى: **(وَفَاكِهَةً وَأَبًّا)** (عبس:31) مع أنهما قرشيان، فدل ذلك على أن القرآن فيه ألفاظ بغير لغة قريش. وإلى هذا القول ذهب أبو عبيد القاسم بن سلام وثعلب وأبو حاتم السجستاني واختاره ابن عطية الأندلسي رحمهم الله جميعاً.

وفي تحديد القبائل السبع التي نزل القرآن بلغاتها قال أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله "إنها لغة قريش، وهذيل، وثقيف، وهوازن، وكنانة، وتميم واليمن" وعند بعضهم: خزاعة. وعند آخرين: الأزد وربيعة.

وهذا القول مردود بما يأتي:

1. إن هذا القول يقتضي أن يكون القرآن أبعاضاً، منه ما هو بلغة قريش، ومنه ما هو بلغة هذيل، إلى سبع قبائل بسبع لغات. وهذا المذهب يستلزم أن كل شخص لا يمكنه أن يقرأ إلا بعض الذي نزل بلغته دون بعضه الذي نزل بلغة غيره.

وهذا يتنافى مع التيسير والتخفيف المقصود من نزول القرآن على سبعة أحرف.

2. إن لغات العرب أكثر من سبع، وفي القرآن كلمات لقبائل كثيرة تزيد على هذا العدد بكثير. "فقد ذكر الواسطي في كتابه الذي وضعه في القراءات العشر أن في القرآن أكثر من أربعين لغة عربية". (البقاعي الشافعي: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور 388/1).

3. إن هذا الرأي لا يمكن معه تصور اختلاف الصحابة في القراءة، وإقرار النبي -صلى الله عليه وسلم- كلا منهم على قراءته.

4. إنَّ هذا القول يتنافى مع ما علم من الأحاديث المتقدمة من أنَّ نزول القرآن على سبعة أحرف كان الهدف منه التيسير على الأمة بأن يقرأ كل واحد بأي حرف منها شاء.

فإذا كان معنى الأحرف السبعة على ما قالوا لم يكن هناك تخيير في القراءة، بل يكون الكل ملزماً بحرف واحد.

5. إن عدم فهم ابن عباس وعمر رضي الله عنهم لبعض ألفاظ القرآن لا يدل على أن هذه الألفاظ غير قرشية أو مستعملة في لغة قريش؛ لأنه لا يمكن ادعاء إحاطة كل منهما بجميع ألفاظ لغة قريش، فقد قالوا: إنه لا يحيط باللغة إلا معصوم.

6. إن ما حدث بين عمر بن الخطاب وبين هشام بن حكيم رضي الله عنهما، وهما قرشيان من قبيلة واحدة، ولهجتهما واحدة يدل على أن السبعة أحرف الواردة لا تنطبق تماماً على القول بأنها سبع لغات لسبع قبائل من قبائل العرب، اشتهرت بفصاحة القول وسلامة التعبير.

7. إن أصحاب هذا المذهب قد اختلفوا في تحديد القبائل السبع التي نزل القرآن بلغاتها على أقوال عديدة أوصلها بعضهم إلى عشرة أقوال.

ولا شك أن مثل هذا الاختلاف يضعف هذا القول ويهزه.

2.6.2 القول الثاني

إن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب المشهورة في كلمة واحدة، تختلف فيها الألفاظ مع اتفاق المعاني وعدم تناقضها. وذلك نحو: هلم، وتعال، وأقبل، وإليَّ، ونحوي، وقصدي، وقربي، فهذه الألفاظ السبعة مختلفة يعبر بها عن معنى واحد، وهو طلب الإقبال.

وليس معنى هذا أن كل كلمة كانت تقرأ بسبعة ألفاظ من سبع لغات، بل المراد: أن غاية ما ينتهي إليه الاختلاف في تأدية المعنى هو سبع، فالمعنى الذي تتفق فيه اللغات في التعبير عنه

بلفظ واحد يعبر عنه بهذا اللفظ فحسب، والذي يختلف التعبير عنه بلفظين، وتدعو الضرورة إلى التوسعة يعبر عنه بلفظين، وهكذا إلى سبع.

وهذا القول منسوب إلى جمهور أهل الفقه والحديث، منهم: سفيان بن عيينة، وابن وهب، وابن جرير الطبري، وقد دافع عنه كثيراً في مقدمة تفسيره، وقدمه القرطبي، وأيده ابن عبد البر ونسبه إلى أكثر أهل العلم.

وقال بهذا القول من العلماء المعاصرين: الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه (المعجزة الكبرى)، والشيخ محمد أبو شهبة في كتابه (المدخل لدراسة القرآن الكريم) والدكتور فضل حسن عباس في كتابه (إتقان البرهان في علوم القرآن)، والشيخ مناع القطان في كتابه (مباحث في علوم القرآن) والشيخ طاهر الجزائري وآخرون.

واستدل أصحاب هذا الرأي بما جاء في حديث أبي بكرة: «أن جبريل قال: يا محمد، اقرأ القرآن على حرف، فقال ميكائيل: استزده، فقال: على حرفين، حتى بلغ ستة أو سبعة أحرف، فقال: كلها شاف كاف ما لم يختم آية عذاب بآية رحمة، أو آية رحمة بآية عذاب، كقولك: هلم وتعال وأقبل، واذهب وأسرع وعجل» (أخرجه أحمد والطبراني بإسناد جيد، وهذا اللفظ لأحمد).

قال ابن عبد البر: «إنما أراد بهذا ضرب المثل للحروف التي نزل القرآن عليها، وأنها معان متفق مفهومها مختلف مسموعها، لا يكون في شيء منها معنى وضده، ولا وجه يخالف معنى وجه خلافاً ينفيه ويضاده كالرحمة التي هي خلاف العذاب».

واستدلوا أيضاً بما روي عن أبي بن كعب، أنه كان يقرأ: **﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾** (الحديد: 13) للذين آمنوا أمهلونا، للذين أمنوا أخرونا، للذين آمنوا ارقبونا، وكان يقرأ: **﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾** (البقرة: 20) مروا فيه، سعوا فيه، إلى غير ذلك مما روي من هذا القبيل (ابن كثير: فضائل القرآن، ص 22).

وهذا القول وإن قال به كثير من العلماء، إلا أنه لا يسلم من المؤاخذات التالية:

أ. إن الحديث الذي استدلوا به لا يفيد أكثر من أن يكون ما ذكر فيه هو بعض ما تشمله الأحرف السبعة، وما جاء في آخره إنما جاء على سبيل المثال لهذه الأحرف التي نزل عليها القرآن بما يوضح فيه نوعية هذه الأحرف، وأنها لا تؤدي إلى اختلال المعنى أو التناقض فيه.

2. إن ما روي عن أبي بن كعب رضي الله عنه إنما هو من قبيل التفسير لبعض الكلمات، ومثل ذلك كان يحصل من الصحابة، وروي منه الكثير، وعلى التسليم بأنه قد نزل به الوحي، وأنه تلقاه من الرسول -صلى الله عليه وسلم- فإنه لا يفيد أكثر من أنه وجه من وجوه الاختلاف الكثيرة في الأحرف السبعة.

3. إنه يلزم من هذا القول أن تكون الأحرف السبعة قد زالت، ولم يبق منها إلا حرف واحد بعد أن نسخ عثمان المصاحف، لأن أمثال هذه الأحرف المتغايرة في الصورة المتقاربة في المعنى ما لا يمكن أن يحتمله رسم المصحف، وهذا مخالف لرأي جمهور العلماء الذين يرون أن الأحرف السبعة لا زالت باقية في قراءة القرآن إلى اليوم، ويحتملها رسم المصحف، وأن ما لا يحتمله رسم المصحف فهو مما نسخ.

4. إن الكلمة التي يوجد لها سبع مرادفات في القرآن نادرة، فلا يتأتى التيسير ولا رفع الحرج الذي أنزل القرآن على سبعة أحرف من أجله. وقد أنكر ابن قتيبة أن يكون في القرآن كلمة تقرأ على سبعة أوجه (ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، ص 34).

5. إنه يلزم من هذا القول أن الاختلاف في أوجه القراءة قد انتهى، مع أن الأمة أجمعت على صحة القراءات الكثيرة التي نقلت بالتواتر.

6.2.3 القول الثالث

المراد بالأحرف السبعة وجوه سبعة يقع فيها التغاير بين قراءة وأخرى، وهذه الوجوه هي:

1. **الاختلاف في وجوه الإعراب:**

ومثاله قوله تعالى: **(فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ)** (البقرة:37).

قرأ ابن كثير المكي: بنصب «آدمَ» ورفع «كلماتٌ»، على أن «كلمات» فاعل مؤخر لفعل «تلقى»، و «آدم» مفعول به مقدم. أي أن الكلمات هي التي تلقت آدم عليه السلام.

وقرأ الباقون: برفع «آدمُ»: على أنه فاعل «تلقى» ونصب «كلماتٍ» بالكسرة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، على أنه مفعول به. أي أن آدم عليه السلام هو الذي تلقى الكلمات.

2. **الاختلاف في الأسماء، من الإفراد، والتثنية، والجمع، والتذكير، والتأنيث.**

ومثاله قوله تعالى: **(وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ)** (المؤمنون: 8).

قرأ ابن كثير المكي بالإفراد: «لأمانتهم» لأن بعدها مفرد «وعهدهم» فالأمانة هنا مصدر واسم جنس، ينطبق على القليل والكثير.

وقرأ الباقون بالجمع: «لأماناتهم» على التكثير، لأن الله قال: **(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا)** (النساء: 58).

3. الاختلاف في تصريف الأفعال، وما يسند إليها، ما بين الماضي والمضارع والأمر

ومثاله قوله تعالى: **(فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا)** (سبأ: 19).

قرأ يعقوب البصري: «**رَبُّنا باعَدَ**»، برفع «ربنا» على أنه مبتدأ و «باعد» فعل ماضٍ، والفاعل مستتر، والجملة في محل رفع خبر، أي أن الجملة خبرية، تخبر أن الله قد باعد بين أسفارهم.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: «**ربَّنا بعِّد**» على أنه فعل أمر، ماضيه «بعُد» بتشديد العين، أي أن الجملة طلبية، يطلبون من الله أن يبعد بين أسفارهم.

وقرأ الباقون: «**ربَّنا باعِدْ**» بنصب «ربَّنا» على أنه منادى، والألف في فعل الأمر «باعِدْ» وماضيه «باعَدَ» بفتح العين والدال، أي أن الجملة طلبية، يطلبون من الله أن يباعد بين أسفارهم.

4. الاختلاف بالزيادة والنقص

ومثاله قوله تعالى: **(وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا)** (التوبة: 100).

قرأ ابن كثير المكي: «**تجري من تحتها الأنهار**» بزيادة حرف الجر «من» وجر «تحتها» بحرف الجر. لأن نسخة المصحف العثماني التي وجهها عثمان بن عفان إلى أهل مكة، كان فيها «من» في هذه الآية.

وقرأ الباقون: «**تجري تحتها الأنهار**» دون «من» ونصب «تحتها». لأن نسخ المصاحف الأخرى التي وجهها عثمان بن عفان إلى باقي الأمصار، لم تكن فيها «من» في هذه الآية.

ومثال النقص قوله تعالى: **(وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ)** (البقرة: 116).

قرأ ابن عامر الشامي: «**قالوا اتخذ الله ولداً**» دون واو. على أن الآية مستأنفة، والجملة استئنافية، وهكذا كتبت الآية في نسخة المصحف التي وجهها عثمان إلى أهل الشام.

وقرأ الباقون: «**وقالوا اتخذ الله ولداً**» بالواو، على أن الجملة معطوفة على ما سبق، وهكذا كتبت الآية في نسخ المصاحف الأخرى، التي وجهها عثمان إلى باقي الأمصار.

5. الاختلاف في التقديم والتأخير

ومثاله قوله تعالى: **(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ)** (التوبة: 111).

قرأ حمزة والكسائي وخلف: «**فيُقتلون ويَقتلون**»، بضم الياء من الأول، وفتح الياء من الثاني، حيث قدموا المقتولين على القاتلين، من باب مدح المجاهدين؛ لأنهم يقتلون الأعداء، بعد أن يقتل منهم.

وقرأ الباقون: «**فَيقتلون ويُقتلون**» بفتح الياء من الأول وضمها من الثاني، حيث قدموا المجاهدين القاتلين، على المجاهدين المقتولين.

6. الاختلاف بإبدال كلمة بأخرى، أو إبدال حرف بآخر

مثال إبدال كلمة بأخرى قوله تعالى: **(وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا)** (البقرة: 259).

قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: «**ننشرها**» بالراء، من النشور، وهو الإحياء والبعث. أي: كيف نحييها، ثم نكسوها لحماً.

وقرأ الباقون: «**ننشزها**» بالزاي، من النشز، وهو الرفع أي: كيف نرفعها، ثم نكسوها لحماً.

ومثال إبدال حرف بآخر قوله تعالى: **(وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ)** (التكوير: 24).

قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالظاء: «**بظنين**» من الظن، وهو الاتهام، والظنين المتهم أي: أن جبريل عليه السلام ليس ظنيناً ولا متهماً على الغيب، ومحمد -صلى الله عليه

وسلم- ليس متهماً على ما معه من كلام الله.

وقرأ الباقون بالضاد: «**بضنين**» من الضن، وهو البخل. أي: محمد -صلى الله عليه وسلم- ليس ضنيناً ولا بخيلاً على ما معه من الوحي، بل يبلغ ويرشد ويعلم الناس.

7. اختلاف اللهجات (في الفتح والإمالة، والترقيق والتفخيم والهمز والتسهيل والإظهار والإدغام، ونحو ذلك)

مثال الفتح والإمالة قوله تعالى: **(وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى)** (طه: 9).

قرأ حمزة والكسائي وخلف: «**موسى**» بالإمالة أي نطقوا ألف «موسى» المقصورة بين الفتح والكسر، وقرأ آخرون «**موسى**» بالفتح.

ومثال الترقيق والتفخيم، لام «**الصلاة**» في الآيات التي تأمرنا بإقامة الصلاة، كقوله تعالى: **(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ)** (البقرة: 43).

فقرأها حفص بالترقيق وقرأها ورش بالتفخيم.

ويتعلق الهمز والتسهيل بالهمزة، وكيفية النطق بها. فهمزها تحقيق النطق بها وإظهارها، والتسهيل إخفاؤها، ونقل حركتها للساكن قبلها، ومثاله قوله تعالى: **(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ)** (الغاشية: 1).

فقرأها حفص بالهمز والتحقيق، وتسكين لام «**هل**» قبلها. وقرأها ورش بالتسهيل، حيث نقل حركتها لما قبلها، ففتح لام «هل» وأخفض الهمزة «**هَلَ أتاك**».

ومثال الإدغام والإظهار قوله تعالى: **(كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ)** (المطففين:14).

قرأها حفص بالإظهار، فلم يدغم لام «بل» براء «ران». ولذلك سكت سكتة لطيفة على «بل»، ثم استأنف «ران على قلوبهم».

وقرأها ورش بالإدغام. فأدغم «بل» بكلمة «ران» وقرأها هكذا: «بَرّان» بتشديد الراء، لإدغام اللام في الراء.

وقد ذهب إلى هذا القول طائفة من العلماء منهم: ابن قتيبة، والقاضي أبو بكر الباقلاني، وأبو الفضل الرازي، وابن الجزري، وهذا هو القول الراجح عند جماهير القراء.

وقد استدل أصحاب هذا القول بأدلة منها:

1. إن الطريق الذي توصلوا به إلى هذه الأوجه هو الاستقراء التام لأوجه الخلاف في اللغة والقراءات، والاستقراء التام دليل من جملة الأدلة التي يحترمها المنطق ما دام مستوفياً شروطه.
2. إن تأويل كلمة الحرف بالوجه موافق لما جاء في القرآن الكريم، حيث يقول الله تعالى: **(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ)** (الحج: 11) أي وجه، وتفسير حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- بما يفسر به كلام الله أولى من تفسيره بكلام سواه.
3. إن هذا القول ينسجم انسجاماً تاماً مع الأحاديث الواردة في إنزال القرآن على سبعة أحرف، كما ينسجم مع ما حصل بين الصحابة من خلاف، بل الأحاديث دالة عليه.

7.2 الأحرف السبعة غير القراءات السبع

أخي الدارس، أختي الدارسة، قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «**أنزل القرآن على سبعة أحرف**» يدل على التوسعة والتيسير، وحرف «على» في الحديث يدل على هذه التوسعة، أي أنزل القرآن موسعاً فيه على القارىء، بحيث يجوز له أن يقرأه على أي حرف من الأحرف السبعة، وأي وجه من الوجوه السبعة.

وهذا لا يعني أن كل كلمة من كلمات القرآن، تقرأ على سبعة أوجه وأحرف، ولو كان هذا مراداً لقال: «أنزل هذا القرآن سبعة أحرف» إنما يعني أن وجوه الاختلاف لا تتجاوز سبعة أوجه. والعدد «سبعة» في الحديث مراد لذاته، فهو حصر حقيقي ولم يرد به التكثير، فأحرف قراءة القرآن سبعة بالحصر، ولا تزيد على ذلك. وهذا يعني أن وجوه الاختلاف والتغاير لا تزيد عن سبعة أوجه، مهما تعددت وتنوعت القراءات في الكلمة الواحدة.

أخي الدارس، أختي الدارسة، التبس رقم (سبعة) على بعض الناس، فخلطوا بين الأحرف السبعة، وبين القراءات السبع. وحملوا الأحرف السبعة المذكورة في الأحاديث الصحيحة على القراءات السبع الصحيحة التي انتشرت بين المسلمين. ووقعوا في خطأ كبير، فالأحرف السبعة غير القراءات السبع، وهناك فروق بينهما، منها:

1- الأحرف السبعة أعم من القراءات السبع؛ لأنها تشمل كل وجوه القراءة التي أنزل الله عليها كتابه، والتي علمها الرسول -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه، بينما القراءات السبع هي بعض هذه الأحرف.

2- الأحرف محصورة في سبعة ولا تزيد على ذلك، أما القراءات الصحيحة، فإنها أكثر من سبع قراءات، هي عشر قراءات.

3- الأحرف السبعة معروفة للصحابة، بينما القراء السبعة جاءوا بعد الصحابة، فلم يكونوا موجودين في حياة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ولو كانت قراءاتهم السبع هي المرادة في الأحاديث، لما تحققت حكمة إنزال القرآن على سبعة أحرف، زمن الصحابة، وكيف يتعلم الصحابة الأحرف السبعة عن هؤلاء القراء السبعة الذين جاءوا بعدهم؟

4- أول من جمع القراءات السبع هو الإمام أبو بكر بن مجاهد في القرن الثالث الهجري، حيث ألف كتاباً سماه (القراءات السبع) جمع فيه قراءات قراء سبعة مشهورين، هم نافع وابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي وأبو عمرو وابن عامر.

وقد لامه علماء على ذلك، لأنه أوقع الناس في إشكال، حيث ظنوا أن القراءات السبع التي جمعها، هي المرادة بالأحرف السبعة.

وقد نقل الإمام المحقق ابن الجزري كلام ابن تيمية، حول هذا الموضوع، في كتابه (النشر)، فقال:

«قال ابن تيمية رحمه الله: لا نزاع بين العلماء المعتبرين أن الأحرف السبعة التي ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن القرآن أنزل عليها، ليست قراءات القراء السبعة المشهورة، بل أول من جمع ذلك ابن مجاهد، ليكون ذلك موافقاً لعدد الحروف التي أنزل عليها القرآن، لا لاعتقاده واعتقاد غيره من العلماء أن القراءات السبع هي الحروف السبعة، أو أن هؤلاء القراء السبعة هم المعينون، الذين لا يجوز أن يقرأ بغير قراءاتهم» (النشر في القراءات العشر لابن الجزري 2: 39).

ونقل السيوطي في كتابه «الإتقان في علوم القرآن» كلام أبي العباس أحمد بن عمار المهدوي في لوم ابن مجاهد:

«لقد فعل مسبع هذه السبعة ما لا ينبغي له أن يفعله، وأشكل على العامة، حتى جهلوا ما لم يسعهم جهله، وأوهم كل من قل نظره أن هذه القراءات هي المذكورة في الخبر النبوي، وليته - إذا اقتصر - نقص عن سبعة، أو زاد، ليزيل هذه الشبهة». (السيوطي، 1987، 1:25).

?

أسئلة التقويم الذاتي (1)

1- عرِّف الأحرف السبعة: وبين معنى الحديث «إن الله انزل القرآن على سبعة أحرف».

2- أورد ثلاثة أدلة على نزول القرآن على سبعة أحرف.

3- بين الحكمة من إنزال القرآن على سبعة أحرف.

4- فسِّر هذه العبارة: الأحرف السبعة توقيفية.

5- ما نظرية القراءة بالمعنى؟ وما وجه خطورتها؟ وكيف تبطلها؟

6- ما السبب في اختلاف العلماء في المراد بالأحرف السبعة؟

7- ما الأدلة التي استدل بها القائلون بأن الأحرف السبعة لغات سبع متفرقة في القرآن كله؟

8- القول بأن الأحرف السبعة لغات سبع متفرقة في القرآن كله قول مردود. لماذا؟

9- بيِّن رأي جمهور أهل الفقه والحديث في المراد بالأحرف السبعة موضحاً الأدلة التي استدلوا بها على رأيهم.

10- عدد وجوه التغاير السبعة في القرآن؟ ومثل لكل واحد بمثال.

11- ما الفروق بين الأحرف السبعة والقراءات السبع؟

12- من أول من جمع القراءات السبع؟ وما الإشكال الذي نتج عن فعله؟

3. القراءات القرآنية

1.3 مقدمة

أخي الدارس، أختي الدارسة، كثيراً ما نسمع قارئي القرآن الكريم في الإذاعات، يقرأون القرآن على أكثر من قراءة، وقد نسمع دروساً علمية في إذاعات القرآن عن قراءات القرآن، وأصحابها، وتوجيهها.

فيتساءل بعضنا: ما القراءات؟ ومتى نشأت؟ ومن أصحابها؟ ولماذا هي مختلفة؟ وما الفوائد من اختلافها؟

وقد نسمع عبارة: القراءات السبع، والقراءات العشر، والقراءات الشاذة، فيتساءل بعضنا: ما المراد بهذه العبارات؟

وقد نسمع قائلاً يقول: قراءة عاصم، برواية حفص، أو رواية شعبة، وقراءة نافع، برواية ورش، أو قالون، وقراءة أبي عمرو، برواية الدوري، فيتساءل بعضنا: من هم هؤلاء

لذلك خصصنا هذا القسم من هذه الوحدة لمعرفة هذه الأمور المتعلقة بالقراءات القرآنية.

2.3 تعريف القراءات القرآنية

القراءات جمع قراءة وهي في اللغة: مصدر سماعي لكلمة قرأ تقول: قرأ، قراءة.

وعرف الزرقاني القراءة في الاصطلاح، فقال: «هي مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء، مخالفا به غيره، في النطق بالقرآن الكريم -مع اتفاق الروايات والطرق عنه- سواء كانت هذه المخالفة في نطق الحروف، أو في نطق هيئاتها».

ونقل الزرقاني تعريف الإمام ابن الجزري للقراءات في كتابه «منجد المقرئين»، فقال:

«القراءات علم بكيفيات أداء كلمات القرآن واختلافها، بعزو الناقلة».

«والمقرىء: العالم بها، رواها مشافهة، فلو حفظ «التيسير» - مثلاً - وهو أشهر كتب القراءات للإمام أبي عمرو الداني - ليس له أن يقرىء بما فيه، إن لم يشافهه من شوفه به مسلسلاً لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة». (مناهل العرفان، 1954، 1: 405).

وتبحث القراءات في كيفية النطق بألفاظ القرآن وأدائها، وتبين الخلاف في ذلك، حسب ما علّم الرسول -صلى الله عليه وسلم- أصحابه، مرخصاً لهم في ذلك.

والقراءات غير القرآن. فالكلمتان ليستا مترادفتين؛ لأن القرآن هو كلام الله، والقراءات هي كيفية النطق بكلام الله، كما أذن به الله.

قال الإمام الزركشي في (البرهان): «اعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان. فالقرآن: هو الوحي المنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم- للبيان والإعجاز. والقراءات: هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور، في كتابة الحروف، أو كيفيتها، من تخفيف وتثقيل، وغيرهما» (البرهان في علوم القرآن، 1957، 1: 318).

3.3 نشأة القراءات والحكمة من وجودها

إن المبدأ الأساسي في نقل القرآن هو المشافهة والتلقي، بأن يجلس المتعلم أمام المقرىء المعلم، ويسمع منه كيفية النطق بكلمات القرآن، ويرى حركة فمه ولسانه وشفتيه عندما ينطق بها، ويتلقى ذلك منه تلقياً مباشراً، ثم يقرأ القرآن عليه؛ ليجود ويصحح ويحسن قراءته وترتيله.

هكذا تلقى المسلمون القرآن، خلفاً عن سلف، وأخذوه ثقة عن ثقة، حتى ينتهي الأمر إلى الصحابة الكرام، ثم إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

> أي أن القرآن وصلنا في هذا العصر، عن طريق المشافهة والتلقي، بالسند المتصل إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

ومن قرأ القرآن بنفسه، من دون تلق مباشر عن عالم بالقراءات والترتيل فلن يحسن تلاوته ولا ترتيله، فالمصحف وحده ليس هو العمدة في هذا، وإنما لا بد من التلقي المباشر عن العلماء.

ومعلوم أن المصاحف العثمانية، التي كتبت زمن عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، لم تكن كلماتها منقوطة ولا مشكولة، وبعض كلماتها كانت مكتوبة وفق قواعد إملاء خاصة للرسم العثماني، وبعضها كتبت بطريقة تحتمل أكثر من قراءة.

وقد أقرأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أصحابه على أكثر من وجه وقراءة، كما مر معنا في القسم السابق من هذه الوحدة في أثناء الكلام عن الأحرف السبعة، وبذلك اختلف

أخذ قراء الصحابة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، حيث قرأ كل منهم كلمات القرآن بطريقة خاصة ووجه خاص، وكانت قراءته توقيفية، كما علمه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

ثم تفرق الصحابة في البلاد، وصار كل منهم يعلم المسلمين القراءة التوقيفية الصحيحة، التي تلقاها عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والتي تختلف في بعض كيفياتها عن قراءة الصحابي الآخر في البلد الإسلامي الآخر. فاختلف بسبب ذلك أخذ التابعين عن الصحابة، كما اختلف أخذ أتباع التابعين عن شيوخهم، وهكذا، حتى وصل الأمر إلى الأئمة القراء المشهورين، الذين انقطعوا للقراءات، واعتنوا بها وضبطوها ونشروها. وبهذا نعرف أن وجود القراءات المختلفة كان بسبب الأحرف السبعة التي أنزل الله القرآن عليها، وأن هذه القراءات العشر الصحيحة لا تخرج عن الأحرف السبعة.

وهذه القراءات الصحيحة يحتملها رسم المصحف العثماني، وكتابة كلماته وحروفه الخالية من التنقيط والتشكيل؛ لتشمل تلك القراءات.

4/3 القراءات الصحيحة توقيفية

أخي الدارس، أختي الدارسة، القراءات العشر الصحيحة توقيفية، وليست اجتهادية؛ أي أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- تلقى هذه القراءات عن الوحي، لما تلقى الأحرف السبعة، وهو الذي علمها ولقنها للصحابة الكرام، والصحابة أخذوها عنه ووعوها وحفظوها، ولم يكونوا مجتهدين ولا مختارين في القراءة بها، أي لم يؤلفوها هم، ولم يختاروها من عند أنفسهم، ولم تكن من كلماتهم ولا عباراتهم.

والصحابة علموا التابعين هذه القراءات المختلفة، كما تلقوها من الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وتسلسل أمر القراءات على هذا الأساس النقلي السماعي، حتى وصلت إلينا.

ومن الدليل على أن القراءات العشر الصحيحة توقيفية، وليست اجتهادية، وأن رسم المصحف العثماني ليس هو السبب في وجودها ونشأتها واختلافها، أن الكلمة في المصحف العثماني- غير المنقوطة ولا المشكولة - لا تقرأ بكل الوجوه التي يحتملها رسم المصحف العثماني، وإنما تقرأ كما تلقاها الصحابة من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

فكلمة «تستكبرون» في قوله تعالى: (**قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ**

تَسْتَكْبِرُونَ) (الأعراف: 48).

ليست لها إلا قراءة واحدة، وهي «تستكبرون» من الاستكبار. ولو كانت القراءة اجتهادية، وتقرأ بأي وجه يحتمله رسم الكلمة في المصحف العثماني لكان لها أكثر من قراءة؛ لأنها مرسومة هكذا: «سسكرون» ويمكن أن تقرأ تستكثرون، يستكثرون، يستكبرون.

5.3 فوائد اختلاف القراءات

وقف العلماء أمام ظاهرة تعدد القراءات القرآنية، وتنوعها واختلافها، وبينوا الحكمة منها، واستخلصوا فوائد لذلك.

ومن أهم فوائد اختلاف القراءات، ما لخصه الإمام السيوطي في كتاب «الإتقان»، ونقدم لك خلاصة كلامه بتصرف:

لاختلاف القراءات وتنوعها فوائد، منها:

1- التخفيف والتسهيل على المسلمين.

2- إظهار فضل الأمة الإسلامية وشرفها على سائر الأمم، حيث أنزل الله كتبه السابقة على الأمم السابقة، على حرف ووجه وقراءة واحدة، وأنزل القرآن على الأمة الإسلامية على سبعة أحرف، وأجاز قراءته بأكثر من قراءة.

3- إعظام أجر علماء الأمة، حيث يفرغون جهدهم، في تحقيق كلمات القرآن، وضبطها لفظة لفظة، حتى مقادير المدات، وتفاوت الإمالات.

4- حث علماء الأمة على تدبر كلمات القرآن، وفق قراءاته المختلفة، وتتبع معانيها، واستنباط الحكم والأحكام من ذلك، وبذل جهدهم وكدِّ ذهنهم في التوجيه والتعليل والترجيح.

5- إظهار سر الله في كتابه، وبيان حفظه له، وصيانته عن التبديل والاختلاف، مع كونه على هذه الأوجه الكثيرة، والقراءات المتنوعة.

6- بيان إعجاز القرآن بإيجازه، إذ أن تنوع القراءات بمنزلة تعدد الآيات، فكل قراءة كأنها آية مستقلة، ولو جعلت دلالة كل قراءة آية، لازداد حجم القرآن، وطول تطويلاً كبيراً.

7- بيان الاختلاف في الأحكام، فكل قراءة تشير إلى حكم فقهي، فتستخلص الأحكام الفقهية في الآية من مجموع قراءاتها.

ففي قوله تعالى: (فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ)

(البقرة: 222). قراءتان:

الأولى: قراءة حمزة والكسائي وشعبة عن عاصم: «**حتى يَطَّهَّرْن**» بتشديد الطاء والهاء، فعلى هذه القراءة لا يجوز للرجل وطء امرأته إلا بعد أن ينقطع دم حيضها، وأن تغتسل وتتطهر، وتزيل هذا الحدث الأكبر عنها.

الثانية: قراءة الباقين: «**حتى يَطْهُرْن**» بتخفيف الطاء والهاء، وعلى هذه القراءة يجوز للرجل وطء امرأته بمجرد انقطاع دم حيضها.

8- الإشارة إلى المزايا الصوتية للغة العربية، واختلاف وتنوع اللهجات للقبائل العربية، واختلاف الآراء في القضايا النحوية واللغوية.

فهناك قراءتان في قوله تعالى: (**وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا**) (البقرة: 189).

الأولى: قراءة نافع برواية ورش، وقراءة عاصم برواية حفص، وقراءة أبي عمرو: «**البُيوت**» بضم الباء، وهذه لهجة من لهجات قبائل العرب.

الثانية: قراءة الباقين: «**البِيوت**» بكسر الباء، وهذه لهجة أخرى من لهجات قبائل العرب. (الإتقان في علوم القرآن، 1987، 1: 254-255).

6.3 شروط القراءة الصحيحة

اشترط علماء القراءات شروطاً ثلاثة، جعلوها ضوابط لقبول القراءة القرآنية، واستخلصوا هذه الشروط والضوابط من نظرهم في القراءات زمن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، وكونها وحياً توقيفياً من عند الله، ومن كيفية وطريقة جمع القرآن زمن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ثم زمن أبي بكر الصديق، وزمن عثمان بن عفان، وطريقة العلماء في تلقي القرآن بقراءاته التوقيفية المختلفة فيما بعد. قال الإمام الحافظ ابن الجزري عن هذه الشروط في كتابه «النشر في القراءات العشر»:

«كل قراءة:

1- وافقت العربية ولو بوجه.

2- ووافقت أحد المصاحف العثمانية، ولو احتمالاً.

3- وصح سندها.

فهي القراءة الصحيحة، التي لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها. بل هي من الأحرف السبعة التي

نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة، أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين.

ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة، أطلق عليها: قراءة ضعيفة، أو شاذة، أو باطلة، سواء كانت عن السبعة، أم عمن هو أكبر منهم.

هذا هو الصحيح، عند أئمة التحقيق من السلف والخلف». (النشر في القراءات العشر 1:9).

وقد نظم الحافظ ابن الجزري هذه الشروط الثلاثة نظماً، في منظومته «طيبة النشر في القراءات العشر» فقال:

وكل ما وافق وجه نحوِ — وكان للرسم احتمالاً يحوي
وصح إسناداً، هو القرآن — فهذه الثلاثة الأركان
وحيثما يختل ركن أثبت — شذوذه لو أنه في السبعة

ونذكر هنا أنه لا بد من اجتماع هذه الشروط الثلاثة، في كل قراءة قرآنية، لنحكم بصحتها وقبولها، فإذا اختل شرط واحد منها، حكمنا بردها وشذوذها، ولو توفر فيها الشرطان الآخران!

6.3.1 معنى قول ابن الجزري في الشرط الأول

«وافقت العربية، ولو بوجه» أن توافق وجهاً من وجوه النحو، سواء أكان أفصح أم فصيحاً، مجمعاً عليه، أم مختلفاً فيه.

ومثال ذلك قوله تعالى: (**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ**) (النساء: 1).

ففي قوله «والأرحام» قراءتان:

الأولى: قراءة حمزة الزيات - أحد السبعة - «والأرحامِ» بالجر، عطفاً لها على الضمير المجرور «به». أي: تساءلون به وبالأرحام.

الثانية: قراءة الباقين: «والأرحامَ» بالنصب، عطفاً لها على لفظ الجلالة «الله»، أي: اتقوا الله واتقوا الأرحامِ، فلا تقطعوها. والقراءة بنصب الأرحام ليس فيها إشكال.

ولكن الإشكال في قراءة حمزة، بجر الأرحام، عطفاً لها على الضمير المجرور، لأن بعض النحويين يضعِّفون عطف الاسم الظاهر على الضمير المجرور، إلا بإعادة حرف الجر.

وإشكالهم مردود، وتضعيفهم لقراءة حمزة مرفوض، طالما صحت القراءة، وتوفرت فيها الشروط الثلاثة.

وقد نقل ابن الجزري كلام الإمام أبي عمرو الداني حول الشرط، فقال: «وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة، والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر، والأصح في النقل، وإذا ثبتت الرواية، لم يردها قياس عربية، ولا فشو لغة، لأن القراءة سنة متبعة، يلزم قبولها، والمصير إليها». (النشر في القراءات العشر: 10 - 11).

2.6.3 معنى قول ابن الجزري في الشرط الثاني

«ووافقت أحد المصاحف العثمانية، ولو احتمالاً». أن توافق القراءة رسم المصحف العثماني، ولا يضر مخالفتها لبعض المصاحف العثمانية، طالما هي توافق أحدها.

ومثال ذلك قوله تعالى: (**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ**) (البقرة: 116) ففيه قراءتان:

الأولى: قراءة ابن عامر الشامي: «**قالوا اتخذ الله ولداً**»، دون واو، لأن الآية كتبت دون واو، في المصحف العثماني الذي وجهه عثمان بن عفان إلى أهل الشام.

الثانية: قراءة الباقين: «**وقالوا اتخذ الله ولداً**» بالواو، لأن الآية كتبت هكذا، في نسخ المصحف العثماني الأخرى، التي وجهها عثمان إلى باقي الأمصار.

ويكفي أن تكون موافقة القراءة لرسم المصحف العثماني احتمالية تقديرية غير صريحة. كما في قوله تعالى: (**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**) (الفاتحة: 4). ففيها قراءتان:

الأولى: قراءة عاصم والكسائي: «**مالك**» بالألف، وهذه توافق رسم المصحف العثماني تقديراً، وليس تحقيقاً لأن الكلمة مكتوبة في جميع نسخ المصاحف العثمانية بدون ألف «ملك»، حيث حذفت الألف من الكلمة وفق قواعد رسم المصحف العثماني اختصاراً وتخفيفاً.

الثانية: قراءة الباقين: «**ملك**» دون ألف، وهذه القراءة توافق رسم المصحف العثماني موافقة صريحة.

6.3.3 معنى قول ابن الجزري في الشرط الثالث

«وصح سندها» أن يروي هذه القراءة الراوي العدل الضابط، عن مثله، إلى منتهى السند، حيث ينتهي السند إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وأن تكون هذه القراءة صحيحة السند مشهورة عند أئمة القراءة الضابطين لها.

7.3 القراءات العشر

القراءات الصحيحة التي انطبقت عليها الشروط الثلاثة السابقة عشر قراءات، تنسب كل قراءة إلى إمام من أئمة القراء المشهورين، أخذها عنه رواة كثيرون، ونقلت لمن بعده بطرق متعددة.

فلكل قارىء رواة، ولكل راوٍ طرق، وهناك فرق بين القراءة والرواية والطريق.

فالقراءة: هي ما ينسب إلى إمام من أئمة القراء، تقول: قراءة عاصم. والرواية: هي ما ينسب إلى تلميذ ذلك الإمام رواية، تقول: رواية حفص، لقراءة عاصم.

والطريق: هي ما ينسب للآخذ عن الراوي. تقول: طريق الطيبة لرواية حفص في قراءة عاصم، والمراد بها كتاب «طيبة النشر في القراءات العشر» لابن الجزري.

ونقدم فيما يلي تعريفاً موجزاً لكل إمام من أئمة القراءات العشر، ولراويين من رواته المشهورين، استخلصناه من تعريف الأستاذ سعيد الأفغاني بهم في مقدمة تحقيقه لكتاب «حجة القراءات» لابن زنجلة.

1.7.3 نافع المدني

هو الإمام نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم (70 - 169 هـ) عاش تسعاً وتسعين سنة، وأقرأ الناس في المدينة أكثر من سبعين سنة، وكان إمام الحرم المدني - مسجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في المدينة - ستين سنة. وله راويان، هما:

- أبو موسى، عيسى بن مينا الزرقي (120 - 220 هـ) الملقب بقالون، وهي كلمة رومية معناها

«جيد»، وذلك لجودة قراءته.

- عثمان بن سعيد المصري (110 - 197 هـ) الملقب بورش، تشبيهاً له بطائر يقال له «الورشان» لأنه كان قصيراً أشقر أزرق أبيض اللون.

7.3.2 ابن كثير المكي

هو الإمام عبد الله بن كثير (45 - 120 هـ) إمام الحرم المكي - بيت الله الحرام - ولهذا يقال له ولنافع: الحرميان؛ لأن كلاً منهما كان إماماً لحرم من الحرمين الشريفين. وله راويان، هما:

- أحمد بن محمد بن عبد الله البزي (170 - 250 هـ)، كان مؤذن المسجد الحرام.
- محمد بن عبد الرحمن المخزومي (195 - 291 هـ). الملقب بقنبل. وقد أخذ البزي وقنبل قراءة ابن كثير بالإسناد، ولم يتتلمذا عليه مباشرة؛ لأنهما لم يدركاه حياً.

7.3.3 أبو عمرو بن العلاء البصري

هو الإمام زبان بن العلاء التميمي البصري (68 - 154 هـ) إمام أهل البصرة في القراءة، وكان أعلم أهل زمانه بالقراءات والنحو، وأكثرهم زهداً. وله راويان، هما:

- حفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري (... - 246 هـ).
- صالح بن زياد السوسي (... - 246 هـ)

7.3.4 ابن عامر الشامي

هو الإمام عبد الله بن عامر اليحصبي الشامي (8 - 118 هـ) إمام أهل الشام في القراءة، كان قاضي دمشق، وإمام المسجد الأموي فيها وقد عاش مئة وعشر سنوات. وله راويان، هما:

- هشام بن عمار السلمي (153 - 245 هـ).
- عبد الله بن أحمد الفهري، ابن ذكوان (173 - 242 هـ).

5.7.3 عاصم الكوفي

هو الإمام عاصم بن أبي النجود (... - 127 هـ) شيخ القراء بالكوفة، جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد، من أحسن الناس صوتاً بالقرآن. له راويان، هما:

- حفص بن سليمان الكوفي البزاز (90 - 180 هـ). أعلم أصحاب عاصم بقراءته، ثقة، ثبت، ضابط، كان ربيب عاصم - ابن زوجته -. وبروايته يقرأ أهل المشرق اليوم.
- شعبة بن عياش الكوفي، أبو بكر الحناط (95 - 193 هـ).

6.7.3 حمزة الكوفي

هو الإمام حمزة بن حبيب الزيات التميمي الكوفي، أبو عمارة (80 - 156 هـ)، زاهد، عابد، خاشع. وله راويان:

- خلف بن هشام الأسدي البزار (150 - 229 هـ)، وهو أحد القراء العشر.
- خلاد بن خالد الشيباني الكوفي (... - 220 هـ).

7.7.3 الكسائي الكوفي

هو الإمام أبو الحسن، علي بن حمزة الكسائي الكوفي (119 - 189 هـ) انتهت إليه رئاسة القراء في الكوفة، وكان إماماً في اللغة والنحو، بحيث رأس مدرسة الكوفيين في النحو في عهده. وله راويان، هما:

- الليث بن خالد البغدادي، أبو الحارث (... - 240 هـ)
- الدوري: حفص بن عمر الأزدي، راوي قراءة أبي عمرو بن العلاء.

هؤلاء الأئمة هم القراء السبعة، أصحاب القراءات السبع المعروفة، وهم من مدن العلم المعروفة في القرون الأولى، واحد من مكة، وهو ابن كثير، وواحد من المدينة، وهو نافع، وواحد من الشام، وهو ابن عامر، وواحد من البصرة، وهو أبو عمرو بن العلاء، وثلاثة كوفيون، وهم: عاصم، وحمزة، والكسائي، وكلهم من رجال القرن الثاني الهجري، وكلهم من أهل العلم والورع والاستقامة، وكلهم من المعمرين، الذين أقرأوا القرآن مدة طويلة، وتخرجت عليهم أجيال.

7.3.8 أبو جعفر المدني

هو الإمام أبو جعفر، يزيد بن القعقاع المخزومي المدني (... - 130 هـ) وله راويان، هما:

- عيسى بن وردان، أبو الحارث المدني الحذاء (... - 160 هـ)
- سليمان بن مسلم، ابن جماز، المدني (... - 170 هـ)

7.3.9 يعقوب البصري

هو الإمام يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي البصري (117 - 205 هـ) وله راويان، هما:

- محمد بن المتوكل، رويس، اللؤلئي البصري (... - 238 هـ)
- روح بن عبد المؤمن البصري النحوي (... - 234 هـ)

7.3.10 خلف بن هشام الكوفي

هو الإمام خلف بن هشام البزار، رواية حمزة الزيات، وقارىء أهل الكوفة (150 - 229 هـ). وله راويان، هما:

- إسحاق الوراق، أبو يعقوب المروزي (... - 286 هـ).
- إدريس بن عبد الكريم الحداد البغدادي (189 - 292 هـ).

(انظر مقدمة الأفغاني لحجة القراءات، 1982، ص: 50 - 66)



نشاط (2)

عزيزي الدارس، استمع إلى قراءة أول ستين آية من سورة البقرة في شريط مسجل بقراءة عاصم، ثم راجع كتاب حجة القراءات لابن زنجلة، بتحقيق سعيد الأفغاني: 83 - 98، وانظر ما في هذه الآيات الستين من قراءات سبعية للقراء السبعة، وتوجيه قراءة كل إمام منهم، واكتب تقريراً بذلك في أربع صفحات، ثم ابعث بتقريرك إلى المشرف الأكاديمي.

3.8) توجيه القراءات

المراد بتوجيه القراءات الاحتجاج لكل قراءة، وبيان وجه وحجة كل إمام من القراء العشرة أو رواتهم لقراءته التي اختارها وقرأ بها، وذكر شاهدها من القرآن نفسه، أو من اللغة والنحو، أو من السياق الذي وردت فيه، وبيان معنى الآية على كل قراءة من القراءات الصحيحة.

وعلم توجيه القراءات الصحيحة والاحتجاج لها، علم نفيس جليل، يعتمد على العربية وعلومها، من نحو وصرف ولغة وبلاغة وفقه لغة، ويقصد به خدمة القرآن الكريم.

قال الإمام الزركشي في «البرهان»: «معرفة توجيه القراءات، وتبيين وجه ما ذهب إليه كل قارىء. وهو فن جليل، وبه تعرف جلالة المعاني القرآنية وجزالتها، وقد اعتنى به الأئمة، وأفردوا كتباً، منها كتاب «الحجة» لأبي علي الفارسي، وكتاب «الكشف»، لمكي وكتاب «الهداية» للمهدوي، وكل منها قد اشتمل على فوائد». (الزركشي، 1957، 1: 339).

ويجب أن ننبه هنا إلى الفرق بين توجيه القراءات، وبين ترجيح بعضها على غيره.

أ- فالتوجيه واجب ومطلوب، ويهدف إلى بيان حجة كل قارىء إمام من السبعة أو العشرة لقراءته التي قرأ بها.

ب- أما الترجيح، فهو جعل قراءة صحيحة من السبع أو العشر، أرجح من قراءة أخرى من السبع أو العشر.

وهذا حرام، ولا يجوز، لأن القراءات العشر كلها صحيحة ثابتة راجحة، وهي كلام الله، وهي توقيفية، كما سبق أن بينا، وكلام الله لا ترجيح فيه، فليس بعض كلام الله أرجح أو أصح من بعض كلام الله!

قال الإمام أبو جعفر النحاس: «السلامة عند أهل الدين، أنه إذا صحت القراءتان عن الجماعة، ألا يقال أحدهما أجود؛ لأنهما جميعاً عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، ويأثم من قال ذلك، وكان الصحابة ينكرون مثل هذا». (الزركشي، 1957، 1: 340).

ومن أجود وأشهر كتب توجيه القراءات السبع كتابان:

1- حجة القراءات للإمام أبي زرعة، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، من علماء القرن الرابع.

وقد طبع طبعة محققة، حيث حققه وعلق عليه، ومهد له بمقدمة في القراءات وتاريخها،

والقراء العشر ورواتهم، الأستاذ المحقق سعيد الأفغاني.

2- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها. للإمام أبي محمد، مكي بن أبي طالب القيسي، من علماء القرن الخامس (355 - 437 هـ) وقد حقق الكتاب الدكتور محيي الدين رمضان، وطبعه له مجمع اللغة العربية بدمشق عام 1974، ثم طبعه في مؤسسة الرسالة بعد ذلك.

?

أسئلة التقويم الذاتي (2)

1- عرِّف القراءات، واذكر الفرق بين القرآن والقراءات.
2- بيّن كيف نشأت القراءات، وما هو الأساس في نقلها؟
3- هل القراءات توقيفية أم اجتهادية؟ وما دليلك على ذلك؟
4- اذكر خمس فوائد لاختلاف القراءات.
5- عدد شروط القراءة الصحيحة، واستشهد بنظم ابن الجزري في ذلك.
6- ما الفرق بين كل من: القراءة، والرواية، والطريق؟
7- عرِّف بالقراء السبعة من حيث: القطر الذي أقام به كل منهم وسنة وفاته، وراوياه.
8- ما الفرق بين توجيه القراءات والترجيح بينهما؟ وما الجائز والممتنع منهما، ولماذا؟



تدريب (2)

سجل الآية رقم (106) من سورة البقرة (مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ ...) ثم انظر القراءات السبع التي فيها، في كتاب «حجة القراءات» لابن زنجلة، وانسب كل قراءة لأصحابها، وبين حجة كل منهم في القراءة بها.

4. الناسخ والمنسوخ

1.4 مقدمة

أخي الدارس، أختي الدارسة، العلم بالنسخ ضروري لفهم القرآن الكريم، ومعرفة الناسخ والمنسوخ في القرآن أمر لابد منه لحسن تفسيره ومعرفة أحكامه، وعدم الخطأ فيها، فقد يتبنى القارئ حكماً استخرجه من آية، وهو لا يعلم أن هذا الحكم منسوخ.

وقد مر علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- على رجل يتحدث عن تفسير القرآن في المسجد، فقال له: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا. قال: أنت أبو من؟ قال: أنا أبو عبد الله. قال: لا، أنت أبو «اعرفوني»، لقد هلكت وأهلكت، لا تقص في مسجدنا!

والناسخ والمنسوخ يدور حوله كلام كثير، فمن المثقفين المسلمين من ينكره ويرفضه، ويتكلف في تفسير وتوجيه الآيات المنسوخة، ويأتي بكلام لا يتفق مع أسلوب القرآن البليغ المعجز، ومنشأ الإشكال عنده أنه لم يفرق بين النسخ والتخصيص.

ومن العلماء من بالغ في القول بالنسخ، وأكثر من القول بالآيات الناسخة والمنسوخة، وازداد ولعه بالتقسيم والتبويب والعد، فعد منسوخاً ما ليس بمنسوخ.

وكل من الفريقين وقع في غلو ومبالغة، سواء في القول بالنسخ، أم في القول بنفيه.

فما القول الوسط الصواب في النسخ؟ وما الحكمة منه؟ وما شروطه وأنواعه؟

الجواب في هذا القسم من الوحدة إن شاء الله.

2.4 معنى النسخ لغة

النسخ مصدر الثلاثي «نسخ» تقول: نسخ، ينسخ، نسخاً. والنسخ في اللغة يطلق على معنيين:

الأول: الرفع والإزالة والتبديل. وهذا نوعان:

1- الإزالة بعوض وبدل، كقولهم نسخت الشمس الظل، أي أزالته وحلت محله. ونسخ الشيب الشباب، أي: أزاله وحل محله.

وعليه قوله تعالى: **(مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا)** (البقرة: 106).

أي: إذا أزلنا ورفعنا حكم آية، نأتي بحكم خير منه، بدلاً منه، وعوضاً عنه.

2- الإزالة بدون عوض، كقولهم: نسخت الريح الأثر، أي: أزالته ورفعته ومحته، ولم تجعل مكانه عوضاً. وعليه قوله تعالى: (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ**) (الحج: 52).

أي يرفع الله ما يلقي الشيطان في أمنية الرسول -صلى الله عليه وسلم-، بقصد تيئيسه من هداية وإيمان قومه، ويزيل الله هذا الإلقاء، ولا يجعل له بدلاً وعوضاً، ثم يحكم الله آياته.

الثاني: النقل من مكان إلى آخر، والتحويل من شيء إلى آخر، ومنه قولك: نسخُ الخلية: نقل ما فيها من النحل والعسل، وتحويله إلى خلية أخرى. وعليه قوله تعالى: (**وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (82) هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**) (الجاثية: 28-29).

أي: إنا كنا نأمر الملائكة بنسخ أقوالكم وأعمالكم، ونقلها إلى سجلات وصحائف أعمالكم.

ولكن النسخ الوارد في القرآن إنما هو بالمعنى اللغوي الأول، وهو رفع للأحكام سواء كان بعوض أم بغير عوض، ولم يرد النسخ في القرآن بالمعنى الثاني، وهو النقل والتحويل، فليست هناك آية نقلت بلفظها وحكمها من سورة ووضعت في سورة أخرى!

3.4 معنى النسخ اصطلاحاً

أكثر تعاريف النسخ شمولاً واختصاراً عند العلماء، قولهم: النسخ في الاصطلاح، هو: رفع حكم شرعي بدليل شرعي متأخر. أي أن الله يرفع الحكم الشرعي، الذي تقرره آية من كتاب الله، ويزيله ويلغيه، وقد يكون هذا بعوض وبدل، وقد لا يكون له عوض وبدل، ويحل محله حكماً شرعياً آخر.

والحكم المرفوع يسمى المنسوخ، والحكم البديل يسمى الناسخ. والذي يرفع الأحكام وينسخها هو الله، والمراد بقولهم «رفع حكم شرعي» الحكم المنسوخ، والمراد بقولهم «بدليل شرعي» الحكم الناسخ.

وفيما يلي شرح التعريف:

أ- «رفع»: جنس في التعريف، دل على أن المراد بالنسخ المعنى اللغوي الأول، وهو الرفع والإزالة، ولا يراد به المعنى اللغوي الثاني، وهو النقل والتحويل.

ب- «حكم شرعي»: يدل على أن الحكم المنسوخ لابد أن يكون حكماً شرعياً. وهذا قيد خرج به ما يلي:

1- إبطال الإسلام لعادات العرب في الجاهلية، فهو رفع لها، لكنه ليس نسخاً لأنها ليست أحكاماً شرعية، بل هي عادات جاهلية، مثل إلغاء الإسلام نكاح زوجة الأب، وحصر عدد الطلقات بثلاث، وقصر عدد الزوجات على أربع.

2- تكليف البالغ بالعبادات، بعد أن لم يكن مكلفاً قبيل البلوغ، فهذا التكليف لم يرفع حكماً شرعياً، وإنما رفع حكماً عقلياً لأن عدم تكليف غير المكلف، وبراءة ذمته من المسؤلية قبل البلوغ، حكم عقلي، وليس حكماً شرعياً.

ج- «بدليل شرعي»: أي أن الحكم الناسخ الجديد لا بد أن يكون دليلاً شرعياً. وهذا قيد خرج به إنهاء تكليف المكلف بالجنون أو الموت. فإذا جن المكلف سقط عنه التكليف، وليس هذا نسخاً لأن عدم تكليف المجنون، حكم عقلي، أنهى مطالبة المجنون بالأحكام الشرعية، فلا يعد ناسخاً لها. كذلك سقوط التكليف عن الإنسان بموته حكم عقلي، فلا نقول الأحكام الشرعية منسوخة عن الميت!

د- «متأخر»: أي أن الحكم المنسوخ يكون أولاً، ثم يأتي الحكم الناسخ بعده، ويتأخر عنه.

وهذا قيد، خرج به التخصيص، فقد يكون المخصص مقارناً للعام في النص، نازلاً معه، كما في قوله تعالى: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا) (آل عمران: 97).

فقوله «من استطاع إليه سبيلاً» تخصيص لعموم قوله «ولله على الناس حج البيت» والآية كلها نازلة دفعة واحدة.

كما خرج بهذا القيد الاستثناء؛ لأن المستثنى مقارن في النزول للمستثنى منه، وليس متأخراً عنه، كما في قوله تعالى: (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ) (المعارج: 19 - 22).

4,4 أدلة وقوع النسخ في القرآن

ونعني بها الأدلة القرآنية، أي الآيات التي تشير إلى وقوع النسخ في القرآن.

والنسخ في القرآن مرتبط بالتدرج في التشريع، حيث أنزل الله أحكاماً على المسلمين،

ثم رفعها ونسخها بعد ذلك، كما في التدرج في تحريم الخمر.

كما أن النسخ مرتبط بإنزال القرآن منجماً مفرقاً، حيث كان الله يشرع لعباده بعض الأحكام، ثم ينسخها بعد ذلك، ولو أنزل الله القرآن كله جملة واحدة -كما أنزل الكتب السابقة- لما جاز أن يكون فيه ناسخ ولا منسوخ!

ومن الآيات التي تشير إلى النسخ:

4.4.1 قوله تعالى: (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) (الرعد: 39).

أي: يمحو الله ما يشاء من أحكام كتابه ويرفعه ويزيله وينسخه. ويثبت ما شاء من أحكام كتابه، فلا يمحوه ولا ينسخه.

والله عنده أم الكتاب، أي عنده اللوح المحفوظ، وهو أصل آيات الكتاب، التي محا ونسخ أحكامها، وأصل آيات الكتاب التي أثبت أحكامها، فالله عنده ما يرفع وينسخ من الأحكام، وعنده ما لا ينسخ ولا يرفع من الأحكام.

4.4.2 قوله تعالى: (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ) (النحل: 101).

أي: إذا نسخنا ورفعنا حكم آية، ووضعنا مكانه حكم آية أخرى، وطالبنا العباد به، قال الكفار للرسول صلى الله عليه وسلم: إنما أنت مفتر مختلق كاذب، وليس هذا حكم الله!

وهذه الآية تشير إلى النسخ ببدل؛ لأن الحكم الجديد يأتي بدلاً من الحكم السابق المنسوخ.

4.4.3 قوله تعالى: (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) (المائدة: 48).

الخطاب في الآية من الله للأنبياء والرسل. أي: جعل الله لكل رسول شرعة خاصة به، ومنهاجاً خاصاً به.

وهذا يعني أن شريعة النبي اللاحق تنسخ شريعة النبي السابق وتحل محلها، واستمر نسخ شرائع الرسل، حتى بعث الله محمداً -صلى الله عليه وسلم- بالإسلام، فنسخ به كل ما سبقه، وجاء الإسلام بأحكامه ناسخاً لكل الشرائع السماوية السابقة.

4.4 قوله تعالى: (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (البقرة: 106).

وهي آية صريحة في النسخ، تقرر أن الله إذا نسخ آية ورفع حكمها، أو نَسَأها وأَخَّرها، وأبقى حكمها، فإنه يأتي بحكم خير من الحكم المنسوخ، ويكون خيراً للعباد في التعبد، سواء كان أخف من المنسوخ، أو أثقل منه، أو مساوياً له. أو يأتي الله بحكم مثل الحكم الأول.

وفي كلمة «ننسها» في الآية قراءتان سبعيتان:

الأولى: قراءة ابن كثير وأبي عمرو: «**أو نَنْسَأْها**» من النسيء وهو التأخير. أي نؤخر حكمها، ونبقيه ونثبته ولا ننسخه.

الثانية: قراءة نافع وعاصم وحمزة والكسائي وابن عامر: «**أو نُنْسِها**» من النسيان، والنسيان بمعنى الترك، أي نتركها ونبقيها دون نسخ.

والقراءتان تلتقيان على أن أحكام الآيات، نوعان: نوع ينسخه الله ويرفعه ويأتي بأحكام أخرى مكانه، خير منه، أو مثله. ونوع يبقيه الله دون نسخ، حيث يؤخره مبقياً له، أو يتركه محكماً غير منسوخ: «أو ننسها».

ونلاحظ أن الأفعال الثلاثة في الآية مسندة إلى الله: «ننسخ، ننسها، نأت». أي أن الله هو الذي ينسخ ما شاء من أحكام آياته، ويبقي ما شاء منها، وإذا نسخ بعضها، فهو الذي يأتي بالدليل الناسخ.

5.4 الحكمة من النسخ

الله عليم حكيم، والحكمة تبدو في كل أفعاله وأحكامه سبحانه وتعالى، والحكمة تعني الصحة والصواب والمصلحة.

فالله لا يشرع تشريعاً إلا بمقتضى حكمته، وإلا لمصلحة الأمة. ولهذا كان النسخ في أحكام الشريعة مظهراً من مظاهر حكمة الله، وكان لتحقيق المصلحة للمسلمين، وتقديم الخير لهم.

وقد أشارت آيات القرآن إلى بعض الحكم من النسخ، ومن هذه الحكم:

5.4.1 التيسير على المسلمين، ورفع الحرج عنهم

فالله في تشريعاته لهم يريد بهم اليسر، ولا يريد بهم العسر، وقد ورد هذا نصاً في الآية التي أوجبت صيام رمضان، ونسخت التخيير في الصيام، حيث قال الله فيها: **(يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)** (البقرة:185).

5.4.2 الابتلاء والاختبار والامتحان، فتتميز الصفوف

ويعرف المؤمن الصادق الملتزم بأحكام الله الجديدة الناسخة، ويعرف المنافق الذي أنكرها ورفضها، ولا يتحقق هذا إلا بالنسخ.

وقد نص القرآن على هذه الحكمة، عند كلامه عن نسخ القبلة: **(وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ)** (البقرة: 143).

5.4.3 بالنسخ تظهر فضائل المؤمنين الصادقين

وتبدو صفاتهم الإيمانية العظيمة، فهم يلتزمون بالحكم الرباني الناسخ، كما التزموا بالحكم المنسوخ قبله ولولا قوة إيمانهم وعظيم هداهم لما التزموا. قال تعالى في الآية السابقة: **(وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ)** (البقرة: 143) فلا يلتزم بالقبلة الجديدة إلا من هداهم الله.

5.4.4 تربية الأمة بالنسخ

حيث كان الله يشرع لهم الحكم تربية لهم، ثم ينسخه ويشرع لهم حكماً جديداً، فيكون النسخ أشبه ما يكون بتشريع انتقالي، يتفق مع الحكمة الربانية، وهي: التدرج في التشريع، ومثال هذا، المراحل المتدرجة التي مر فيها تحريم الخمر، إلى أن جاءت الآيات المحرمة لها تحريماً نهائياً مطلقاً، فنسخت الآيات السابقة.

5.4.5 إظهار فضل الله على الأمة ورحمته بها، ورعايته لها وإرادته الخير بها

وأوضح ما يكون هذا إذا كان الناسخ أخف من المنسوخ. ودائماً الناسخ خير للأمة

من المنسوخ؛ لأن الله يريد الخير بالأمة، ويشرع لها ما هو خير، وصرحت الآية بالخيرية في الحكم الناسخ، وذلك في قولها: (**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا**).

5.4.6 الحكمة من إبقاء ألفاظ الآية التي نسخ الله حكمها

أن الله أبقاها في القرآن؛ لأنها من كلامه سبحانه، وأبقاها لما تحويه من ألوان وصور البلاغة القرآنية، وما تتضمنه من المعاني العظيمة، ولينال المسلم الأجر والثواب بتلاوتها في أثناء ترتيله للقرآن، حيث يثيبه الله على كل حرف من حروفها عشر حسنات.

6.4 شروط النسخ

وضع العلماء شروطاً لا بد منها لتحقيق النسخ في القرآن، واستخرجوا هذه الشروط من استقرائهم للآيات الناسخة والآيات المنسوخة. ومن أهم هذه الشروط:

1- أن يكون المنسوخ حكماً شرعياً ثابتاً بالقرآن أو بالسنة.

2- أن يكون الناسخ دليلاً شرعياً، ثابتاً بالقرآن الكريم.

3- أن يكون الناسخ متراخياً عن المنسوخ.

4- أن يكون بين النصين القرآنيين - المنسوخ والناسخ - تعارض حقيقي بحيث لا يمكن الجمع بينهما، في أي صورة من صور الجمع والتوفيق، كالعموم والخصوص.

5- أن يكون المنسوخ مطلقاً غير متعلق بوقت معلوم، فإذا كان في الآية ما يدل على توقيتها، لا يعد انتهاء وقتها نسخاً.

فقوله تعالى: (**فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ**) (البقرة:109).

ليس منسوخاً بآيات القتال لأنه محدد بوقت معين، فالعفو والصفح مستمران إلى أن يأتي الله بأمره، وهو الأمر بالقتال، وعندما أمر الله بالقتال انتهى الأمر بالعفو والصفح.

6- أن يكون الناسخ آية من القرآن، وليس حديثاً نبوياً.

7- أن لا يكون المنسوخ خبراً لأنه لا نسخ في الأخبار.

8- أن يكون النص المنسوخ ملزماً، أما إذا كان بصيغة التخيير فلا ينسخ؛ وذلك كقوله تعالى: (**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ**) (البقرة: 233).

فقوله (لمن أراد أن يتم الرضاعة) ليس ناسخاً لأول الآية (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين) لأنه يدل على التخيير وليس الإلزام.

7.4 تصويب أفهام بالنسبة للنسخ

موضوع «الناسخ والمنسوخ» في القرآن، دار حوله كلام كثير، وحصلت فيه مبالغات كثيرة، سببها أفهام خاطئة.

فهناك قوم بالغوا في القول بالنسخ، وأكثروا منه، وجعلوا النسخ في الأخبار وغيرها، وجعلوا التخصيص والتفسير والتقييد والإنساء والاستثناء نسخاً. ومن مبالغاتهم أنهم أوصلوا الآيات المنسوخة إلى أكثر من مئتي آية.

وقد رفض السيوطي في كتابه: «الإتقان في علوم القرآن» هذه المبالغة منهم، وعدَّ معظم الآيات التي قيل بنسخها أنها محكمة، ولم يثبت عنده النسخ إلا في عشرين آية فقط، على خلاف في نسخ بعضها، ولا يصح دعوى النسخ في غيرها.

نشاط (3)

عزيزي الدارس، اكتب تقريراً في ثلاث صفحات عن الآيات الناسخة والآيات المنسوخة، مبيناً الحكم المنسوخ والحكم الناسخ فيها. مستفيداً ومستعيناً في ذلك بكتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، النوع السابع والأربعون في ناسخ القرآن ومنسوخه، وابعث بتقريرك إلى المشرف الأكاديمي.

ومن أسباب إكثارهم من القول بالنسخ، ومبالغتهم في عد الآيات الناسخة والمنسوخة:

1- اعتبارهم إبطال آيات القرآن لعادات الجاهلية نسخاً، مع أنه ليس بنسخ كما سبق أن قلنا.

2- ظنهم أن ما شرع لسبب، ثم زال سببه أنه من المنسوخ، كالمرحلية في آيات الجهاد، حيث جعلوا جميع الآيات التي تتحدث عن الصبر والصفح والعفو وكف اليد وعدم القتال، ثم قتال المقاتلين فقط، ثم التوسع في قتال الآخرين، عدّوا هذه الآيات كلها منسوخة بآية السيف في سورة التوبة، باعتبارها آخر ما نزل في أحكام الجهاد، مع أن آية السيف لم تنسخ الآيات السابقة في الجهاد.

3- عدم تفريقهم بين النسخ وكلٍّ من: التخصيص والبيان والتقييد والإنساء والاستثناء، واعتبارهم هذه الأمور من باب النسخ، مع أنها ليست كذلك.

4- توهمهم وجود تعارض بين الآيات، ولم يتمكنوا من الجمع والتوفيق بينهما، فلجأوا إلى القول بالنسخ، مع أن معظم ما قالوا بنسخه ليس كذلك، لإمكانية الجمع والتوفيق بين الآيات.

5- وَلَعهم بالتقسيم والتبويب، وإكثارهم من التفريع والتفصيل، وإيراد أمثلة من الآيات، يمثلون بها لفروعهم، مع أنها ليست من باب النسخ.

6- اعتمادهم أقوالاً غير دقيقة للسابقين، وأخذهم بروايات غير ثابتة عنهم، ولو حاولوا تخريج هذه الروايات وفق مقاييس علماء الحديث، لطرحوها وتركوها!.

ورَدَّ آخرون على مبالغة هؤلاء المكثرين من القول بالنسخ بغلوٍّ مقابل، فأنكروا وقوع النسخ في القرآن، ورفضوا القول به، وبالغوا مبالغة كبيرة في محاربته، وأثاروا حوله شبهات عقلية، وأوردوا في نقضه أدلة عقلية، وحاولوا الجمع بين الآيات الناسخة والمنسوخة، وإزالة التعارض بينهما، وفسروها تفسيرات متكلفة تكليفاً واضحاً، فراراً منهم من القول بالنسخ.

وأول من أنكر النسخ الإمام المعتزلي أبو مسلم الأصفهاني، وتابعه على رأيه كثير من المعتزلة الذين جاءوا بعده، وبعض المتأثرين به.

وراج القول بإنكار النسخ عند كاتبين معاصرين، وظهرت لهم مؤلفات حول هذا الموضوع، ومن هؤلاء الدكتور مصطفى زيد في كتابه: لا نسخ في القرآن، وعبد المتعال الجبري في كتابه: النسخ كما أفهمه، وأخيراً جواد عفانة في كتابه: الرأي الصواب في منسوخ الكتاب.

ومن أسباب إنكارهم للنسخ:

1- غلو الفريق الأول الذين أكثروا من القول بالنسخ، فردوا على الغلو بغلو آخر، وخير الأمور أوساطها.

2- اشتباه النسخ عندهم بالبَداء، وعدم تفريقهم بين الأمرين.

3- زعمهم أن النسخ لا يتصف بالحكمة، وأنه يلزم منه التناقض، وتحصيل الحاصل.

4- عدم ملاحظتهم أن النسخ إنما هو مفهوم إنساني، أي أنه بالنسبة لنا، وليس بالنسبة إلى الله، فالمنسوخ كان حكماً بالنسبة لنا، ثم رفعه الله وبدله، فالنسخ والرفع والتبديل ليس في علم الله، وليس في كلامه، فهذا لا تغيير فيه ولا تبديل.

إنما النسخ والرفع في الأحكام التي أمرنا الله بها، والله يعلم أنه سينسخها ويبدلها. ولهذا قال العلماء: إن النسخ إنما هو رفع وتبديل بالنسبة لنا، أما بالنسبة إلى الله فهو بيان محض، إذ لا تبديل في علم الله وكلامه سبحانه.

تدريب (3)

بيّن الفرق بين النسخ، وكل من المصطلحات التالية: التخصيص، البَداء، البيان، الإنساء، الاستثناء.

8.4 أقسام النسخ

قد يكون المنسوخ في القرآن، وقد يكون في السنة، وقد يكون الناسخ في القرآن، وقد يكون في السنة. فأقسام النسخ في دورانه بين القرآن والسنة، أربعة:

1- نسخ القرآن بالقرآن.

2- نسخ السّنة بالسنة.

3- نسخ السّنة بالقرآن.

4- نسخ القرآن بالسّنة.

القسمان الأولان من نسخ المساوي بالمساوي، في درجة الناسخ والمنسوخ؛ لأن النص القرآني الناسخ مساوٍ في الدرجة للنص القرآني المنسوخ، والحديث النبوي الناسخ مساوٍ للحديث المنسوخ في الدرجة.

والقسم الثالث نسخ الأدنى درجة، وهي السّنة، بالأعلى درجة وهو القرآن.

والقسم الرابع نسخ الأعلى بالأدنى.

1.8.4 نسخ القرآن بالقرآن

أي أن يكون الحكم المنسوخ ثابتاً بآية من القرآن، ثم ينزل الله آية أخرى تنسخ حكم الآية السابقة. وهذا موجود في القرآن، مثاله نسخ التخيير في صوم رمضان على المستطيع، بوجوب ذلك عليه، وإلزامه به.

وكان التخيير في قوله تعالى: **(وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ**

خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (البقرة: 184) فنسخ الله التخيير، وألزم المستطيع بالصوم في قوله تعالى: **(فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ)** (البقرة: 185).

2.8.4 نسخ السنة بالسنة

فالحكم المنسوخ ثابت في السّنة، والحكم الناسخ ثابت في السّنة أيضا، ومثاله قوله -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الصحيح: «**كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها**».

3.8.4 نسخ السنة بالقرآن

فالحكم المنسوخ ثابت في السنة، والحكم الناسخ ثابت في القرآن، ومثاله نسخ القبلة، فقد كانت القبلة، هي بيت المقدس، حيث كان المسلمون يتوجهون إلى بيت المقدس في الصلاة، وهذا الحكم ثبت في السنة.

ثم نسخ الله هذا الحكم، وأمر المسلمين بالتوجه نحو الكعبة في الصلاة وكان الناسخ قوله تعالى: **(قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ)** (البقرة: 144).

4.8.4 نسخ القرآن بالسّنة

أي أن تنسخ السّنة حكماً ثابتاً في القرآن. وقد ذهب فريق من العلماء إلى جواز هذا القسم، وإلى وقوعه، على اعتبار أن السنة حكم الله، وإن كان لفظها من الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

واحتجوا على وقوعه بالحديث الصحيح، حيث قال عليه الصلاة والسلام: «**لا وصية لوارث**». فعدوه ناسخاً لحكم جواز الوصية للوالدين والأقربين الثابت في قوله تعالى: **(كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ)** (البقرة: 180).

وذهب فريق من العلماء إلى عدم جواز نسخ القرآن بالسنة، وإلى عدم وقوعه؛ لأن القرآن كلام الله والحديث كلام رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وكلام الرسول البشر عليه السلام أدنى من كلام الله، ولا ينسخ كلام الله، إذ لا ينسخ الأدنى الأعلى.

وردوا على استدلال الفريق الأول، بأنه لم يثبت مثال واحد نسخت فيه السّنة القرآن، وحديث «**لا وصية لوارث**» ليس ناسخاً لآية الوصية. وإنما الذي نسخ آية الوصية آية المواريث في سورة النساء (**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ**) (النساء:11).

والحديث «لا وصية لوارث» جاء مؤكداً لأحكام آية المواريث.

والذي نرجحه هو الرأي الثاني، فلا يجوز نسخ القرآن بالسّنة، لاختلاف درجتيهما، وبخاصة أنه لم يثبت مثال واحد، نسخت فيه السّنة القرآن.

9.4 أنواع النسخ

النسخ الوحيد الذي ثبت في القرآن، هو نسخ الحكم؛ أي أن الله ينسخ أحكام بعض الآيات، بآيات أخرى لاحقة، ويبقي ألفاظ الآيات المنسوخة أحكامها في القرآن، يتلوها المؤمنون، ويتدبرونها، ويتذوقون معانيها. وهذا النسخ أربعة أنواع:

1.9.4 الحكم الناسخ أخف من المنسوخ

ومثاله: عدة المتوفى عنها زوجها، فقد كانت أولاً تعتد حولاً كاملاً، وذلك في قوله تعالى: (**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ**) (البقرة: 240).

فنسخ هذا ببدل أخف، حيث جعل الله عدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام، وذلك في قوله تعالى: (**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا**) (البقرة: 234).

2.9.4 الحكم الناسخ أثقل على المكلفين من الحكم المنسوخ

ومثاله صيام رمضان فقد كان القادر على الصيام مخيراً بين أن يصوم، وبين أن يفطر ويدفع الفدية، وذلك في قوله تعالى: (**وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**) (البقرة: 184).

فكان من شاء من المسلمين القادرين على الصيام أن يصوم صام، ومن شاء منهم أن يفطر أفطر، ودفع الفدية، وهي طعام مسكين.

ثم نسخ الله هذا التخيير، وألزم كل قادر بالصيام: (**فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**) (البقرة: 185). ولا شك أن إلزام القادرين بالصيام أثقل تكليفاً من تخييرهم فيه.

3.9.4 نسخ المساوي بالمساوي

بحيث يتساوى الحكمان الناسخ والمنسوخ في الخفة، فليس أحدهما بأثقل على المكلفين من الآخر.

ومثاله: نسخ القبلة. فقد كان المسلمون يتوجهون إلى بيت المقدس في الصلاة، ثم نسخ الله هذا الحكم الثابت بالسنة، وأمرهم بالتوجه إلى الكعبة، فقال تعالى: (**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ**) (البقرة: 144).

4.9.4 النسخ بدون بدل

أي ينسخ الله الحكم الذي كلف به المسلمين، ويرفعه ويعفيهم منه، ولا يطلب منهم آخر بدلاً منه. ومثاله نسخ تقديم الصدقة عند مناجاة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، فقد أمر الله المسلمين بتقديم صدقة عند مناجاتهم للرسول عليه الصلاة والسلام، وذلك في قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ**) (المجادلة: 12).

ثم نسخ الله هذا الحكم، وأعفاهم منه، ولم يطالبهم ببدل له، وذلك في قوله تعالى: (**أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ...**) (المجادلة: 13).

?

أسئلة التقويم الذاتي (3)

1- يطلق النسخ في اللغة على معنيين. اذكرهما، واستشهد لهما بآيات من القرآن.

2- عرف النسخ اصطلاحاً، واشرح التعريف.

3- أورد ثلاث آيات تدل على وقوع النسخ في القرآن، وبين وجه الاستدلال بها.

4- عدد أربع حِكَمِ لوقوع النسخ في القرآن.
5- اذكر خمسة شروط لتحقيق النسخ.
6- ما أهم أسباب غلو وإكثار القائلين بالنسخ، وأهم أسباب المنكرين له؟
7- أقسام النسخ أربعة، اذكرها، ومثل لكل قسم بمثال، تبين فيه الناسخ والمنسوخ.
8- أنواع النسخ في القرآن أربعة، اذكرها، ومثل لكل نوع بمثال تبين فيه الناسخ والمنسوخ.
9- ما الفرق بين النسخ، وكلٍّ من التخصيص، والبَداء، والبيان؟

5. المحكم والمتشابه

1.5 مقدمة

أخي الدارس، أختي الدارسة، القرآن كتاب الله، أحكمه وفصله، فهو محكم مفصل، وآياته متشابهة متماثلة، في كونها كلام الله.

وقد أخبرنا الله أن من آيات القرآن آيات محكمات، ومنه آيات أخر متشابهات.

واختلف العلماء في بيان الآيات المحكمات، والآيات المتشابهات، وتحديد معنى الإحكام والتشابه فيها، كما اختلفوا في التعامل مع المتشابه، وهل يمكن تأويله أو لا يمكن، واختلفوا في معنى التأويل، وفي حقيقته، والمراد به.

كلامنا في هذا القسم من الوحدة، عن المعنى اللغوي للمحكم والمتشابه، ومعناهما الاصطلاحي. ونتكلم عن الإحكام والتشابه بالمعنى العام، باعتبارهما وصفين لكل آيات القرآن، ثم عن الإحكام والتشابه بالمعنى الخاص، ونتحدث عن نوعين من أنواع التشابه، وهما: التشابه اللفظي، والتشابه الموضوعي.

ونبين الخلاف في تأويل المتشابه الموضوعي، وما يمكن تأويله منه وما لا يمكن تأويله، وكيفية تأويل الممكن منه.

2.5 المعنى اللغوي للمحكم والمتشابه

المحكم: اسم مفعول، من «أحكم»، والمصدر منه: إحكام. والإحكام هو المنع. يقال: أحكم الأمر: أي أتقنه ومنعه عن الفساد. ويقال: حكم نفسه وحكم الناس. أي: منع نفسه ومنع

الناس عما لا ينبغي. قال الإمام الراغب الأصفهاني في كتاب المفردات:

«حكم: أصله: منع منعاً لإصلاح. ومنه سمي اللجام حَكَمة الدابة. حكمت الدابة: منعتها بالحَكَمَة، وحكمت السفينة وأحكمتها. قال الشاعر: أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم» (الأصفهاني، 1961، ص: 126).

والمتشابه: اسم فاعل من تشابه والمصدر منه: تشابه، والتشابه يدل على المشاركة في المماثلة والمشاكلة المؤدية إلى الالتباس. يقال: تشابه الأمران، واشتبها، أي: أشبه كل منهما الآخر، حتى التبسا.

قال الراغب عن التشابه بالمعنى اللغوي:

«الشبه والشبه والشبيه: حقيقتها في المماثلة من جهة الكيفية. والشبهة هو أن لا يتميز أحد الشيئين من الآخر، لما بينهما من التشابه، عيناً كان أو معنى» (الأصفهاني، 1961، 254).

الإحكام إذن هو: الإتقان، والمنع من الفساد.

والتشابه هو: التماثل والتساوي الذي يقود إلى الاشتباه والخفاء.

3 الإحكام والتشابه العام

يطلق الإحكام والتشابه باعتبارين. بالاعتبار العام، وبالاعتبار الخاص.

فهما بالاعتبار العام ليسا متقابلين ولا متغايرين. بل يكونان وصفين لموصوف واحد، متكاملين في الدلالة.

أما بالاعتبار الخاص، فهما متقابلان متغايران، فيكون المحكم غير المتشابه.

والإحكام والتشابه بالاعتبار العام وصفان لكل آيات القرآن. ولهذا يصح القول: القرآن كله محكم، والقرآن كله متشابه.

قال تعالى: (**الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**) (هود: 1).

والمراد بالإحكام هنا: الإتقان، فالقرآن كله محكم متقن، لا يلحقه خلل ولا باطل ولا فساد، فقد أحكم الله آياته من خلل يكون فيها، أو فساد يصل إليها.

وقال تعالى عن تشابه آيات القرآن: (**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ**) (الزمر: 23).

والمراد بالتشابه هنا: التماثل والتساوي. فالقرآن كله متشابه، أي: آياته متماثلة، يماثل

بعضها بعضاً في الهداية والبلاغة والإعجاز، ويصدق بعضها بعضاً، فلا خلاف ولا تناقض بينهما.

4.5 الإحكام والتشابه الخاص

الإحكام والتشابه بالاعتبار الخاص، أمران متقابلان متغايران، فالمحكم غير المتشابه.

ولهذا نقول: القرآن معظمه محكم، وبعضه متشابه.

قال تعالى: (**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**) (آل عمران: 7).

وعندما نمعن النظر في هذه الآية، فسوف نستخرج منها الإشارات الآتية:

1- المحكم في القرآن، يقابل المتشابه، حيث قسمت الآيات القرآنية إلى قسمين متقابلين: «آيات محكمات» و»أخر متشابهات».

2- معظم آيات القرآن محكمة، وقليل منها متشابه، حيث بدأت الآية بذكر الآيات المحكمات، ووصفت المتشابهات بأنها «أخر»، وهذا يفيد التقليل.

3- وصف الآيات المحكمات بأنها أم الكتاب. وجاء هذا في الجملة المعترضة «هن أم الكتاب» وأم الكتاب أصله.

4- وهذا الوصف للآيات المحكمات يشير إلى وجوب جعلها أصلاً للآيات المتشابهات، وأُمّاً لها، بحيث تحمل المتشابهات على أمِّها وأصلها المحكمات لحسن فهمها.

5- تذم الآية الذين يتبعون المتشابه من القرآن، ولا يحملونه على أصله المحكم، وتصفهم بأنهم في قلوبهم مرض، أي عندهم انحراف في التصور، وزيغ في القلب، وخطأ في الفكر، ولذلك يجرون وراء المتشابه.

6- تبين الآية هدف هؤلاء الذين في قلوبهم زيغ من اتباع المتشابه، وهو أنهم يبتغون الفتنة، ويبتغون تأويل المتشابه، وقرن رغبتهم في تأويل المتشابه برغبتهم في الفتنة، يدل على ذم محاولتهم تأويل المتشابه.

7- تقصر الآية علم تأويل المتشابه على الله وحده: «وما يعلم تأويله إلا الله»، وهذا يدل على عدم قدرة أحد على تأويل المتشابه.

8- تمدح الآية موقف الراسخين في العلم من المتشابه، وتعطيهم صفة «الراسخون في العلم»، فرسوخهم في العلم دلهم على عدم قدرتهم على تأويل المتشابه، وقادهم إلى الإيمان بالمتشابه، والتسليم بعجزهم عن تأويله: «يقولون آمنا به كل من عند ربنا».

فالمتشابه المذكور في هذه الآية هو الذي لا يعلم تأويله إلا الله، والتأويل المذكور في الآية هو ذلك النوع الذي لا يعلمه إلا الله.

لقد ذكرت الآية نوعاً من نوعي المتشابه، ونوعاً من نوعي التأويل! فما هما هذان النوعان؟ سنبينهما بعد كلامنا على المتشابه اللفظي إن شاء الله.

5.5 المتشابه اللفظي

المتشابه في القرآن، نوعان:

- **المتشابه اللفظي**: ويبحث في ألفاظ وكلمات آيات القرآن المتشابهة.
- **المتشابه الموضوعي**: ويبحث في تشابه واشتباه معاني وموضوعات الآيات القرآنية، هذا الاشتباه الذي أوقع في إشكالات لدى فهمه.

المتشابه اللفظي في القرآن هو: الآيات التي تكررت في القرآن، وألفاظها متقاربة، بحيث وقع في بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم وتأخير، أو إبدال حرف بحرف، أو تغيير كلمة بكلمة، أو الآيات التي تكررت بنفسها أكثر من مرة، في السورة الواحدة، أو في سورتين اثنتين.

مثال الآية التي تكررت أكثر من مرة في السورة الواحدة قوله تعالى: **(وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ)** فقد ذكرت هذه الآية في سورة المرسلات عشر مرات.

ومثال الآية المكررة في سورتين قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)**.

فهي الآية رقم «73» من سورة التوبة، وهي نفسها الآية رقم «9» من سورة التحريم.

ومثال التقديم والتأخير قوله تعالى: **(وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ**

وَإِيَّاكُمْ) (الأنعام: 151).

مع قوله تعالى: **(وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ)** (الإسراء:31).

والنظر في هذا النوع من المتشابه ممكن، وتدبره وتوجيهه مما يقدر عليه الراسخون في العلم، وليس هو المتشابه المذكور في آية سورة آل عمران، والذي ذم الله الذين يتبعونه ويخوضون فيه.

وقد ألف علماء التفسير والبلاغة كتباً عديدة في جمع الآيات المتشابهات تشابهاً لفظياً في القرآن، وفي الجمع والتوفيق بينها، وتوجيهها، وبيان الحكمة من التفاوت بينها، وقدموا في هذا تحليلات ذوقية وبيانية لطيفة.

ومن أشهر هذه الكتب اثنان:

الأول: درة التنزيل وغرة التأويل، في بيان الآيات المتشابهات لأبي عبد الله الخطيب الإسكافي، وقد طبع طبعات عديدة في مجلد.

الثاني: ملاك التأويل القاطع لذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل لأبي جعفر، أحمد بن إبراهيم، ابن الزبير الغرناطي، وطبع الكتاب طبعات عديدة في مجلدين، وهو أجود وأجمع الكتب في هذا الموضوع.

6.5 المتشابه الموضوعي

هذا هو الذي يقابل المحكم، وهو المراد باصطلاح متشابه القرآن، وهو المقصود بالتقسيم في آية آل عمران: **(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)** (آل عمران: 7).

وقد اختلفت أقوال علماء ومذاهب وفرق المسلمين في فهم وبيان المتشابه الموضوعي في القرآن، وفي إمكانية معرفته وتأويله، وفي تعريف كل من المحكم والمتشابه.

والراجح في تعريف المحكم هو: ما أحكم المراد به، لمجيئه على صفة، لا يمكن أن يحتمل معها إلا ذلك المراد، إما في أصل اللغة، أو بشواهد العقل. كقوله تعالى: **(قُلْ هُوَ اللهُ**

أَحَدٌ) (الإخلاص: 1).

وقوله تعالى: (وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ) (الزمر:7).

وقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا) (يونس:44).

والراجح في تعريف المتشابه هو: ما التبس فهم المراد منه، من حيث خرج ظاهره عن أن يدل على المراد به، لشيء يرجع إلى اللغة، أو العقل، كقوله تعالى: (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا) (الإسراء: 16).

وقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ...) (الأحزاب: 57).

وأقوال الصحابة والتابعين توضح هذا، ونختار منها قولين:

الأول: قول الصحابي جابر بن عبد الله رضي الله عنه: المحكمات من الآيات: ما عرف تأويله، وفهم معناه وتفسيره. والمتشابه: ما لم يكن لأحد إلى علمه من سبيل، مما استأثر الله بعلمه دون خلقه. وذلك مثل وقت قيام الساعة، وخروج يأجوج ومأجوج، وفناء الدنيا، وما أشبه ذلك.

الثاني: رأي التابعي محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام: المحكمات: هي التي فيها حجة الرب، وعصمة العباد، ودفع الخصوم والباطل، ليس لها تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه.

والمتشابهات: لهن تصريف وتحريف وتأويل، ابتلى الله فيهن العباد، كما ابتلاهم بالحلال والحرام، لا يصرفن إلى الباطل، ولا يحرفن عن الحق[1]*.

وقد تكلم الإمام الراغب الأصفهاني في المفردات عن المتشابه بأنواعه المختلفة، وأسباب التشابه فيها، ونلخص كلامه في ذلك. «والمتشابه من القرآن: ما أشكل تفسيره، لمشابهته بغيره، إما من حيث اللفظ، أو من حيث المعنى.

فقال الفقهاء: المتشابه: ما لا ينبيء ظاهره عن مراده. وحقيقة ذلك: أن الآيات عند اعتبار بعضها ببعض، ثلاثة أضرب:

محكم على الإطلاق، ومتشابه على الإطلاق، ومحكم من وجه، متشابه من وجه: فالمتشابه في الجملة ثلاثة أضرب: متشابه من جهة اللفظ فقط، ومتشابه من جهة المعنى فقط، ومتشابه من جهة اللفظ والمعنى.

1 * (انظر دراسة د. عدنان زرزور لتعريف المحكم والمتشابه في كتابه «متشابه القرآن: دراسة موضوعية»، 1969، صفحات: 18-51).

والمتشابه من جهة المعني: أوصاف الله تعالى، وأوصاف يوم القيامة. فإن تلك الصفات لا تتصور لنا، إذ كان لا يحصل في نفوسنا صورة ما لم نحسه. أو لم يكن من جنس ما نحسه.

ثم: جميع المتشابه على ثلاثة أضرب:

1. ضرب لا سبيل للوقوف عليه، كوقت الساعة، وخروج دابة الأرض وكيفية الدابة، ونحو ذلك.

2. وضرب للإنسان سبيل إلى معرفته كالألفاظ الغريبة، والأحكام الغَلِقة.

3. وضرب متردد بين الأمرين، يجوز أن يختص بمعرفة حقيقته بعض الراسخين في العلم، ويخفى على من دونهم، وهو الضرب المشار إليه بقوله عليه الصلاة والسلام لابن عباس: «**اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل**» وإذ عرفت هذه الجملة، علم أن الوقف على قوله: «**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ**» ووصله بقوله: «**وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**» جائز. وأن لكل من الوقوف والوصل وجهاً مقبولاً». (الأصفهاني، 1961، 254 - 255 باختصار).

ويظهر لنا من كلام جابر بن عبد الله ومحمد بن جعفر بن الزبير والراغب الأصفهاني أن المتشابه الموضوعي، نوعان:

1. نوع لا سبيل إلى تأويله، كما قال جابر بن عبد الله، وذلك كوقت قيام الساعة وخروج الدابة، وغير ذلك.

2. ونوع يمكن تأويله من قبل الراسخين في العلم، كما قال محمد بن جعفر بن الزبير، وهو المراد بدعاء الرسول عليه السلام لابن عباس أن يعلمه الله التأويل.

5.7 معنيان للتأويل

المتشابه مرتبط بالتأويل، والمراد بالتأويل يحدد المراد بالمتشابه. فعندما نقول: هل يمكن تأويل المتشابه؟ الذي يحدد الجواب المراد بالتأويل، فنقول للسائل: ما قصدك بالتأويل؟ إن كان التأويل بمعنى كذا، فيمكن تأويل المتشابه، وإن كان التأويل بمعنى كذا، فلا يمكن تأويل المتشابه.

والتأويل من «الأَوْل»

قال الإمام الراغب في المفردات:

«التأويل: من الأَوْل. أي: الرجوع إلى الأصل.

ومنه الموئل: للموضع الذي يرجع إليه.

والتأويل هو: رد الشيء إلى الغاية المرادة منه، علماً كان أو فعلاً.

ففي العلم قوله تعالى: (**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**) (آل عمران: 7)، وفي الفعل قوله تعالى: (**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ**) (الأعراف: 53).

أي: بيانه الذي هو غايته المقصودة منه. (الأصفهاني: 31).

وكلام الإمام الراغب عن التأويل يدل على أن التأويل، نوعان:

الأول: تأويل النص، بمعنى تفسيره وبيانه.

الثاني: تأويل الخبر، بمعنى: وقوعه في الحقيقة، وبيان مرجعه ومصيره.

وهذا يعني أن التأويل له معنيان:

المعنى الأول: تأويل الخبر: وقوع المخبر به في عالم الواقع، وعلى هذا، ورد التأويل في قوله تعالى: (**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ**) (الأعراف: 53).

ومعنى الآية: هل ينتظرون إلا تأويل آيات القرآن، التي تتحدث عن أشراط الساعة وأهوال يوم القيامة، ومشاهد البعث والحساب والميزان والعرض والصراط والنار؟ يوم يأتي تأويلها، وتقع الأحداث التي أخبرت عنها فعلاً، ويشاهدونها أمامهم في الواقع، يقولون: قد جاءت رسل ربنا بالحق، وثبت لنا أن الرسل كانوا صادقين، فيما أخبرونا به.

لقد اعترفوا بهذا يوم جاء تأويل أخبار القرآن، ووقعت فعلاً في عالم الواقع.

والتأويل للأخبار المستقبلية، وقوعها في عالم الواقع، فهو عين المخبر به.

المعنى الثاني: تأويل النص: تفسيره وبيانه، وفهم معناه، واستنباط المعاني والدلالات منه.

وهذا لا يقدر عليه إلا الراسخون في العلم، فهو تفسير للنص يحتاج إلى نظر وفكر وتدبر، ولهذا ورد التأويل في القرآن في مواطن دقيقة، تحتاج إلى ذلك، سواء تأويل المتشابه في سورة آل عمران، أم تأويل الأحلام في سورة يوسف، أم تأويل الأعمال في قصة موسى مع الخضر -عليهما السلام- في سورة الكهف.

وهذا ما كان يعنيه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، لما دعا لابن عباس قائلاً: «**اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل**».

أي: علمه تفسير وبيان آيات القرآن، واستنباط الدلالات اللطيفة منها، واستخراج الأحكام والإشارات الخفية منها، وعلم تأويل المتشابه وفهمه وبيانه.

5 8 متشابه لا يمكن تأويله

أخي الدارس، أختي الدارسة، بعد كلامنا عن معنيي التأويل، نصل إلى تأويل المتشابه، لنبين أن المتشابه نوعان، مبنيان على نوعي التأويل.

فمن المتشابه ما لا يمكن تأويله، ومن المتشابه ما يمكن تأويله.

فإذا كان المراد بالتأويل بيان الحقيقة والمآل والمرجع والمصير، فالمتشابه الذي لا يمكن تأويله من قبل البشر، هو ما أخبر عنه القرآن، من الأحداث المستقبلية عند نهاية الدنيا، والتي ستقع كما أخبر عنها القرآن، وذلك كخروج الدابة، وظهور يأجوج ومأجوج، وأشراط الساعة، من الانشقاق والانفطار والتكوير، ثم مشاهد وأهوال يوم القيامة من الصعق والبعث والحشر والعرض والحساب والميزان والصراط، وغير ذلك؛ لأن تأويلها، هو وقوعها فعلاً، وتحقيق معاني الآيات التي أخبرت عنها، عملياً في صورة واقعية.

وتأويل هذه الأحداث، خاص بالله تعالى، ولا يمكن أن يعلمه أحد من البشر، لا الأنبياء، ولا الراسخون في العلم ولا غيرهم؛ أي لا يعرف أحد من البشر كيفية وقوعها، ولا الصورة التي تكون عليها عندما تقع، ولا وقت وقوعها.

وعلى هذا النوع من المتشابه نحمل قوله تعالى: **(هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ)** (الأعراف: 53). ومن هذا النوع من المتشابه الذي لا يمكن لبشر تأويله، ولا العلم بكيفيته العملية وصورته الخارجية الحقيقية، صفات الله، كالاستواء واليد والعين والوجه، التي أخبرنا عنها القرآن الكريم.

فالراسخون في العلم لا يعلمون تأويل هذه الصفات - على هذا المعنى من التأويل - أي؛ لا يعلمون كيفية اتصاف الله بها، فلا يعلمون كيفية استواء الله جل جلاله على العرش، ولا كيفية وجه الله أو عينه سبحانه؛ لأنهم لم يشاهدوا ذات الله بعيونهم.

فالراسخون في العلم يثبتون هذه الصفات لله، كما أخبر الله، ويسلمون بعجزهم عن

تأويلها، أي عجزهم عن معرفة كيفيتها وحقيقتها.

وعلى هذا النوع من المتشابه الذي لا يمكن لأحد من البشر تأويله، نحمل قول الصحابي جابر بن عبد الله، في تعريف المتشابه، حيث قال: المتشابه: هو ما لم يكن لأحد إلى علمه من سبيل، مما استأثر الله بعلمه دون خلقه، وذلك مثل وقت قيام الساعة، وخروج يأجوج ومأجوج، وفناء الدنيا.

وعلى هذا الفهم لهذا النوع من المتشابه والتأويل يكون الوقف واجباً على لفظ الجلالة، في قوله: **(فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ)**.

ثم تكون الجملة التالية في الآية استئنافية: **(وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا)**. تبين موقف الراسخين في العلم من هذا النوع من المتشابه، إذ يسلمون بعجزهم عن تأويله، ومعرفة حقيقته وكيفيته، ويقصرون علم تأويله على الله.

وتذم الآية الذين في قلوبهم زيغ، المتبعين لهذا النوع من المتشابه الراغبين في تأويله ومعرفة كيفيته: **(فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ)** (آل عمران: 7) كما ذم موقفهم هذا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، حيث روى البخاري ومسلم عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: تلا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هذه الآية: **(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ)** ثم قال -صلى الله عليه وسلم-: «**فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سماهم الله، فاحذروهم**».

9.5 متشابه يمكن تأويله

المتشابه الذي يمكن للراسخين في العلم تأويله، هو المتعلق بالنوع الثاني للتأويل، وهو: تفسير النص وبيانه وفهم معناه، واستنباط الدلالات الخفية منه.

وهذا المتشابه هو ما التبس فهم المراد منه، والتبست دلالته على بعض الناس، ومنشأ الالتباس في فهمه، إما اللغة، وإما العقل، فيعلم الراسخون أن ظاهر هذا المتشابه غير مراد، ولهذا يقومون بفهمه وتأويله، وذلك بحمله على المحكم في آيات أخرى.

ومن هذا النوع من المتشابه قوله تعالى: **(سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ)** (الرحمن: 31).

فظاهر هذه الآية غير مراد، ولا يليق بالله؛ لأن ظاهرها أن الله الآن مشغول عن الكفار بأشياء أخرى، وعندما ينتهي منها، سيتفرغ لهم، وهذا باطل؛ لأن الله لا يشغله شأن عن شأن، ولا أمر عن أمر. وتأويل الآية: أن الله سيقصد إلى الكفار؛ ليعاقبهم بعد طول إمهاله لهم.

فهذه الآية متشابهة، تحمل على آيات محكمة في نفس معناها، منها قوله تعالى: **(فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (44) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ)** (القلم: 44-45).

فهذا يدل على أن تفرغ الله لهم معناه إنهاء إملائه وإمهاله واستدراجه لهم.

وهذا النوع من المتشابه القابل للتأويل من قبل الراسخين في العلم، هو المقصود بكلام التابعي محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام، حيث قال في تعريف المتشابه: «المتشابهات لهن تصريف وتحريف وتأويل ابتلى الله فيهن العباد، كما ابتلاهم بالحلال والحرام، لا يصرفن إلى الباطل، ولا يحرفن عن الحق».

وهذا النوع من المتشابه هو الذي دعا الرسول -صلى الله عليه وسلم- ربه أن يعلم تأويله لابن عباس، عندما قال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل».

ولهذا كان ابن عباس -رضي الله عنهما- يقول: أنا ممن يعلم تأويله.

وإذا كان الراسخون في العلم يعلمون تأويل هذا النوع من المتشابه - أي يفسرونه ويبينونه من خلال حمله على المحكم - يكون الوصل جائزاً في آية سورة آل عمران: **(وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ)** وتكون الواو في «والراسخون في العلم» عاطفة، تعطف «الراسخون في العلم» على لفظ الجلالة «الله».

بهذا التقسيم للمتشابه وللتأويل، عرفنا سر اختلاف العلماء في تأويل المتشابه، وعرفنا أن لكل منهم دليله من خلال آية سورة آل عمران ومن فقه اللغة في معنى كلمتي «المتشابه والتأويل».

وقد أورد السيوطي في الإتقان كلام الإمام الخطابي عن المتشابه فقال:

«قال الخطابي: المتشابه على ضربين:

أحدهما: ما إذا رُدَّ إلى المحكم، واعتُبر به، عُرف معناه.

والآخر: ما لا سبيل إلى الوقوف على حقيقته، وهو الذي يتبعه أهل الزيغ فيطلبون تأويله، ولا يبلغون كنهه، فيرتابون فيه، فيفتتنون». (السيوطي، 1987، 1: 646).

5[10] ضابط التأويل الصحيح للمتشابه

تدلنا آية سورة آل عمران على ضابط التأويل الصحيح لهذا النوع من المتشابه. وذلك في قولها: (**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آَيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**) (آل عمران: 7).

وهذا الضابط هو وصف الآيات المحكمات بأنهن «**أم الكتاب**». أي هن أصل القرآن.

لقد جعل الله الآيات المحكمات «أُمّاً» للآيات المتشابهات، أي جعل الله المحكم أُمّاً وأصلاً للمتشابه، وطالب الله الراسخين في العلم بحمل الفرع على الأصل، ورد المتشابه إلى المحكم، حتى يؤوّلوا المتشابه تأويلاً صحيحاً.

وقد قرر الإمام الزركشي في «البرهان في علوم القرآن» هذا الضابط والأصل في تأويل المتشابه، فقال: «الأشياء التي يجب ردها عند الإشكال إلى أصولها:

(١) فيجب رد المتشابهات في الذات والصفات، إلى محكم قوله تعالى: (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**) (الشورى: 11).

(٢) ورد المتشابهات في الأفعال، إلى محكم قوله تعالى: (**قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**) (الأنعام: 149).

(٣) وكذلك الآيات الموهمة بنسبة الأفعال لغير الله - من الشيطان والنفس - ترد إلى محكم قوله تعالى : (**فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ**) (الأنعام: 125).

وما كان من ذلك عن تنزل الخطاب، أو ضرب مثل أو عبارة، عن مكان أو زمان أو معية، بالنسبة لله، مما يوهم التشبيه، يُردّ إلى محكم قوله تعالى (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**) (الشورى: 11)، وقوله تعالى: (**وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى**) (النحل: 60)، ومحكم قوله تعالى: (**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ (1) اللهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**) (سورة الإخلاص).

(الزركشي، 1957، 2: 71)

نشاط (4)

دَوّن ثلاث آيات متشابهة، واحملها على ثلاث آيات محكمة، وردها إليها وأوِّل الآيات المتشابهة تأويلاً صحيحاً، وفق ذلك الضابط والرد، ثم اكتب تقريراً بذلك بحدود أربع صفحات.

أسئلة التقويم الذاتي (4)

1- ما معنى المحكم والمتشابه في اللغة؟
2- القرآن كله محكم وكله متشابه، وضح ذلك مع الاستشهاد بالآيات.
3- استخرج من آية المتشابه في سورة آل عمران خمس دلالات، مع الإشارة إلى وجه الاستشهاد.
4- عرف المتشابه اللفظي في القرآن، ومثل له، وبين أهم الكتب في توجيهه.
5- اذكر أنواع المتشابه من حيث إمكانية التأويل أو عدمها، كما بينها الراغب الأصفهاني، مع التمثيل لكل نوع.
6- عدد نوعي التأويل واشرحهما، ومثل لكل منهما.
7- ما المتشابه الذي لا يمكن تأويله، ولماذا؟ مع التمثيل.
8- ما المتشابه الذي يقدر الراسخون في العلم على تأويله؟ مع التمثيل.
9- ما ضابط التأويل الصحيح للمتشابه؟ مع التمثيل والتوجيه.

6. الخلاصة

أخي الدارس، أختي الدارسة، هذه الوحدة الدراسية الثالثة، من مقرر علوم القرآن في برنامج التربية، تخصص التربية الإسلامية.

وقد عرضنا في هذه الوحدة أربعة مباحث من مباحث علوم القرآن، وهي: الأحرف السبعة، والقراءات القرآنية، والناسخ والمنسوخ في القرآن، والمحكم والمتشابه في القرآن.

ونوجز فيما يلي أهم الأفكار الرئيسة التي ناقشناها وعرضناها في الوحدة.

- أنزل الله القرآن على سبعة أحرف، وهي وجوه التغاير السبعة في نطق وقراءة كلمات القرآن.
- هذه الأحرف السبعة موجودة في المصحف.
- كانت الحكمة من إنزال القرآن على هذه الأحرف التيسير على المسلمين.
- هذه الأحرف السبعة توقيفية، وهي غير القراءات السبع التي جمعت في ما بعد.
- القراءات القرآنية هي طريقة النطق بكلمات القرآن.
- هذه القراءات القرآنية توقيفية، أخذها الصحابة عن الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وعلموها لمن بعدهم، حتى وصلت إلينا.
- القراءات الصحيحة التي انطبق عليها ضابط قبول القراءات عشر قراءات.
- توجيه القراءات يقوم على فهم معناها، وحجة كل قارىء في القراءة بها، وهذا لا بد منه، بينما الترجيح بينها لا يجوز؛ لأنها كلها صحيحة راجحة، فهي كلام الله.
- وقوع النسخ في القرآن ثابت وواقع بنص آيات القرآن.
- النسخ الواقع في القرآن هو رفع الله لبعض الأحكام الواردة في بعض الآيات، وتبديلها بأحكام أخرى، لحكم أرادها سبحانه.
- غالى بعض المسلمين في الأخذ بالنسخ، وغالى آخرون في إنكاره، لعدم تفريقهم بين كل من النسخ والتخصيص والبداء والبيان والإنساء والاستثناء.
- أقسام النسخ أربعة، تقوم على نسخ القرآن للسنة، بينما لا تنسخ السنة القرآن.
- النسخ الموجود في القرآن، وهو نسخ الحكم دون التلاوة، وأنواعه أربعة.
- القرآن كله محكم وكله متشابه بالمعنى العام للمحكم والمتشابه، بينما بعضه محكم وبعضه متشابه بالمعنى الخاص لهما.

- هناك نوعان من المتشابه: متشابه لفظي، ومتشابه موضوعي.
- التأويل نوعان: تأويل بمعنى معرفة عاقبة وكيفية وقوع النص، وتأويل بمعنى فهم النص وبيانه وتفسيره.
- من المتشابه ما لا يمكن تأويله؛ لأنه اختص الله بعلمه وكيفيته وحقيقته، ومن المتشابه ما يمكن للراسخين في العلم تأويله وفهمه وتفسيره.
- ضابط التأويل الصحيح للمتشابه هو حمله على أصله المحكم، ورده إليه.

هذا وقد حرصنا في هذه الوحدة على بيان الحكمة من وجود هذه المباحث في القرآن، وعلى فوائد دراستها والعلم بها. كما حرصنا على عدم ذكر اختلاف العلماء في هذه المباحث إلا ما دعت إليه الضرورة مع اختيار القول الراجح الذي هو أقرب الأقوال إلى معاني آيات القرآن.

وكنا نعرض الأمثلة على الموضوع من آيات القرآن، ونبين ما فيها من دلالات، وحرصنا على سهولة العرض، ويسر التعبير، وتوضيح المعاني، مع الإيجاز والاختصار، وعدم التوسع والتطويل.

7. لمحة عن الوحدة الدراسية الرابعة

أخي الدارس، أختي الدارسة، ننتقل الآن إلى دراسة وحدة جديدة في هذا المقرر، هي الوحدة الرابعة، التي تعرفك على لغة القرآن الكريم.

في هذه الوحدة – أخي الدارس، أختي الدارسة – سنتعرفُ بإذن الله على مواضيع مهمة من مواضيع علوم القرآن، تتعلق بلغة القرآن التي نزل بها، حيث سيتم دراسة أصل اللغة وتأليف مادتها وخصائصها.

كما تبين هذه الوحدة فصاحة ألفاظ القرآن، وبلاغة جمله، وتكشف عن روعة أسلوبه، وتوضح المقصود بغريبه، ثم تحدثنا هذه الوحدة عن موضوعين مهمين، هما إعراب القرآن ومعربه، ثم يكون الختام بأمثال القرآن.

وستجد -أخي الدارس- مدى الفوائد الجمة التي ستجنيها من دراسة هذه الموضوعات في المساعدة على فهم معاني القرآن واستخراج أسراره ولطائفه، والوقوف على إيجازه وإعجازه.

كما ستدرك - أخي الدارس - بعد دراسة الوحدة الرابعة أثر القرآن العظيم في الارتقاء بلغة العرب وتحصينها وحفظها، وأثر اللغة العربية في توضيح كثير من مباحث هذا المقرر وتيسير فهمها.

8. إجابات التدريبات

تدريب (1)

1- الأحرف السبعة توقيفية أنزلها الله على رسوله -صلى الله عليه وسلم-، بدليل قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- لعمر بن الخطاب: هكذا أنزلت.

2- الأحرف السبعة، هي وجوه في النطق بالألفاظ وقراءتها، وليس في معانيها أو استخراج أحكامها، بدليل قول عمر بن الخطاب للرسول -صلى الله عليه وسلم-: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها.

3- رقم سبعة في عدد هذه الأحرف مراد بذاته، والحصر فيها حقيقي! فهي سبعة أحرف فقط، وليست أكثر من ذلك، ولا يراد بها التكثير، بدليل قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: فلم أزل أستزيده ويزيدني، حتى انتهى إلى سبعة أحرف.

4- أن من قرأ بأي حرف من هذه الأحرف فقد أصاب، فليس شرطاً أن يقرأ بهذه الأحرف كلها، بدليل قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه.

وبدليل قول جبريل عليه السلام: فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا.

تدريب (2)

القراءات الصحيحة في آية (106) في سورة البقرة، وتوجيهها:

الآية، هي قوله تعالى: (**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**).

الكلمات التي فيها أكثر من قراءة في الآية اثنتان: «ننسخ»، «ننسها».

في «ننسخ» قراءتان:

الأولى: قراءة ابن عامر الشامي «نُنسِخ» بضم النون وكسر السين، وحجته في هذه القراءة أن الفعل «نُنسِخ» بالكسر ماضيه: أنسخ أي: أنسخَ الله رسوله الآية، أي: أمر الله رسوله بترك العمل بحكم هذه الآية.

الثانية: قراءة القراء الستة الباقين - نافع وعاصم وابن كثير وأبي عمرو وحمزة والكسائي -: «نَنسخ». بفتح النون والسين.

وحجتهم فيها أن «نَنسَخ» بالفتح، ماضيه: نسخ. أي: ينسخ الله الآية. ويرفع حكمها.

والمعنى: ما نرفع من حكم آية، ونبدله بحكم آخر.

والكلمة الثانية: «ننسها» فيها قراءتان:

الأولى: قراءة ابن كثير المكي وأبي عمرو بن العلاء البصري: «نَنسأها» بالهمز من النسأ، وهو التأخير. وحجتهما في ذلك أن «ننسأ» من النسيء، وهو التأخير، أي نؤخر حكم الآية، فلا ننسخه ولا نرفعه، وإنما نبقيه محكماً دون نسخ.

ومعنى الآية على هذه القراءة: إذا نسخنا حكم آية ورفعناه وبدلناه بغيره، أو نسأناه وأخرناه وأبقيناه محكماً دون نسخ ورفع.

الثانية: قراءة الخمسة الباقين: نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي «نُنسِها» بضم النون الأولى وكسر السين من النسيان.

وحجتهم في ذلك أن «ننسها» من النسيان، والنسيان معناه الترك أي ننس الآية ونتركها، فلا نبدلها ولا نرفعها.

ومعنى الآية على هذه القراءة: إذا نسخنا حكم آية ورفعناه وبدلناه، أو نسيناه وتركناه محكماً دون نسخ ورفع.

وبهذا نعرف أن القراءتين متقاربتان متكاملتان:

فالنسأ هو التأخير، أي: تأخير حكم الآية بإبقائه محكماً دون نسخ.

والنسي هو الترك، أي: نترك حكم الآية، بإبقائه محكماً دون نسخ.

تدريب (3)

الفرق بين النسخ وكل من: التخصيص، والبَداء، والبيان، والإنساء، والاستثناء:

*** الفرق بين النسخ والتخصيص:**

- النسخ رفع للحكم وإلغاء له بحيث لا يجوز العودة للعمل به، بينما التخصيص قصر للحكم على بعض أفراد العام، وإخراج أفراد أخرى منه، أي: يبقى العمل بالعام في ما سوى التخصيص.
- الناسخ لا بد أن يكون متأخراً عن المنسوخ، بينما المخصص قد يكون بعد النص العام، وقد يكون مقارناً له.
- النسخ لا يكون إلا في الأحكام الشرعية، بينما التخصيص يكون في الأحكام، وفي الأخبار والأخلاق والتشريعات، وغيرها.
- الناسخ لا بد أن يكون دليلاً شرعياً، بينما المخصص في التخصيص قد يكون شرعياً، وقد يكون عقلياً.
- الناسخ يبطل حجية النص المنسوخ، بينما المخصص في التخصيص لا يبطل حجية العام.

*** الفرق بين النسخ والبَداء:**

البداء بفتح الباء - معناه بدو الشيء وظهوره بعد الخفاء، ونشأة رأي جديد، لم يكن موجوداً من قبل، فالبداء يستلزم سبق الجهل. والله منزه عن ذلك فالنسخ منه ليس ناتجاً عن بداء، أي: أنه سبحانه بدا له أن يرفع الحكم ويغيره، لحدوث علم جديد عنده، لم يكن موجوداً من قبل، فالله يعلم منذ الأزل أنه سيشرع للمسلمين حكماً من الأحكام لفتره زمنية معينة، ويعلم منذ الأزل أنه سينسخ هذا الحكم ويرفعه، فعلمه سبحانه أزلي قديم، محيط بكل شيء، شامل لكل شيء، لا تخفى عليه خافية ولا مصلحة ولا حكمة.

فالنسخ تبديل في المعلوم والحكم، لا في العلم نفسه، أي هو تبديل في حقنا نحن البشر، بينما هو بيان محض في حق الله سبحانه.

*** الفرق بين النسخ والبيان:**

النسخ رفع للحكم وإلغاء له، بينما البيان ليس رفعاً للحكم، وإنما هو تبيين له وتفسير، أي: يكون النص الأول مجملاً، فيأتي نص آخر يبينه ويفسره ويوضحه، وهذا ليس نسخا له.

ومثاله قوله تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا**) (النساء: 10).

فهذا نص يحرم أكل أموال اليتامى ظلماً، ولكنه نص مجمل، فجاء نص آخر بينه وفسره ووضحه، وبين من يجوز له أكل بعض مال اليتيم، وأنه ليس من الأكل ظلماً، فقال تعالى: (**وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ**) (النساء: 6)، فالآية الثانية مبينة للآية الأولى ومفسرة لها، وليست ناسخة لها.

*** الفرق بين النسخ والإنساء:**

الإنساء هو التأخير، أي: هو تأخير للحكم، وإبقاء لمدة العمل به لفترة محددة، ثم إنهاء العمل به، لتشريع حكم آخر بعده، وليس هذا من النسخ. إن ما شرع لسبب، ثم زال سببه هو من المنسأ وليس من المنسوخ.

مثال ذلك: الآيات المكية التي كانت تأمر المسلمين في مكة بالصبر وعدم القتال، وذلك بسبب ضعفهم وقلتهم، فهي ليست منسوخة بآية السيف في سورة التوبة، كما ظن بعضهم، فآيات الجهاد ليست ناسخة لما سبقها، إنما هي من المنسأ، الذي أخر بيانه إلى وقت الحاجة والقوة، أي: أنسأ الله الأمر بالقتال، وأخره إلى أن يقوى المسلمون.

*** الفرق بين النسخ والاستثناء:**

الاستثناء من باب التخصيص، وليس من باب النسخ، حيث لا يرفع الحكم بل يخصصه، ويستثني بعض أفراده، والاستثناء يكون في الأخبار والأحكام وغيرهما، والمستثنى يكون مقارناً للمستثنى منه.

مثاله قوله تعالى: (**وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**) (سورة العصر).

9. مسرد المصطلحات

- **الأحرف السبعة:** هي وجوه سبعة في النطق بكلمات القرآن، بينها تغاير واختلاف، أنزل الله القرآن عليها، تيسيراً على المسلمين.
- **البَداء (بفتح الباء):** وهو ظهور الشيء بعد خفائه، ونشأة علم جديد، نتيجة بحث جديد، ورأي جديد، والله منزه عن ذلك؛ لأن علمه أزلي قديم شامل لكل شيء.
- **التأويل:** هو بيان العاقبة والمآل والمرجع والمصير، وذلك برد الشيء إلى أصله وغايته. فتأويل الخبر: وقوع المخبر به، وتأويل النص: تفسيره وبيانه، برده إلى أصل معناه.
- **التخصيص:** هو قصر النص العام على بعض أفراده، وإخراج أفراد آخرين منه، من مدلول العام، وهو مغاير للنسخ، الذي هو رفع للحكم.
- **توجيه القراءات:** هو بيان حجة كل إمام من القراء العشرة، في قراءته بتلك القراءة التي اختارها، وذكر شاهدها من القرآن أو اللغة أو المعنى.
- **التوقيفية:** عندما يوصف الشيء بأنه توقيفي، فمعناه أنه من عند الله بالتوقيف وليس باجتهاد أو اختيار البشر، فالأحرف السبعة والقراءات العشر توقيفية، بهذا الاعتبار.
- **القراءات السبع:** هي سبع قراءات من القراءات العشر، اختارها الإمام أبو بكر ابن مجاهد، وكلها صحيحة، وأصحابها هم القراء السبعة: نافع، وعاصم، وابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي.
- **القراءات العشر:** هي عشر قراءات صحيحة في قراءة كلمات القرآن، وتنسب كل قراءة إلى الإمام الذي قرأ بها، وهم: نافع، وابن كثير، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وابن عامر، وأبو عمرو، وأبو جعفر، وخلف، ويعقوب.
- **القراءات القرآنية:** هي وجوه في النطق بكلمات القرآن، أو في النطق بهيئاتها، بحيث يختار القارىء وجهاً من هذه الوجوه التوقيفية، يخالف به غيره.
- **القراءة الصحيحة:** هي كل قراءة لكلمات القرآن توفرت لها الشروط الثلاثة مجتمعة لقبول القراءة، وهي صحة السند، وموافقة رسم المصحف وموافقة العربية.
- **القراءة الشاذة:** هي القراءة التي اختل فيها شرط من الشروط الثلاث، لقبول القراءة، فلا نثبت أنها كلام الله.

- **المتشابه:** هو ما غمض المراد منه مباشرة، واحتمل وجوه عديدة من التأويل واحتاج إلى حمله على المحكم لحسن فهمه وتأويله.
- **المحكم:** هو ما عرف المراد منه مباشرة، واحتمل وجهاً واحداً من التأويل.
- **المصحف العثماني:** هو نسخة المصحف التي جمع عثمان بن عفان القرآن عليها، وأجمع عليها الصحابة، ووزعها عثمان على أمصار المسلمين.
- **النسخ:** هو رفع حكم شرعي بدليل شرعي متأخر، بأن يرفع الله أحكام بعض الآيات، ولا يطالب المسلمين بها، وذلك بآية ناسخة متأخرة في النزول عن الآية المنسوخة.



10. المراجع

1- إسماعيل، محمد بكر، 1419هـ، **دراسات في علوم القرآن**، دار المنار، القاهرة، ط2.

2- الأصفهاني، أبو القاسم، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، 1961، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق محمد سيد كيلاني، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة.

3- البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، مكتبة المعارف، الرياض.

4- ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري الدمشقي، **النشر في القراءات العشر**، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

5- زرزور، عدنان محمد، 1981م، **علوم القرآن: مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1.

6- زرزور، عدنان محمد، 1989م، **متشابه القرآن: دراسة موضوعية**، دار الفتح، دمشق، ط1.

7- الزرقاني، محمد عبد العظيم، 1954م، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1.

8- الزركشي، بدر الدين، محمد بن عبد الله، 1957م، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1.

9- ابن زنجلة، أبو زرعة، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، 1982، **حجة القراءات**، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3.
10- السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، 1987م، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق مصطفى ذيب البغا، دار ابن كثير، دمشق، ط1.
11- أبو شامة، شهاب الدين، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي، 1975، **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**، تحقيق طيار آلتي قولاج، دار صادر، بيروت، ط1.
12- الصالح، صبحي، 1979م، **مباحث في علوم القرآن**، دار العلم للملايين، بيروت، ط11.
13- الصباغ، محمد لطفي، 1990م، **لمحات في علوم القرآن**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3.
14- عباس، فضل حسن، 1997، **إتقان البرهان في علوم القرآن**، دار الفرقان، عمان، ط1.
15- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، 1981، **تأويل مشكل القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت.
16- القرطبي، أبو بكر محمد بن أحمد الأنصاري، 1965م، **الجامع لأحكام القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
17- قطان، مناع خليل، 1983، **مباحث في علوم القرآن**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط13.
18- القيسي، أبو محمد، مكي بن أبي طالب، 1976م، **الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه**، تحقيق أحمد حسن فرحات. مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط1.
19- ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر، **فضائل القرآن**، تحقيق أبو إسحاق الحويني الأثري، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.



الوحدة الرابعة

لغة القرآن

محتويات الوحدة

الموضوع	الصفحة

1. المقدمة

1.1 تمهيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق، وخاتم المرسلين، الذي بعثه الله رحمة للعالمين، وأنزل عليه كتابه الحكيم، بلسان عربي مبين، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فهذه هي الوحدة الرابعة من مقرر علوم القرآن في برنامج التربية تخصص التربية الإسلامية.

أما موضوع هذه الوحدة، فهو (لغة القرآن)، وقد اعتمدنا في مادتها على كتب تفسير القرآن الكريم وعلومه وكتب علوم اللغة العربية التي تناولت لغة القرآن بالتوضيح والبيان.

تتكون هذه الوحدة من أربعة أقسام: يتناول القسم الأول التعريف باللغة العربية من حيث أصلها ومادة تأليفها، وخصائصها التي امتازت بها عن غيرها من اللغات، ونزول القرآن بها. كما يتناول القسم الثاني فصاحة الألفاظ القرآنية وبلاغة الجمل والمعاني والتراكيب.

أما القسم الثالث فكان عن أسلوب القرآن وخصائص هذا الأسلوب، ثم بيان المقصود بغريب القرآن.

ويتناول القسم الرابع من هذه الوحدة موضوع إعراب القرآن والقواعد التي يجب مراعاتها في هذا الموضوع، كما يتناول هذا القسم موضوعي المعرَّب في القرآن وأمثال القرآن الصريحة والكامنة.

هذا وقد ورد في حنايا هذه الوحدة بعض التدريبات، يقصد منها استثارة الدافعية للتعلم، كما ورد بعض النشاطات التي ينبغي للدارس أن يقوم بها حتى تساعده على فهم المادة العلمية، وكذلك يوجد في نهاية كل جزء من أجزاء الوحدة أسئلة للتقويم الذاتي يفحص فيها الدارس فهمه للمادة العلمية، كما تعين الدارس على استرجاع المعلومات المدروسة.

2.1 أهداف الوحدة

أخي الدارس، أختي الدارسة، بعد الانتهاء من دراسة هذه الوحدة، وحل تدريباتها، يتوقع منك أن تكون قادراً على أن:

1. تبين أصل اللغة العربية ومادة تأليفها.

2. تحدد خصائص اللغة العربية.
3. تعرض مظاهر فصاحة ألفاظ القرآن وبلاغة جمله ومعانيه وتراكيبه.
4. تعرف خصائص أسلوب القرآن الكريم.
5. تتعرف غريب القرآن ومنشأ الغرابة في بعض ألفاظه.
6. تبرز مدى أهمية إعراب القرآن.
7. تتعرف المعرَّب في القرآن وآراء العلماء فيه.
8. تبين معنى أمثال القرآن وتوضح أقسامها.

3.1 أقسام الوحدة

إن هذه الوحدة – كما تقدم – تتكون من أربعة أقسام:

القسم الأول: يبحث في اللغة العربية من حيث أصلها وخصائصها ونزول القرآن بها، ودراسة هذا القسم تحقق الهدفين الأول والثاني.

القسم الثاني: ويتناول فصاحة ألفاظ القرآن، وبلاغة جمله ومعانيه وتراكيبه، ودراسة هذا القسم تحقق الهدف الثالث.

القسم الثالث: يتضمن أسلوب القرآن الكريم وغريب القرآن، ودراسة هذا القسم تحقق الهدفين الرابع والخامس.

القسم الرابع: ويشتمل على إعراب القرآن والمعرَّب فيه وأمثاله، ودراسة هذا القسم تحقق الأهداف الثلاثة الأخيرة.



4.1 القراءات المساعدة

أخي الدارس، أختي الدارسة، لا يتضمن النص الوارد في هذه الوحدة تفاصيل هذه المباحث الأربعة في لغة القرآن، للاطلاع على تفاصيل هذه المباحث يتطلب منك جهداً إضافياً. لذا ننصح لك بالدراسات الآتية:

1. السامرائي، فاضل صالح، 1422هـ، **التعبير القرآني**، دار عمار، عمان، ط2.
2. عبد الرحيم، عبد الجليل، 1401هـ - 1981م، **لغة القرآن الكريم**، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ط1.
3. قلعجي، محمد رواس، 1408هـ، **لغة القرآن لغة العرب المختارة**، دار النفائس، بيروت، ط1.

5.1 وسائط مساندة

الاستماع لبرامج البلاغة القرآنية في الفضائيات وإذاعات القرآن الكريم.

6.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة

1. إعطاء الوحدة الوقت الكافي لدراسة مادتها العلمية.
2. إجابة أسئلة التقويم الذاتي.
3. حل التدريبات والقيام بالنشاطات.
4. الرجوع إلى القراءات المساعدة لزيادة الفهم.

2. اللغة العربية

اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، نزل بها القرآن الكريم بسوره وآياته، وشعائره وتشريعاته، وحكمه وأحكامه، ودقائقه ولطائفه، فكان القرآن باللغة العربية أعظم بيان، وأبلغ كلام، وكانت اللغة العربية بالقرآن أشرف لغة، وأجمل لسان.

ولما كانت اللغة العربية كذلك، فقد تناولها العلماء بالبحث والبيان خدمة منهم لكتاب الله العزيز، وكشفاً عن مراد الله في كلامه، وبياناً لأسراره وأنواره، وقد جاء الحديث عن اللغة العربية – لغة القرآن الكريم – في مواضيع كثيرة وأفانين وفيرة نقتصر منها – أخي الدارس، أختي الدارسة – على بعض المقدمات التي لا بد منها والمتمثلة في المواضيع التالية:

1.2 أصل اللغة العربية وتأليف مادتها

إن نزول القرآن باللغة العربية يقودنا إلى التساؤل عن أصل هذه اللغة التي نزل بها القرآن. وللإجابة عن هذا التساؤل نقول: إن اللغة العربية، هي واحدة من أفراد عائلة كبيرة هي عائلة اللغات السامية نسبة لسام بن نوح.

ويعتقد كثير من الباحثين ومنهم الأستاذ قاسم أحمد في محاضرته «العربية أم اللغات» أن العربية هي الأصل في الساميات، والساميات فرع منها. (قلعجي، 1988، ص 8-9).

والقول إنَّ العربية هي أصل جميع اللغات السامية هو القول الصحيح الذي لا ينبغي أن يلتفت إلى غيره «ذلك أن جزيرة العرب هي الموطن الأصلي للساميين، فالساميون في سائر المواطن أصلهم من جزيرة العرب، ومن المعلوم أنه لم يوجد غير العربية لغة للتخاطب بين هؤلاء الأقوام الذين سكنوا هذه البقعة من الأرض، وهذا يستدعي أن تكون اللغة العربية هي أصل جميع اللغات السامية، ثم تفرعت إلى لهجات، اختصت كل طائفة من الطوائف النازحة من الجزيرة بلهجة من هذه اللهجات، وهذه سنة مطردة في جميع اللغات». (عبد الرحيم، 1981، ص 32-34).

وهذا ما نستطيع أن نفسر به كيف استطاع الخليل عليه السلام التفاهم مع زوجة ولده العربية الأصيلة من غير ترجمان، في أثناء غيابه في مكة، مما يؤكد أنه حتى ذلك الزمن، لم تكن لهجات الأقوام النازحين من جزيرة العرب قد استقلت عن اللغة العربية أو استقل بعضها عن بعضه الآخر، إذ كان عليه السلام يتكلم بلغة يفهمها جميع السكان في بقاع النهرين وكنعان، ولم تكن العربية قد انفصلت عن سائر اللغات السامية في تلك الأيام، مما يرجح أن لغة الخليل عليه الصلاة والسلام كانت العربية القديمة، وهذا ما أثبته بعض كبار الباحثين. (المرجع السابق نقلاً عن كتاب (أبو الأنبياء) للعقاد ص 161، وما بعدها).

ومن العلماء من قال: إنَّ اللغة العربية «هي أول اللغات، وكل لغة سواها حدثت بعدها إما توقيفاً أو اصطلاحاً، واستدلوا بأن القرآن كلام الله وهو عربي، وهو دليل على أن لغة العرب أسبق اللغات وجوداً. (السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها 1/ص 28).

فاللغة العربية هي اللغة التي تكلم بها آدم عليه السلام، فلما بعد العهد وطال أصابها شيء من التحريف. إلى أن علَّمها الله نبيه إسماعيل عليه السلام فنطق بها ثم أنزل الله بها كتابه، ولهذا قيل: «إن لغة العرب، نوعان: أحدهما: عربية حمير، وهي التي تكلموا بها من عهد هود ومن قبله وبقي بعضها إلى وقتنا هذا.

والثانية: العربية المحضة التي نزل بها القرآن، وأول من أنطق لسانه بها إسماعيل، فعلى هذا القول يكون توقيف إسماعيل على العربية المحضة يحتمل أمرين: إما أن يكون اصطلاحاً بينه وبين جُرْهُم النازلين عليه بمكة، وإما أن يكون توقيفاً من الله تعالى وهو الصواب». (المرجع السابق، ص 28).

وفي تأكيد ما سبق وتقريره أخرج الحاكم في مستدركه وصححه، والبيهقي في شعب

الإيمان عن جابر رضي الله عنه: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تلا قوله تعالى: **(قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)** (فصلت: 3)، ثم قال: أُلْهِمَ إسماعيل هذا اللسان العربي إلهاماً.

أما تأليف مادة اللغة العربية فشأنها في هذا شأن مثيلاتها من اللغات «فلكل لغة مادتها الأولى الأصلية من الألفاظ، ولها منهجها في توليد الألفاظ بعضها من بعض عن طريق الاشتقاق أو النحت أو غيرهما، وهذه المادة الأولى الأصلية تعتبر الركائز الأساسية في اللغة. ولكن هل تكتفي اللغة بهذه المادة الأولى لها؟

إنَّ دراسة أحوال اللغات تدلنا على أن اللغة كالإنسان، فكما أن الإنسان يؤثر ويتأثر، ويأخذ ويعطي، كل ذلك حسب الحاجة ومقتضيات الظروف، فكذلك اللغة، يستحسن أهلها كلمة في لغة أخرى، فينزلونها على قوالبهم اللفظية، أو يبقونها على حالها، وتجري بها ألسنتهم، ثم تجد طريقها إلى أدبهم وشعرهم.

يرى الباحثون – ومنهم بروكلمان – أن اللغة العربية كانت أكثر قدرة من اللغات الأخرى على الاحتفاظ بأصالتها، ولكن ذلك لا يعني أبداً أنها لم تستفد من أخواتها الساميات، أو أنها لم تتأثر بهن، ولو في بعض لهجاتها التي تتكلم بها بعض القبائل العربية فقد كانت اللغة العبرانية واللغة السريانية تكسر حرف المضارعة، فسرى ذلك إلى لهجة بهراء، ثم سرى ذلك من بهراء إلى العرب قاطبة غير عرب الحجاز، وهو ما يسمى بتلتلة بهراء.

وعلى العموم فإن التقارب بين العربية وأخواتها الساميات أمر يلاحظه كل دارس لهذه اللغات، وهذا أمر يعود تاريخه إلى أكثر من ألفي سنة قبل الميلاد.

(قلعجي، 1988، ص 11-12)

فمادة اللغة العربية مؤلفة من ركيزتين:

الركيزة الأولى: ألفاظها الأصلية، والألفاظ المتولدة عن طريق الاشتقاق أو النحت، أو غيرهما وهذه الركيزة أصل اللغة وعمودها الفقري.

الركيزة الثانية: ما أدخلته اللغة العربية من اللغات الأخرى من الألفاظ والمصطلحات حسبما تقتضيه الحاجة وتستلزمه الظروف.

2.2 خصائص اللغة العربية

تشترك اللغة العربية مع غيرها من اللغات بأنها تتألف من حروف وكلمات، ولكنها

تحمل في نفسها مزايا وخصائص لا نجدها في أيِّ لغة، ولا نستطيع في هذا البحث الموجز أن نقف على كامل هذه الخصائص لكثرتها ووفرتها وغزارة ما فيها، ولكننا سنكتفي بذكر بعض الخصائص على سبيل الإيجاز والإجمال.

ففي مجال الخصائص الصوتية تملك اللغة العربية أوسع مدرج صوتي عرفته اللغات حيث تتوزع مخارج الحروف بين الشفتين إلى أقصى الحلق. وقد تجد في لغات أخرى غير العربية حروفاً أكثر عدداً، ولكن مخارجها محصورة في نطاق أضيق ومدرج أقصر، كأن تكون مجتمعة متكاثرة في الشفتين وما والاهما من الفم أو الخيشوم في اللغات الكثيرة الغنَّة (الفرنسية مثلاً)، أو تجدها متزاحمة من جهة الحلق.

وتتوزع هذه المخارج في هذا المدرج توزعاً عادلاً يؤدي إلى التوازن والانسجام بين الأصوات.

وفي مجال الاشتقاق فالكلمات في اللغة العربية لا تعيش فرادى منعزلات، بل مجتمعات مشتركات كما يعيش العرب في أسر وقبائل، فللكلمة جسم وروح، فجسمها هو المادة الصوتية التي تتألف منها، والشكل الذي تجعل فيه تلك المادة أو البناء الذي تبنى عليه، وروحها هو معناها وما تفيده وتدل عليه مادتها. وللكلمة نسب تلتقي فيه مع مثيلاتها في مادتها ومعناها، فالكلمات التالية: (كتب، كاتب، مكتوب، كتابة، كتاب) تشترك في مقدار من حروفها، وجزء من أصواتها.

فمفردات اللغة العربية تتكون من مجموعات كثيرة، وكل مجموعة منها ترجع إلى أصل واحد وتشترك في جزء من مادتها وجزء من معناها. أما اللغات الأخرى كاللغات اللاتينية فتغلب عليها الفردية وضياع الأصل المشترك، فالروابط الاشتقاقية في اللغات اللاتينية مفككة كما تفككت في المدنية الحديثة روابط الأسرة وتقطعت الأرحام.

بل إن الكلمات العربية المؤلفة من الحروف نفسها تتفق في معنى مشترك بينها، فكلمات (بحر، حبر، رحب) مثلاً تتألف جميعها من الحروف (ب، ح، ر) ويجمعها جميعاً معنى السَّعة والانبساط (المبارك، 1975، ص 249 – 275).

ومن خصائص اللغة العربية: سعتها، فهي من أوسع اللغات، «قال ابن فارس في فقه اللغة: قال بعض الفقهاء: كلام العرب لا يحيط به إلا نبي. قال ابن فارس وهذا كلام حري أن يكون صحيحاً.

وقال الإمام الشافعي -رحمه الله- في أوائل رسالته: لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها ألفاظاً، ولا نعلم أن يحيط بجمع علمه إنسان غير نبي».

(السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها 64/1-65)

وقال الرافعي: «العربية أوسع اللغات مدى، وأغزرهن مادة، وأوفاهن بالحاجة الحقيقية من معنى اللغة، لكثرة أبنيتها، وتعدد صيغها، ومرونتها على الاشتقاق، وانفساحها من ذلك إلى ما يستغرق اللغات بجملتها». (الرافعي، 1974، 171/1).

وقال بروكلمان: «وتمتاز هذه اللغة الشعرية – العربية – بالوفرة الهائلة في الصيغ، كما تدل بوحدة طريقتها في تكوين الجملة على درجة من التطور أعلى منها في اللغات السامية الأخرى، هذا بالإضافة إلى أن مفرداتها تفوق الحصر؛ لأنها التهمت كل اللهجات المحيطة بها، وبذلك أصبحت هذه اللغة تملك الوسيلة للتعبير عن الإحساس الرقيق في الحب والشعور بالعزَّة ولها تأثيرها الشعري الرائع في واقعية الملاحظة، وقد كان العرب على حق حين كانوا ينظرون إلى لغة ما قبل العهد الإسلامي دائماً نظرتهم إلى مثل أعلى». (قلعجي، 1988، ص 15-16).

وبناءً على ما تقدم نستطيع أن نقول إن مظاهر السعة في اللغة العربية تتجلى فيما يلي:

1. الوفرة الهائلة في المفردات والصيغ.
2. النمو الدائم والتوالد المستمر لألفاظ جديدة تدعو إليها الحاجة وتقتضيها الظروف.
3. شمول اللغة العربية بمفرداتها لكل جوانب الوجود ما كان منه حسياً أو معنوياً مجرداً.
4. القدرة الفائقة في التعبير عن القضايا النفسية والعاطفية والمشاعر الداخلية والنفاذ إلى أعماق النفس بأدق التعابير وأصدقها وأصوبها.
5. مرونتها في الأخذ من اللغات الأخرى ما تستحسنه أو تدعو الحاجة إليه ولكن بعد التشذيب والتهذيب.

وفي مجال الإيجاز: فهو صفة واضحة في اللغة العربية. يقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: (أوتيت جوامع الكلم) ويقول العرب "البلاغة الإيجاز" و "خير الكلام ما قل ودل"، وفي علم المعاني: إيجاز قصر وإيجاز حذف.

والإيجاز في العربية على أنواع: فمنه الإيجاز في الحرف، حيث تكتب الحركات في العربية عند اللبس فوق الحرف أو تحته، بينما في اللغات الأجنبية تأخذ حجماً يساوي حجم

الحرف، أو يزيد عليه، وقد تحتاج في اللغة الأجنبية إلى حرفين مقابل حرف واحد في العربية لأداء صوت معين.

وفي العربية إشارة نسميها (الشَّدَّة) نضعها فوق الحرف لتدل على أن الحرف مكرر أو مشدّد، أي أنه في النطق حرفان، وبذلك نستغني عن كتابته مكرراً، على حين أن الحرف المكرر في النطق في اللغة الإنجليزية مكرر أيضاً في الكتابة نحو (Coffee) و (Recommendation).

ونحن في العربية قد نستغني كذلك بالإدغام عن كتابة حروف بكاملها، وقد نلجأ إلى حذف حروف، فنقول ونكتب (عمَّ) عوضاً عن (عن ما) و (ممَّ) عوضاً عن (من ما).

ومن الإيجاز: الإيجاز في الكلمات، وبمقارنة كتابة بعض الكلمات بين العربية والانجليزية نجد الفرق واضحاً.

لنأخذ الكلمات الثلاث التالية (أب، أم، أخ)

العربية وحروفها	الإنجليزية وحروفها
أب (حرفان)	Father (6 حروف)
أم (حرفان)	Mother (6 حروف)
أخ (حرفان)	Brother (7 حروف)

ومثل الإيجاز في الحروف والكلمات الإيجاز في اللغة المكتوبة، فمثلاً سورة (الفاتحة) المؤلفة في القرآن من (30) كلمة، استغرقت ترجمة معانيها إلى الانجليزية (70) كلمة.

ويقول الدكتور يعقوب بكر في كتاب (العربية لغة عالمية: نشر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بالقاهرة 1966م): (إذا ترجمنا إلى العربية كلاماً مكتوباً بإحدى اللغات الأوروبية كانت الترجمة العربية أقل من الأصل بنحو الخمس أو أكثر) (الأستاذ الدكتور فرحان السليم من محاضرة له بعنوان اللغة العربية ومكانتها بين اللغات).

وتمتاز اللغة العربية بقوتها ومتانتها، كيف لا؟ وهي لغة القرآن، فلقد التقت العربية لغات كثيرة، فأثرت فيها وأعطتها من كلماتها وألفاظها الشيء الكثير، وكم حاول الاستعمار الحديث أن يقوض اللغة العربية بشتى الوسائل وكل الأساليب، ولكنه فشل فشلاً ذريعاً، كما حصل مع فرنسا في الجزائر التي استمر احتلالها أكثر من مائة وثلاثين سنة.

«إن الكلمات العربية في اللغات الإسلامية: الفارسية والتركية والأوردية والمالاوية

والسنغالية أكثر من أن تحصى. والكلمات العربية في الإسبانية والبرتغالية ثم في الألمانية والإيطالية والانجليزية والفرنسية ليست قليلة أيضاً. بل أدى اصطدام العربية باللغات الأخرى إلى انقراض بعض اللغات وحلول العربية محلها كما حصل في العراق والشام ومصر، وإلى انزواء بعضها كالبربرية، وانحسار بعضها الآخر كالفارسية.

لقد أصبحت لغات الترك والفرس والملايو والأوردو تكتب جميعها بالحروف العربية، وكان للعربية الحظ الأوفر في الانبثاث في اللهجات الصومالية والزنجبارية لرجوع الصلة بين شرق إفريقيا وجزيرة العرب إلى أقدم عصور التاريخ». (المرجع السابق نفسه)

هذه – أخي الدارس، أختي الدارسة- بعض خصائص العربية، وهناك خصائص أخرى لا تقل أهمية عما ذكرنا ولكن المقام لا يتسع لذكرها، لذا نكتفي بما ذكرنا والله الموفق.

3.2 نزول القرآن باللغة العربية

لما كان للغة العربية ما ذكرنا من خصائص فقد اختارها الله سبحانه وتعالى من بين اللغات لينزل بها آخر كتبه، فزاد الله هذه اللغة تشريفاً ورفعة بأن جعلها لغة القرآن الكريم.

وقد سجل القرآن الكريم في إحدى عشرة آية من آياته نزوله باللغة العربية في عشر سور من سوره، وهي: يوسف، والرعد، والنحل، وطه، والشعراء، والزمر، وفصلت، في مكانين منها، والشورى، والزخرف، والأحقاف. (قلعجي، 1988، ص7)

ففي سورة يوسف يقول الله تعالى **(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)** (يوسف: 2). «أي أنزلناه بلغة العرب كتاباً عربياً مؤلفاً من هذه الأحرف العربية، متضمناً من المعاني والأسرار التي لا يتضمنها ولا يحتملها غير العربية من اللغات؛ وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس. قال بعضهم: نزل أشرف الكتب، بأشرف اللغات، على أشرف الرسل، بسفارة أشرف الملائكة، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض، وفي أشرف شهور السنة، وهو رمضان، فكمل له الشرف من كل الوجوه». (تفسير القاسمي، 342/4، الصابوني، صفوة التفاسير 41/2).

وفي سورة الشعراء يقول الله تعالى: **(نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (391) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ)** (الشعراء: 193-195)، وفي سورة الزخرف يقول الله تعالى: **(إِنَّا**

جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (الزخرف: 3)، وكذلك الأمر في سائر السور التي ذكرناها من قبل.

واعلم – أخي الدارس، أختي الدارسة – أن اللغة العربية كانت على لهجات شتى، فلكل قبيلة عربية لهجتها الخاصة بها، وكان علماءُ لغتِنا الأقدمون يطلقون على اللهجة اسم اللغة، فيقولون: لغة قريش، لغة تميم، لغة ثقيف يريدون لهجة قريش ولهجة تميم ولهجة ثقيف.

وإذا أردنا أن نحدد اللغة – اللهجة – التي نزل بها القرآن فعلينا أن نتذكر أمرين مهمّين وهما:

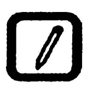
«**أولاً**: إن اللهجات العديدة التي كانت تتألف منها لغة العرب قبل نزول القرآن لم تكن بمستوى واحد من الفصاحة والبلاغة، بل كان فيها الفصيح والأفصح، والرديء والمستكره، وقد بين هذا العلماء في مؤلفاتهم اللغوية الكثيرة.

ثانياً: إن القرآن الكريم الذي أنزله الله بلسان عربي مبين، قد بلغ الذروة في الفصاحة والبلاغة، فعباراته أبلغ العبارات وأعذبها، وأسلوبه أرقى الأساليب وأروعها، وألفاظه التي هي لبنات هذا الصرح الشامخ، أفصح ألفاظ اللغة العربية وأنصعها». (عبد الرحيم، 1981، ص 41).

وإذا عرفنا هذا فاعلم – أخي الدارس، أختي الدارسة – أن العلماء قد اختلفوا في تحديد اللهجة العربية التي نزل عليها القرآن على أقوال وآراء أشهرها:

1. نزول القرآن بلغة قريش فحسب.
2. نزول القرآن باللغة الأدبية (لغة الشعر والنثر).
3. نزول القرآن بجميع لغات العرب.
4. نزول القرآن على سبع لغات من لغات العرب (المرجع السابق/ ص 42-64).

والذي تستريح له النفس ويطمئن له الفؤاد ويسنده الدليل أن القرآن الكريم نزل بلغة قريش، ولكنه لم يهمل الفصيح والبليغ من لغات بقية القبائل، فقريش أفصح العرب ألسنة، وأصفاهم لغة، غير أنها لم تجمع جميع الفصيح من الألفاظ العربية، فهناك ألفاظ انفردت بها بعض القبائل، وهي في الذروة العليا من الفصاحة اختارها القرآن لتكون من ألفاظه وكلماته.



تدريب (1)

أخي الدارس، أختي الدارسة، سجِّل عشرة ألفاظ قرآنية انفردت بعض القبائل بإطلاقها على معان لا تطلقها عليها باقي القبائل.

3. فصاحة القرآن الكريم وبلاغته

1.3 فصاحة الألفاظ القرآنية

الفصاحة في اللغة: هي الإبانة والظهور.

وفي الاصطلاح: خلوص الكلمة من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس. (الجرجاني، التعريفات، ص 214).

فالكلمة الفصيحة: هي التي تكون خالية من تنافر الحروف الذي قد يكون بسبب تباعد مخارج حروف الكلمة، ككلمة (بعاق) التي تطلق على المطر. وقد يكون التنافر بسبب تقارب مخارج حروف الكلمة ككلمة (الهعخع) وهو نبت ترعاه الإبل.

ولا بد في الكلمة الفصيحة أن تكون خالية من الغرابة بأن تكون واضحة المعنى عند العرب الفصحاء. مألوفة الاستعمال عند أهل البيان كما يشترط في الكلمة الفصيحة أن تكون جارية على القياس الصرفي؛ لأن مخالفة القياس الصرفي يعد قدحاً في الفصاحة.

والمتأمل في ألفاظ القرآن الكريم، المتدبر لكلماته، يجد أن كلماته وألفاظه في أعلى درجات الفصاحة والتي لم يعرفها الفصحاء من قبله ولم يعهدها البلغاء في غيره.

أخي الدارس، أختي الدارسة، لعلك تتساءل الآن في نفسك بم تتجلى هذه الفصاحة؟ وبم يتجسد هذا البيان في الكلمة القرآنية؟

وللإجابة عن هذا التساؤل نقول لك أخي الدارس، أختي الدارسة: إن مظاهر فصاحة الكلمة القرآنية تتجلى في مواطن كثيرة وفي مناحٍ شتى. فهي تتجلى:

أولاً: في اختيارها

فالكلمة القرآنية كلمة مختارة منتقاة، اختارها القرآن من بين لغات القبائل. «فمع أن القرآن قد نزل بلغة قريش التي تعد بالإجمال أفصح لغات القبائل العربية إلاّ أن القرآن لم يهمل

الفصيح والبليغ من لغات بقية القبائل، فاختار من ألفاظها أدقها تعبيراً عن المعنى، وأخفها نطقاً على اللسان، وأجزلها معنى، وأوقعها في النفس جرساً، حتى أصبحت لغة القرآن هي اللغة المختارة من لغات العرب ولهجاتها، وهي تشكل قمة الفصاحة والبلاغة العربية وبها ثبت للقرآن الإعجاز من الناحيتين اللغوية والبلاغية». (قلعجي، 1988، ص 49).

«فبعض القبائل العربية تطلق كلمات على معان ودلالات تنفرد بإطلاقها عليها عن باقي القبائل العربية، وهذه الكلمات هي أدل على هذا المعنى المراد من الكلمات التي تطلقها عليه باقي القبائل، فتميم تطلق كلمة (آسن) على الماء المتغير من طول المكث، وباقي القبائل تطلق عليه كلمة (منتن) والمدقق يدرك أن كلمة (آسن) أبلغ في الدلالة من (منتن)؛ لأن النتن قد يكون من طول المكث، وقد يكون من وقوع شيء فيه، وقد يكون من مجاورة شيء له، ولذلك اختار القرآن كلمة (آسن).

وجُرْهُم تطلق كلمة (أساطير) على الحكايات غير المعقولة – الخرافات – وباقي القبائل تطلق عليها كلمة (كلام) بإضافة وصف آخر إليه، ولا شك أن كلمة (أساطير) أبلغ بالدلالة، ولذلك اختار القرآن كلمة (أساطير) ومثل ذلك كثير» (المرجع السابق / ص 68).

وهذا الذي ذكرناه -أخي الدارس، أختي الدارسة- هو وجه من وجوه الاختيار، وثَمَّ وجه آخر هو اختيار الكلمة الملائمة للسياق والمنسجمة مع محيطها اللفظي والمعنوي، «فمن ذلك استعمال لفظ (مكة) و (بكة) لأم القرى.

جاء في قوله تعالى: **(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (96) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)** (آل عمران: 96-97). فاستعمل اللفظ (بكة) بالباء، في حين قال: **(وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا)** (الفتح: 24). فاستعمل لفظ (مكة) بالميم، وهو الاسم المشهور لأم القرى.

وسبب إيرادها بالباء في آل عمران أن الآية في سياق الحج: **(وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ)** فجاء بالاسم (بكة) من لفظ (البك) الدال على الزحام؛ لأنه في الحج يبك الناس بعضهم بعضاً، أي: يزحم بعضهم بعضاً، وسميت (بكة) لأنهم يزحمون فيها.

وليس السياق كذلك في آية الفتح، فجاء بالاسم المشهور لها، أعني: (مكة) بالميم،

فوضع كل لفظ في السياق الذي يقتضيه». (السامرائي، التعبير القرآني، ص 173).

وفي خمر الآخرة يقول الله تعالى في سورة الصافات: **(لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ)** (الصافات: 47)، فاستعمل كلمة (يُنزَفون) بالبناء للمجهول، وقال بخصوصها **(يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ)** (الصافات: 45) باستعمال الفعل المبني للمجهول (يُطاف) مناسبة للفعل (يُنزَفون) المبني للمجهول.

وفي سورة الواقعة قال تعالى في الشأن نفسه: **(لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ)** (الواقعة: 19)، فاستعمل كلمة (يُنزِفون) بالبناء للفاعل أو المعلوم، وقال بخصوصها: **(يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ)** (الواقعة: 17)، باستعمال الفعل المبني للمعلوم (يطوف) مناسبة للفعل (يُنزِفون) المبني للمعلوم. (السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص 84).

فانظر – أخي الدارس، أختي الدارسة – كيف استعمل مع كل لفظ ما يلائمه ويناسب السياق لفظاً ومعنى.

وفي القرآن لفظة غريبة هي من أغرب ما فيه، وما حسنت في كلام قط إلا في موقعها منه، وهي كلمة (ضِيزى) من قوله تعالى: **(تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى)** (النجم: 22)، ومع ذلك فإن حسنها في نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه، ولو أدرت اللغة عليها ما صلح لهذا الموضع غيرها، فإن السورة التي هي منها، وهي سورة النجم، مفصلة كلها على الياء، فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل، ثم هي في معرض الإنكار على العرب، إذ وردت في ذكر الأصنام وزعمهم في قسمة الأولاد، فإنهم جعلوا الملائكة والأصنام بنات لله مع أولادهم البنات، فقال تعالى: **(أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (21) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى)** (النجم: 21-22)، فكانت غرابة اللفظ أشد الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة التي أنكرها، وكانت الجملة كلها كأنها تصوِّر في هيئة النطق بها الإنكار في الأولى والتهكم في الأخرى، وكان هذا التصوير أبلغ ما في البلاغة، وخاصة في اللفظة الغريبة التي تمكنت في موضعها من الفصل، ووصفت حالة المتهكم في إنكاره من إمالة اليد والرأس بهذين المدَّين فيها إلى الأسفل والأعلى، وجمعت إلى كل ذلك غرابة الإنكار بغرابتها اللفظية (الرافعي، 1974، 230/2).

ثانياً: صيغة الكلمة وبنيتها

إن من مظاهر فصاحة الكلمة القرآنية ما يتجلى في صيغتها وبنيتها، «ذلك أن المعنى

المجرد أو أصل المعنى يمكن أن يعبَّر عنه بأكثر من صياغة، أما المعنى الفني الدقيق فهو الذي لا يمكن التعبير عنه بغير صيغته، ولننظر مثلاً إلى قوله تعالى: **(أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ)** (الملك: 19)، نجد أنَّ لفظي (صافات، ويقبضن) يمكن أن يعبر عن الحديث فيهما وهو أصل المعنى بأكثر من طريقة، ولذا اختير التعبير باسم الفاعل في اللفظة الأولى، وكان يمكن التعبير عنها بغير اسم الفاعل كالفعل المضارع (يصففن).

وفي اللفظة الثانية كان يمكن التعبير عنها بغير الفعل المضارع، كأن يعبر عنها باسم الفاعل، كسابقتها مثلاً.

ولكن الآية قد اختارت اسم الفاعل للتعبير عن الحدث في اللفظة الأولى، واختارت الفعل المضارع للتعبير عن الحدث في اللفظة الثانية، وما ذلك إلا رعاية للمعنى الفني الدقيق الذي أرادت الآية أن ترمز إليه وتدل عليه، فكأن الآية قد رمزت بذلك – فضلاً عن إثبات حدثي الصف والقبض - إلى أن الصف هو غالب فعل الطير في جو السماء، وأنَّ القبض يكون عارضاً. (هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص70).

قال الزمخشري: «فإن قلت: لم قيل: (ويقبضن، ولم يقل قابضات) قلت: لأن الأصل في الطيران هو صف الأجنحة؛ لأن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء، والأصل في السباحة مد الأطراف وبسطها، وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك، فجيء بما هو طارئ غير أصل بلفظ الفعل على معنى أنهن صافات، ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح». (الزمخشري، الكشاف 124/4).

«ومن ذلك ما علق به الشيخ عبد القاهر الجرجاني على قوله تعالى: **(هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)** (فاطر:3)، فلو قيل «هل من خالق غير الله رازق لكم» لكان المعنى غير ما أريد، وذلك أن المقصود في الآية تقرير العباد برزق الله تعالى لهم، ويمكن أداء ذلك المعنى الأصلي باسم الفاعل «رازق» أو بالمضارع «يرزق» أو غير ذلك. إلا أن في التعبير بالمضارع (يرزق) من الدلالة على تجدد الرزق وحصوله للعباد كل وقت، ووجدانهم إياه بعد حاجة إليه وافتقار – فيه من دقة المعنى ولطفه ما لا يفيده التعبير باسم الفاعل». (الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 177).

ولنتأمل - أخي الدارس، أختي الدارسة – النص التالي: **(تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (13)**

وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ) (النساء: 13-14).

فانظر كيف جمع (خالدين) في وصف ثواب الطائعين، وأفرده في وصف عقاب العاصين.

يقول العلامة أبو السعود رحمه الله: «ولعل إيثار الإفراد ههنا نظراً إلى ظاهر اللفظ واختيار الجمع هناك نظراً إلى المعنى للإيذان بأن الخلود في دار الثواب بصفة الاجتماع أجلب للأنس، كما أن الخلود في دار العذاب بصفة الإفراد أشد في استجلاب الوحشة». (تفسير أبي السعود 154/2).

واعلم -أخي الدارس أختي الدارسة- أن الأمثلة على هذا النوع من الفصاحة في الكلمة كثير ووفير لذا نكتفي بما ذكرنا.

ثالثاً: موسيقى الكلمة وجرسها وخفة تركيبها

أخي الدارس، أختي الدارسة، إن جرس الكلمة يكون له إيحاء، بمعنى معين تدركه وتشعر بالفرق بينه وبين غيره، ولكنك لا تستطيع التعبير عنه، خذ مثلاً على ذلك (صوت النار) فالعرب كانوا يطلقون عليه كلمة (جلبة) وقريش كانت تطلق عليه كلمة (حسيس)، ولكن العربي وغير العربي يشعر أن الموسيقى المنبعثة من تكرار حرف السين - وهو من حروف الصفير - تشبه إلى حد كبير صفير النار، ولذلك استعمل القرآن الكريم كلمة (حسيس) في الدلالة على صوت النار، فقال تعالى في سورة الأنبياء: **(لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا)** (الأنبياء: 102). (قلعجي، 1988، ص 70).

ولو تدبرت ألفاظ القرآن في نظمها، لرأيت حركاتها الصرفية واللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة فيهيئ بعضها لبعض، ويساند بعضها بعضاً، ولن تجدها إلا مؤتلفة مع أصوات الحروف، مساوقة لها في النظم الموسيقي، حتى إن الحركة ربما كانت ثقيلة في نفسها لسبب من أسباب الثقل أيها كان، فلا تعذب ولا تساغ وربما كانت أوكس النصيبين في حظ الكلام من الحرف والحركة، فإذا هي استعملت في القرآن رأيت لها شأناً عجيباً، ورأيت أصوات الأحرف والحركات التي قبلها قد امتهدت لها طريقاً في اللسان، واكتنفتها بضروب من النغم الموسيقي حتى إذا خرجت فيه كانت

أعذب شيء وأرقه، وجاءت متمكنة في موضعها، وكانت لهذا الوضع أولى الحركات بالخفة والروعة.

من ذلك لفظة (النُذُرُ) جمع نذير؛ فإن الضمة ثقيلة فيها لتواليها على النون والذال معاً، فضلاً عن جسأة هذا الحرف ونبوِّهِ في اللسان، وخاصة إذا جاء فاصلة للكلام.

فكل ذلك مما يكشف عنه ويفصح عن موضع الثقل فيه؛ ولكنه جاء في القرآن على العكس وانتفى من طبيعته في قوله تعالى: **(وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ)** (القمر: 36). فتأمل هذا التركيب وأنعم ثم أنعم على تأمله، وتذوق مواقع الحروف وأجْرِ حركاتها في حس السمع وتأمل مواضع القلقلة في الدال (لقد) وفي الطاء من (بطشتنا) وهذه الفتحات المتوالية فيما وراء الطاء إلى واو (تمارَوْا) مع الفصل بالمد كأنها تثقيل لخفة التتابع في الفتحات إذا هي جرت على اللسان ليكون ثقل الضمة عليه مستخفاً بعد، ولكون هذه الضمة قد أصابت موضعها كما تكون الأحماض في الأطعمة، ثم ردد نظرك في الراء من (تماروا) فإنها ما جاءت إلا مساندة لراء (النذر) حتى إذا انتهى اللسان إلى هذه انتهى إليها من مثلها فلا تجف عليه ولا تغلظ ولا تنبو فيه، ثم أعجب بهذه الغنَّة التي سبقت الطاء في نونِ (أنذرهم) وفي ميمها، وللغنَّة الأخرى التي سبقت الذال في (النذر).

وقد وردت في القرآن الكريم ألفاظ هي أطول الكلام عدد حروف ومقاطع مما يكون مستقلاً بطبيعة وضعه أو تركيبه، ولكنها بتلك الطريقة التي أومأ إليها قد خرجت في نظمه مخرجاً سرياً، فكانت من أحضر الألفاظ حلاوة، وأعذبها منطقاً، وأخفها تركيباً، إذ تراه قد هيأ لها أسباباً عجيبة من تكرار الحروف وتنوع الحركات، فلم يجرها في نظمه إلا وقد وجد ذلك فيها، كقوله تعالى **(لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ)** (النور: 55)، فهي كلمة واحدة من عشرة أحرف، وقد جاءت عذوبتها من تنوع مخارج الحروف، ومن نظم حركاتها، فإنها بذلك صارت في النطق كأنها أربع كلمات، إذ تنطق على أربعة مقاطع، وقوله: **(فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ)** (البقرة: 137)، فإنها كلمة من تسعة أحرف، وهي ثلاثة مقاطع، وقد تكررت فيها الياء والكاف، وتوسط بين الكافين هذا المد الذي هو سر الفصاحة في الكلمة كلها. (الرافعي، 1974، 2 / 227-229).

رابعاً: مرونة الكلمة

مما تتجلى فيه فصاحة الكلمة القرآنية مرونتها في تعدد معانيها وفي رسمها وكتابتها.

فقد يكون للكلمة الواحدة معان مختلفة، وهو كثير في كتاب الله عز وجل، وقد صنف بعض العلماء كتباً في هذا المجال كما فعل الدامغاني في كتابه (قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم)، وعقد ابن قتيبة رحمه الله في كتابه القيم (تأويل مشكل القرآن) باباً سماه (باب اللفظ الواحد للمعاني المختلفة)، وإليك -أخي الدارس أختي الدارسة- مثالين على هذا النوع من فصاحة الكلمة من كلا الكتابين السابقين. جاء في كتاب الدامغاني (قاموس القرآن) أن «ص د د (صدد) على أربعة أوجه: الإعراض، المنع، الضحك، تصدى أقبل.

فالوجه الأول منها: يصدون أي يعرضون. قوله تعالى في سورة النساء **(رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا)** (النساء: 61).

الثاني: الصد المنع. قوله تعالى في سورة الحج **(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ)** (الحج: 25). أي يمنعون الناس عن الإيمان ومثله كثير.

الثالث: يصدون أي يضحكون، قوله تعالى في سورة الزخرف **(إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ)** (الزخرف: 57).

الرابع: تصدى أقبل بوجهه عليه، قوله تعالى في سورة عبس **(فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى)** (عبس: 6)، أي تقبل بوجهك عليه». (الدامغاني، قاموس القرآن / 275-276).

وجاء في كتاب (تأويل مشكل القرآن) في معنى (الضلال):

«الضلال: الحيرة والعدول عن الحق والطريق، يقال: ضلَّ عن الحق، كما يقال: ضل عن الطريق، ومنه قوله تعالى **(وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى)** (الضحى: 7). والضلال: النسيان، والناسي للشيء عادل عنه وعن ذكره، قال الله تعالى: **(قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ)** (الشعراء: 20)، أي: الناسين، وقال: **(أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى)** (البقرة: 282)، أي: إن نسيت واحدة ذكرت الأخرى.

والضلال: الهلكة والبطلان، ومنه قوله تعالى: **(وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ)** (السجدة: 10)، أي: بطلنا ولحقنا بالتراب، ويقال: أضلَّ القوم ميتهم أي قبروه. قال النابغة: وآب مضلوه بعين جلية، أي: قابروه».(ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 457-458).

وأمّا مرونة الكلمة من حيث رسمها وكتابتها فإنه يتجلى أولاً في قراءاتها، فكثير من كلمات القرآن كتبت بطريقة تحتمل قراءات شتى في كل قراءة معان إضافية، أو أحكام زائدة أو لهجات جديدة فصيحة فضلاً عن أن جميع القراءات تتلاءم مع السياق تلاؤماً كاملاً.

لنقرأ قوله تعالى من سورة الحجرات: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)** (الحجرات: 6)، ففي قوله (فتبينوا) قراءتان، هما (فتبينوا) و (فتثبتوا) مع ملاحظة أن رسم الكلمتين واحد، وأن معنى الكلمتين مختلف زيادةً أو نقصاً، وأن كلتا الكلمتين منسجم مع السياق.

وفي قوله تعالى: **(وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا)** (البقرة: 189)، قرأ الجمهور (البيوت) في الموضعين في الآية بكسر الباء على خلاف صيغة جمع فَعْل على فُعول، فهي كسرة لمناسبة وقوع الياء التحتية بعد حركة الضم للتخفيف كما قرأوا **(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ)** (الحجر: 45)، وقرأ أبو عمرو وورش عن نافع وحفص عن عاصم وأبو جعفر بضم الباء على أصل صيغة الجمع مع عدم الاعتداد ببعض الثقل؛ لأنه لا يبلغ مبلغ الثقل الموجب لتغيير الحركة. (ابن عاشور، التحرير والتنوير 2 /195).

فانظر -أخي الدارس أختي الدارسة- كيف قرئت كلمة (البيوت) بلغتين من لغات القبائل تخفيفاً وتيسيراً على القارئين، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مرونة الكلمة القرآنية.

ولا تقتصر مرونة الكلمة القرآنية في رسمها على تعدد قراءاتها المتناغمة والمنسجمة مع سياق الآيات وإنما تتجلى مرونة الرسم أيضاً في كثير من الأسرار واللطائف المترتبة على رسم الكلمة بكيفية معينة، «ومن هذا القبيل كتابة هذه الأفعال الأربعة بحذف الواو وهي: (ويدعو الإنسان، ويمحو الله الباطل، يوم يدعو الداع، سندعو الزبانية)، فإنها كتبت في المصحف العثماني هكذا (ويدع الإنسان)، (ويمح الله الباطل)، (يوم يدع الداع)، (سندع الزبانية) والسر في حذف الواو من هذه الأربعة سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود». (الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن 1 / 367-368).

تدريب (2)

استعمل النص القرآني كلمة (فانفجرت) في قوله تعالى من سورة البقرة (آية 60): **(فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا)** وفي القصة نفسها استعمل النص كلمة (فانبجست) في قوله تعالى من سورة الأعراف (آية 160)، فقال تعالى: **(فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا)** وضح لماذا عبَّر بالانفجار في سورة البقرة والانبجاس في سورة الأعراف.

خامساً: الحركة غير الإعرابية

إن الناظر في كتاب الله عز وجل يجد أن بعض الكلمات قد حُرِّكت بغير الحركة المألوفة المشهورة، وذلك نحو قوله تعالى: **(وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ)** (الفتح:10)، وقوله تعالى: **(وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ)** (الكهف: 63)، مع أن المشهور في نحو هذا كسر الهاء. قال تعالى: **(وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ)** (الشعراء: 109)، وقال: **(وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ)** (القصص: 11).

ويحسن أن نشير هنا إلى أن ضم الهاء في نحو هذا لغة الحجاز، وأما غيرهم فيكسرها. فلماذا حُرِّكت كلمتا (عليهُ) و (أنسانيهُ) بالضم دون الكسر مع أن المشهور هو الكسر؟

وقبل الإجابة على هذا التساؤل لا بدَّ أن نشير - أخي الدارس، أختي الدارسة – إلى «أن النطق بالضمة يحتاج إلى جَهْد عضلي أكثر من الكسرة والفتحة؛ وذلك لأنها لا تنطق إلا بانضمام الشفتين وارتفاعهما ولا تحتاج الكسرة ولا الفتحة إلى ذلك كما هو ظاهر ومعلوم». (السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص 114-115).

إنَّ هذه الحركة غير الإعرابية قد أضفت على الكلمة فصاحة وأسراراً لا تتحقق إلا بها، ولبيان ذلك - أخي الدارس أختي الدارسة – نشرع في الإجابة عن السؤال الذي طرحناه آنفاً لنرى سر التعبير بهذه الحركة:

إن كلمة (عليهُ) قد جاءت في قوله تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)** (الفتح: 10)، فقال (عليهُ) فجاء بالضمة التي هي أثقل الحركات للدلالة على ثقل هذا العهد وعظمته، وذلك من جملة نواح، منها:

أ- إنه قال: **(إنَّ الذين يبايعونك)** وهذه البيعة كانت يوم الحديبية، وكانت بيعة على الموت في نصرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- ونصرة دينه. والبيعة على الموت أشد وأثقل أنواع البيعات وأقواها.

ب- وقال: **(إنما يبايعون الله)** وهذا تعظيم لهذه البيعة التي يكون فيها الله هو الطرف المبايع.

ت- وقال: **(يد الله فوق أيديهم)** وهذا توكيد لما قبله وتوثيق لأمر هذه البيعة العظيمة.

ث- حذَّر من نكث هذه البيعة ونقض هذا العهد، وقال: إن ضرر نكثه يعود على الناكث نفسه.

هـ- وذكر أن من أوفى بهذا العهد سيؤتيه الله أجراً عظيماً، فهو كما ترى عهد عظيم ثقيل مناسب

أن يأتي بأثقل الحركات، وهي الضمة مجانسة لثقل هذا العهد.

ثم إن الضمة ينطق معها لفظ الجلالة بتفخيم اللام بخلاف الكسرة، فإنها ينطق معها لفظ الجلالة بترقيق اللام، فجاء بالضم ليتفخم النطق بلفظ الجلالة، إشارة إلى تفخيم العهد، فناسب بين تفخيم الصوت وتفخيم العهد، وهو تناظر جميل (السامرائي، بلاغة الكلمة، ص 115-116). وأما قوله تعالى **(وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ)** (الكهف: 63)، فنتركه لك - أخي الدارس، أختي الدارسة - في هذا النشاط:

نشاط (1)

ارجع إلى تفسير روح المعاني للألوسي وبين سر ضم الهاء في كلمة (أنسانيهُ) من قوله تعالى في سورة الكهف **(وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ)**.

3.2 بلاغة الجمل والمعاني والتراكيب القرآنية

بعد أن انتهينا - أخي الدارس، أختي الدارسة - من فصاحة الكلمة المفردة ننتقل بك إلى بلاغة الجملة والمعنى والتركيب.

فالبلاغة تعني: بلوغ الرجل بعبارته كنه ما في نفسه، مع الاحتراز من الإيجاز المخل، والتطويل الممل. وقال قوم: البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ، فأبلغ الكلام ما قلت ألفاظه، وكثرت معانيه، وخير الكلام ما شوّق أوله إلى سماع آخره. (ابن قيم الجوزية، 1982، ص 12).

والقرآن الكريم الذي هو كلام الله هو في الدرجة العليا من البلاغة، بل هو أبلغ الكلام وأجمله، ذلك أن جمل القرآن قد تضمنت ألوان البلاغة بفنونها الثلاث: المعاني والبيان والبديع فأتت على معظمها وأجلّها.

فمن ألوان البلاغة: المجاز، وفيه يقول العلماء «لو ذهب المجاز من القرآن الكريم، لذهب منه شطر حسنه وإعجازه، وقد اتفق البلغاء على أنَّ المجاز أبلغ من الحقيقة». (العك، 1986، ص 282).

والمجاز: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي. (الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 231).

وقد اشتمل القرآن على أجمل المجازات وأروعها، فمن ذلك قوله تعالى: **(يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ)** (البقرة: 19). ففي الآية مجاز مرسل حيث ذكر الأصابع وأراد رؤوسها وهو من إطلاق الكل وإرادة الجزء، أي رؤوس أصابعهم؛ لأن دخول الإصبع كلها في الأذن لا يمكن. (الصابوني، صفوة التفاسير 1 /39).

ومن ذلك قوله تعالى: **(فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ)** (العلق: 17)، حيث ذكر النادي وأراد أهله الذين يحلون فيه. (عباس، 1987، ص 153).

واشتمل القرآن على أسمى التشبيهات، والتشبيه «هو إلحاق أمر بأمر بأداة التشبيه لجامع بينهما». (عباس، 1987، ص 17).

من أمثلة تشبيهات القرآن ما جاء في قوله تعالى: **(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ)** (البقرة: 275)، فآكل الربا يستبيح جهد الناس وعرقهم، فيحرمهم لذة الاستقرار النفسي وربما ينتج عن ذلك كثير من الآلام والأمراض النفسية أو الجسدية، فما هو التشبيه الذي اختير له في كتاب الله؟ إنه التشبيه الوارد في الآية المذكورة (كالذي يتخبطه الشيطان من المس) فهذا الذي يتخبطه الشيطان من المس بعيد عن كل استقرار نفسي، وراحة في الجسم، وسلامة في العقل، وهل الجزاء إلا من جنس العمل؟ وعلى العكس من هذا انظر إلى المؤمن الذي ملأ نور الإيمان قلبه، حتى إن الله تبارك وتعالى مثَّل هذا النور بقوله **(اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)** (النور: 35).

فانظر إلى نور الله في قلب المؤمن، وانظر إلى هذه العناصر التي اختيرت لهذا التشبيه:

1. المشكاة حتى لا يتوزع هذا النور ويتفرق.
2. المصباح.
3. الزجاجة.
4. الزيت الذي يوقد منه هذا المصباح.
5. الزيتونة لا هي بالشرقية التي تحرم ضوء الشمس حين غروبها، ولا هي بالغربية التي

تحرم ضوء الشمس حين إشراقها، إنما ترتشف من الشمس في كل وقت. (المرجع السابق، ص 90-91).

واشتمل القرآن على أبلغ الاستعارات، والاستعارة هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي، فالاستعارة ليست إلا تشبيهاً مختصراً، لكنها أبلغ منه (الهاشمي: جواهر البلاغة / ص 239).

ومن الأمثلة على استعارات القرآن قوله تعالى: **(وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا)** (مريم: 4)، إذ المستعار منه النار والمستعار له الشيب والجامع بينهما الانبساط والانتشار، ولكنه في النار يقوى، ففي الآية شبه انتشار الشيب وكثرته باشتعال النار في الحطب، واستعير الاشتعال للانتشار، واشتق منه اشتعل بمعنى انتشر، ففيه استعارة تبعية. (ابن القيم، 1982، ص72، الصابوني، صفوة التفاسير 217/2).

ومن بدائع الاستعارات في القرآن أنه يأتيك بالكلمة في موضع ثم يختار غيرها في موضع آخر مع أن المتعلق للكلمتين واحد. خذ كلمة القلوب تجد أن القرآن الكريم تارة استعمل كلمة الربط، وتارة استعمل كلمة الختم، والربط والختم كلاهما على القلوب، إلا أن الختم جاء في معرض الذم **(خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ)** (البقرة: 7)، وجاء الربط في معرض الامتنان **(وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ)** (الأنفال: 11)، **(وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا)** (القصص: 10)، ألا ترى أن الربط لا يكون إلا على الشيء الذي تريد حفظه؟ (عباس، 1987، ص218).

ومثل المجاز والتشبيه والاستعارة باقي أصناف البلاغة الكثيرة وفنونها الوفيرة التي لا نستطيع حصرها في مبحث صغير.

واختصاراً منا – أخي الدارس، أختي الدارسة- نضع بين يديك ما اشتملت عليه آية واحدة من كتاب الله من فنون البلاغة وألوان الفصاحة لتدرك عظمة هذا الكتاب ومدى إيجازه وإعجازه.

يقول الله تعالى في سورة هود: **(وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)** (هود: 44).

قال أبو حيان رحمه الله: «في هذه الآية واحد وعشرون نوعاً من البديع بالرغم من أن ألفاظها تسع عشرة لفظة». (الصابوني، صفوة التفاسير 18/2، الزحيلي، التفسير المنير 386/6).

من هذه الأنواع:

1. المناسبة التامة: بين (ابلعي) و (أقلعي)، فبينهما تناسب بديع، وتلاؤم في اللفظ، وهذا يدخل فيما يسمى عند علماء البديع: «ائتلاف اللفظ مع اللفظ، وائتلاف اللفظ مع المعنى».

2. الطباق بين جملتي (ابلعي) و (أقلعي)، فهما من جهة المعنى متضادان، إذ البلع أخذٌ، والإقلاع إمساك.

3. الاستعارة باستعمال البلع الذي هو للأحياء ذوات الحلوق التي تبلع السوائل، للدلالة على انسياب الماء في مسارب الأرض وتجاويفها، ضمن نظام السيولة والجاذبية والفراغ. والاستعارة باستعمال الإقلاع الذي هو الكف الإرادي، للدلالة على المعاني السببية التي يتوقف بها نزول الأمطار.

4. الطباق بين الأرض والسماء في: (يا أرض) (يا سماء) فإذا جمعنا الطباقين، هذا والسابق، ظهر لنا ما يسمى عند علماء البديع (المقابلة) بين: (يا أرض ابلعي) و (يا سماء أقلعي).

5. (الإشارة) في قول الله تعالى: (وغيض الماء) إلى أن الأرض قد تم فيها أمر البلع، فبلعت ماءها، وأن السماء قد تم فيها أمر الإقلاع فأقلعت عن الأمطار؛ لأن الماء لا يغيض إلا إذا تم ذلك.

(والإشارة) إلى انكشاف بعض ما انغمر بالماء من الأرض وما عليها من شجر، وبعض جبال. وقد ذكر البلاغيون من ضروب البديع (الإشارة).

6. (التمثيل) في قوله تعالى: (وقضي الأمر) عبَّر بالأمر عن إهلاك الهالكين ونجاة الناجين.

7. (الإرداف) في قوله تعالى (واستوت على الجودي) فلفظ (واستوت) كلام تام، أردفه بقوله (على الجودي) قصدا للمبالغة في التمكن بهذا المكان.

والإرداف: أن يريد المتكلم معنى، فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له، ولا يعبر عنه بدلالة الإشارة بل يعبر عنه بلفظ مرادف له، لتحقيق أغراض بيانية لا تتحقق باللفظ الموضوع له.

8. (التعليل) في قوله (وغيض الماء) فإنه علَّة للاستواء.

9. (الإشارة) الاحتراسية في قول الله تعالى: (وقيل بعدا للقوم الظالمين) إلى أن المهلكين

بالغرق المطرودين من رحمة الله هم الظالمون فقط دون غيرهم، وهو أيضاً ذم لهم ودعاء عليهم.

10. (التناظر) بين صدر الآية (وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي) وبين آخرها (وقيل بعدا للقوم الظالمين).

11. (الانسيابية وحسن الرصف وحسن انتقاء الكلمات) والطلاوة الجميلة في مقاييس الجمل إذ تسير على أمواج فيها كمال التلاؤم والخلو من أية حركة ناشزة، فلنلاحظ ذلك في أمواجها الصوتية وفي محطتها الختامية التي تمتد كطائر عند الهبوط يأخذ حركة مائلة قليلاً قليلاً وممتدة بتباطؤ حتى يصل إلى الأرض وليس بينه وبين السكون إلا أن يلامس الأرض، فمن عنف الأمر في (يا أرض ابلعي ماءك) إلى تناقص الماء رويدا رويدا في (وغيض الماء) إلى سكون استواء السفينة في (واستوت على الجودي) إلى رصيف الهبوط المناسب دون عنف بعد طلعة غائرة على العدو وناجحة في (وقيل بعدا للقوم الظالمين). (الميداني، 2000، 10/401-404، الزحيلي، التفسير المنير 6/386-387).

وإذا كان هذا شأن الجمل القرآنية في تحليها بأسمى ألوان البلاغة وأجمل أنواع البيان فإن شأنها في المعاني الغزيرة والتراكيب المحكمة المعجزة هو أجلُّ وأعظم.

وتوضيحاً لمقالنا هذا نضرب لك – أخي الدارس، أختي الدارسة – المثالين التاليين:

المثال الأول: قوله تعالى في سورة البقرة: **(مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ)** (البقرة:17).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «تأمل قوله تعالى: (ذهب الله بنورهم) ولم يقل: «ذهب الله بنارهم» مع أنه مقتضى السياق ليطابق أول الآية (استوقد ناراً) فإن النار فيها إشراق وإحراق فذهب الله بما فيها من الإشراق وهو (النور) وأبقى ما فيها من الإحراق وهو (النارية)، وتأمل كيف قال: (بنورهم)، ولم يقل «بضوئهم» لأن الضوء زيادة في النور، فلو قيل: ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة فقط دون الأصل، وتأمل كيف قال: (ذهب الله بنورهم) فوحَّد النور ثم قال (وتركهم في ظلمات) فجمعها، فإن الحق واحد هو صراط الله المستقيم، الذي لا صراط يوصل سواه، بخلاف طرق الباطل فإنها متعددة ومتشعبة. ولهذا أفرد سبحانه (الحق) وجمع (الباطل) في آيات عديدة، مثل قوله: (يخرجهم من الظلمات إلى النور) وقوله:(وجعل الظلمات والنور) وقوله: (وأنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن

سبيله) فجمع سبل الباطل ووحدَّ سبيل الحق». (تفسير القاسمي 1/254-255).

المثال الثاني: قوله تعالى في سورة آل عمران: **(وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)** (آل عمران: 97)، فقد قدم اسم الله وأدخل عليه لام الاستحقاق والاختصاص فقال (ولله) ثم ذكر من أوجبه عليهم بصيغة العموم الداخل عليها حرف (على) فقال (على الناس) ثم أبدل منه أهل الاستطاعة فقال (من استطاع).

وفي هذا التعبير نوعان من التأكيد، أحدهما: أن الإبدال فيه تثنية للمراد وتكرير له، والثاني: أنه أوجب هذا الإيجاب في صورتين، إحداهما مجملة، والأخرى مفصلة، ثم نكّر (السبيل) في سياق الشرط، فقال: (من استطاع إليه سبيلا) وذلك إيذان بأنه يجب الحج على أي سبيل تيسرت، فحصل الوجوب بحصول ما يسمى (سبيلا). (قلعجي، 1988، ص71).

?

أسئلة التقويم الذاتي (1)

1. بيِّن بإيجاز أصل اللغة العربية.
2. اذكر ثلاث آيات من القرآن تدل على نزوله باللغة العربية.
3. عدِّد السور التي سجَّل فيها القرآن نزوله باللغة العربية.
4. عرِّف الفصاحة لغة واصطلاحاً.
5. لم يهمل القرآن الفصيح من الألفاظ من غير لغة قريش. وضح ذلك.
6. لماذا لم يقتصر القرآن على استعمال لفظ (مكة) بل استخدم لفظ (بكة) في بعض آياته؟
7. تأتي الكلمة القرآنية منسجمة مع السياق الواردة فيه معنى ولفظاً. وضح ذلك مستشهداً بمثال.
8. من مظاهر فصاحة الكلمة القرآنية صيغتها وبنيتها. وضح ذلك.
9. بيِّن جوانب الجمال في التعبير بكلمة (النذر) في قوله تعالى: **(وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ)** (القمر: 36).
10. في قوله تعالى: **(لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ)** (النور: 55)، بيِّن مواطن العذوبة في استخدام كلمة (ليستخلفنهم).
11. ما المعاني التي وقعت عليها كلمة (الضلال) في الاستعمال القرآني؟

12. هناك كلمات في القرآن كتبت بطريقة تحتمل عدة قراءات، مثّل لذلك بمثالين.

13. ما السِّر في ضم حرف الهاء في كلمة (عليه) من قوله تعالى: **(وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ)** (الفتح: 10)؟

14. ما المقصود بالمصطلحات التالية: 1. البلاغة 2. المجاز 3. الاستعارة.

15. سجِّل خمسة أنواع من البلاغة في قوله تعالى: **(وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ)** (هود: 44).

16. في قوله تعالى: **(مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ)** (البقرة: 17). لماذا قال الله (ذهب الله بنورهم) ولم يقل «ذهب الله بنارهم»؟

1.4 أسلوب القرآن

الأسلوب في اللغة: السطر من النخيل وكل طريق ممتد فهو أسلوب، والأسلوب: الطريق والوجه والمذهب، يقال: سلكت أسلوب فلان في كذا، أي: طريقته ومذهبه، والأسلوب: الفن، يقال: أخذنا في أساليب من القول، أي: فنون متنوعة منه، ويجمع على أساليب. (ابن منظور، لسان العرب 456/1، الفيروز آبادي، القاموس المحيط 86/1).

وفي الاصطلاح: هو الطريقة الخاصة التي انفرد بها القرآن في إفادة المعاني بالألفاظ وإذا كان القرآن الكريم هو كلام الله الذي ليس كمثله شيء تبينا أن أسلوب القرآن ليس كمثله شيء من بين جميع أنواع الأساليب المعروفة. (عبد الرحيم، 1981، ص289-290).

وحول هذا المعنى يقول العلامة مصطفى صادق الرافعي رحمه الله: «إن القرآن الكريم إنما ينفرد بأسلوبه؛ لأنه ليس وضعاً إنسانياً البتة، ولو كان من وضع إنسان لجاء على طريقة تشبه أسلوباً من أساليب العرب أو من جاء بعدهم إلى هذا العهد، ولقد أحس العرب بهذا المعنى واستيقنه بلغاؤهم ولولاه ما أفحموا ولا انقطعوا من دونه؛ لأنهم رأوا جنساً من الكلام غير ما تؤديه طباعهم، وكيف لهم في معارضته بطبيعة غير مخلوقَة؟

ولما حاول مسيلمة أن يعارضه جعل يطبع على قالبه، فجاء بشيء لا يشبهه ولا يشبه كلام نفسه، وجنح إلى أقرب ما في الطباع الإنسانية وأقوى ما في أوهام العرب من طرق السجع، فأخطأ الفصاحة من كل جهاتها، وإن الرجل على ذلك لفصيح.

وما دامت قوة الخلق ليست في قدرة المخلوق، فليس في قدرة بشر معارضة هذا الأسلوب ما دامت الأرض أرضاً، وهذا هو الصريح من معنى قوله تعالى: **(قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)** (الإسراء: 88).» (الرافعي، 1974، 203/2-204).

وإذا كان القرآن الكريم متميزاً بأسلوبه الخاص به عن الشعر والسجع، فإنه كذلك متميز عن أسلوب القصص، والخطابة وبقية الأساليب النثرية المتبعة، فالقرآن الكريم وإن حوى فن القصص وفن الخطابة إلا أنه ليس كتاب قصص ولا كتاب خطب ورسائل؛ ذلك أن القصة القرآنية قد جاء بها القرآن في أسلوب معجز جلّ عن النظير أو المثيل، فهي على ما تمتاز به من دقة التصوير، وجمال التعبير، وقوة التأثير، فإنها لم تقصد لذاتها، ولم تفرد بموضوع معين،

بل جاءت - وكما هو مشاهد - ضمن أسلوب القرآن العام، وفي نطاق أغراضه وأهدافه تأكيداً للغرض المقصود، وتوضيحاً للهدف المنشود، لذا فإننا رأينا القصة القرآنية تتكرر في أكثر من موضع، حينما تكون ذات دلالة واضحة على أكثر من هدف، وأكثر من مغزى، فيكون لها أعظم الأثر في كل موضع، حين تظهر لنا في الثوب الجديد اللائق بالمعنى الذي تفيده والغرض الذي تهدف إليه، وهي مع كل هذا في غاية من الرقة والجزالة لا تنزل عن الدرجة العليا من الفصاحة. (عبد الرحيم، 1981، ص332).

وبناء على ما تقدم من قول نستطيع - أخي الدارس، أختي الدارسة-أن نقرر أن أسلوب القرآن يختص بالخصائص التالية:

1. جمال التعبير.
2. دقة التصوير.
3. قوة التأثير.
4. براعته في تصريف القول وثروته في أفانين الكلام.
5. إرضاؤه العامة والخاصة.
6. إرضاؤه العقل والعاطفة.
7. الجمع بين الإجمال والبيان.

(إسماعيل، 1999، ص328-340، الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن 2/209-219).

وبعد بيان خصائص أسلوب القرآن يحسن بنا -أخي الدارس، أختي الدراسة- أن نضع بين يديك نوعاً أو لوناً من ألوان أسلوب القرآن الكثيرة والوفيرة، ولنأخذ -على سبيل المثال- لا الحصر- أسلوب القرآن في كل من التقديم والتأخير.

ففي ميدان التقديم والتأخير فإن القرآن الكريم يقدم الألفاظ ويؤخرها حسبما يقتضيه المقام، فقد يكون سياق الكلام متدرجاً حسب القدم والأولية في الوجود، فيرتب ذكر الكلمات على هذا الأساس، فيبدأ بالأقدم ثم الذي يليه وهكذا، وذلك نحو قوله تعالى: **(لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ)** (البقرة: 255). لأن السِّنة وهي النعاس تسبق النوم، فبدأ بالسِّنة ثم النوم.

ومن ذلك تقديم عاد على ثمود، قال تعالى: **(وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ)** (العنكبوت: 38)، فإن عاداً أسبق من ثمود، وجعلوا من ذلك تقديم الليل على

النهار والظلمات على النور، قال تعالى: **(وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ)** (الأنبياء: 33)، فقدم الليل، لأنه أسبق من النهار؛ ذلك لأنه قبل خلق الأجرام كانت الظلمة. وقدم الشمس على القمر؛ لأنها قبله في الوجود. وقال: **(يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)** (النور: 44)، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة، ومثل تقديم الليل على النهار تقديم الظلمات على النور كما ذكرت. قال تعالى: **(وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ)** (الأنعام: 1)، وذلك لأن الظلمة قبل النور لما مر في الليل.

ومن ذلك تقديم العزيز على الحكيم حيث ورد في القرآن الكريم، قال تعالى: **(وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)** (الحديد: 1)، قالوا: لأنه عزَّ فحكم.

وقد يكون التقديم بحسب الفضل والشرف، ومنه تقديم الله سبحانه في الذكر كقوله تعالى: **(وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا)** (النساء: 69)، فقدم الله على الرسول، ثم قدم السعداء من الخلق بحسب تفاضلهم، فبدأ بالأفضلين، وهم النبيون، ثم ذكر من بعدهم بحسب تفاضلهم. كما تدرج من القلة إلى الكثرة فبدأ بالنبيين، وهم أقل الخلق ثم الصديقين، وهم أكثر، ثم الشهداء ثم الصالحين فكل صنف أكثر من الذي قبله، فهو تدرج من القلة إلى الكثرة ومن الأفضل إلى الفاضل، ولا شك أن أفضل الخلق هم أقل الخلق إذ كلما ترقى الناس في الفضل قل صنفهم. ومن ذلك قوله تعالى: **(وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا)** (الأحزاب: 7)، فبدأ بالرسول، لأنه أفضلهم.

وقد يكون التقديم بحسب الرتبة كقوله تعالى: **(وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (01) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (11) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ)** (القلم: 10-12)، فإن الهماز هو العيّاب؛ وذلك لا يفتقر إلى مشي بخلاف النميمة فإنها نقل للحديث من مكان إلى مكان عن شخص إلى شخص فبدأ بالهماز وهو الذي يعيب الناس، وهذا لا يفتقر إلى مشي ولا حركة ثم انتقل إلى مرتبة الأبعد في الإيذاء وهو المشي بالنميمة، ثم انتقل إلى مرتبة أبعد في الإيذاء وهو أن يمنع الخير عن الآخرين، وهذه مرتبة أبعد في الإيذاء مما تقدمها. ثم انتقل إلى مرتبة أخرى أبعد مما قبلها وهو الاعتداء، فإن منع الخير قد لا يصحبه اعتداء، أما العدوان فهو مرتبة أشد في الإيذاء. ثم ختمها بقوله (أثيم) وهو وصف جامع لأنواع الشرور فهي مرتبة أخرى أشد إيذاء.

ومن التقديم بالرتبة أيضاً قوله تعالى في من يكنز الذهب والفضة: **(يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ)** (التوبة: 35)، فبدأ بالجباه ثم الجنوب ثم الظهور، قيل لأنهم كانوا إذا أبصروا الفقير عبسوا وإذا ضمهم وإياه مجلس ازوروا عنه وتولوا بأركانهم وولوهم ظهورهم، فتدرج بحسب الرتبة.

وقد يكون التقديم بحسب الكثرة والقلة، فقد يرتب المذكورات متدرجاً من القلة إلى الكثرة حسبما يقتضيه المقام وذلك نحو قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)** (الحج: 77)، فبدأ بالركوع وهو أقل المذكورات ثم السجود وهو أكثر، ثم عبادة الرب وهو أعم، ثم فعل الخير.

وقد يكون الكلام بالعكس فيتدرج من الكثرة إلى القلة، وذلك نحو قوله تعالى: **(يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ)** (آل عمران: 43)، فبدأ بالقنوت وهو عموم العبادة، ثم السجود وهو أقل وأحض، ثم الركوع وهو أقل وأخص.

ومنه قوله تعالى: **(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ)** (التغابن: 2)، فبدأ بالكفار لأنهم أكثر، قال تعالى: **(وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ)** (يوسف: 103).

ونحوه قوله تعالى: **(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ)** (فاطر: 32)، فقدم الظالم لكثرته ثم المقتصد وهو أقل ممن قبله ثم السابقين وهم أقل.

وقد يكون التقديم لملاحظ أخرى تتناسب مع السياق فنراه يقدم لفظة في موضع ويؤخرها في موضع آخر بحسب ما يقتضي السياق. فمن ذلك تقديم لفظ (الضرر) على (النفع) وبالعكس، قالوا إنه حيث تقدم النفع على الضرر فلتقدم ما يتضمن النفع، قال تعالى: **(قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ)** (الأعراف: 188)، فقدم النفع على الضرر؛ وذلك لأنه تقدمه في قوله: **(مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)** (الأعراف: 178)، فقدم الهداية على الضلال، وبعد ذلك قال: **(وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ)** (الأعراف: 188)، فقدم الخير على السوء، ولذا قدم النفع على الضرر إذ هو المناسب للسياق. وقال: **(قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ)** (يونس: 49)، فقدم الضرر على النفع، وقد قال قبل هذه الآية: **(وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ)** (يونس: 11)، وقال: **(وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ**

دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ) (يونس: 12)، فقدم الضر على النفع في الآيتين، ويأتي بعد هذه الآية قوله تعالى: **(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ)** (يونس: 50)، فكان المناسب تقديم الضرر على النفع ههنا. (السامرائي، التعبير القرآني، ص53-60).

تدريب (3)

من أساليب القرآن الكريم أسلوبه في استخدام الألفاظ مفردة أحياناً ومجموعة أحياناً أخرى، أورد مثالاً يوضح ذلك مع بيان الحكم البلاغية من هذا الأسلوب.

2.4 غريب القرآن

قال العلامة مصطفى صادق الرافعي رحمه الله في كتابه تاريخ آداب العرب: «وفي القرآن ألفاظ اصطلح العلماء على تسميتها «بالغرائب» وليس المراد بغرابتها أنها منكرة أو نافرة أو شاذة، فإن القرآن منزه عن هذا جميعه، وإنما اللفظة الغريبة هنا: هي التي تكون حسنة مستغربة في التأويل، بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر الناس». (الرافعي، 1974، 2 / 71).

وعلى هذا فليس غريب القرآن من الألفاظ المنتقدة التي تعوزها الفصاحة أو ينبو عنها السياق، أو مما لا يدور على لسانهم ولا يستعملونه في كلامهم، بل هو من الطريف الذي أضفى عليه القرآن من الرقة والشفافية ما به تتضح دقة المعاني القرآنية، ومن جوامع الكلم الذي يحمل في ثناياه جدة المعاني القرآنية، ولهذا أكد الله على تدبر القرآن وأنكر على من كان همه ترديد الألفاظ، فقال جل شأنه: **(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)** (محمد: 24). (عبد الرحيم، 1981، ص 458).

وفي الحث على الاعتناء بالغريب من ألفاظ القرآن «أخرج البيهقي من حديث أبي هريرة مرفوعاً (أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه)، والمراد بإعرابه معرفة معاني ألفاظه، وليس المراد به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة، وهو ما يقابل اللحن؛ لأن القراءة مع فقده ليست قراءة، ولا ثواب فيها». (السيوطي، الإتقان في علوم القرآن 3/2).

وجملة ما عدوه من الغريب في القرآن كله: سبعمائة لفظة أو تزيد قليلا، جميعها روي تفسيره بالسند الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو ذلك المعجم اللغوي الحي

الذي كانوا يرجعون إليه، كان رحمه الله يقول: الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه. (الرافعي، 1974، 2 /71).

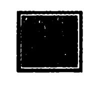
ومن الشواهد على غريب القرآن ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قرأ على المنبر **(وَفَاكِهَةً وَأَبًّا)** (عبس: 31)، فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأبّ؟ ثم رجع إلى نفسه، فقال: إن هذا هو الكلف يا عمر!.

ومن الغريب ما روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، قال: كنت لا أدري ما فاطر السموات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها يقول أنا ابتدأتها.

ومن ذلك ما ورد عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في قوله: كل القرآن أعلمه إلا أربعا: (غسلين) و(حنانا) و(أواه) و(الرقيم). (السيوطي، الإتقان في علوم القرآن 2 / 4). ومنشأ الغرابة فيما عدوه من الغريب أن يكون ذلك من لغات متفرقة، أو تكون مستعملة على وجه من وجوه الوضع يخرجها مخرج الغريب: كالظلم، والكفر، والإيمان، ونحوها مما نقل عن مدلوله في لغة العرب إلى المعاني الإسلامية المحدثة، أو يكون سياق الألفاظ قد دل بالقرينة على معنى معين غير الذي يفهم من ذات الألفاظ، كقوله تعالى: **(فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ)** (القيامة: 18)، أي: فإذا بيناه فاعمل به. (الرافعي، 1974، 2 /72).

وأما عن كتب الغريب فهي كثيرة وفيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

1. «المفردات» للراغب الأصفهاني رحمه الله.
2. "تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب" لأبي حيان الأندلسي رحمه الله.
3. "معجم غريب القرآن" للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله.
4. "معجم ألفاظ القرآن الكريم" لمجمع اللغة العربية بالقاهرة.



نشاط (2)

ارجع إلى كتاب الله ثم حدد السور والآيات التي وردت فيها الكلمات التالية:
1. الرقيم 2. أواه 3. حنانا 4. غسلين

?

أسئلة التقويم الذاتي (2)

1. عرِّف الأسلوب لغة، ثم بين المقصود بمصطلح (أسلوب القرآن).
2. أسلوب القرآن أسلوب متميز على سائر أساليب البشر. وضح ذلك.
3. ما الخصائص التي يختص بها أسلوب القرآن؟
4. قد يكون التقديم في القرآن بحسب الفضل والشرف. مثل لذلك بمثال مع التوضيح.
5. في قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)** (الحج: 77)، ما السِّر في ترتيب المذكورات على النحو المبيَّن؟
6. في القرآن ألفاظ اصطلح العلماء على تسميتها بالغرائب. ما المقصود بها؟
7. أورد حديثاً فيه الحث على الاعتناء بالغريب.
8. أورد أربعة شواهد على الغريب في القرآن.
9. بين منشأ الغرابة فيما عدوه من الغريب في القرآن.
10. عدِّد أربعة من كتب الغريب.

1.5 إعراب القرآن

قال الإمام ابن منظور في « لسان العرب»:

«الإعراب هو الإبانة. يقال: أعرب عنه لسانه وعرَّب، أي: أبان وأفصح ويقال: أعرب عما في ضميرك، أي: أبن. وأعرب الكلام وأعرب به: بينه، وعرَّب منطقه، أي: هذبه من اللحن. والإعراب الذي هو النحو: إنما هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ». (ابن منظور، لسان العرب 588/1-589).

ومن فوائد هذا العلم معرفة المعنى؛ لأن الإعراب يميز المعاني ويقف على أغراض المتكلمين.

فعلى الناظر في كتاب الله تعالى الكاشف عن أسراره، النظر في الكلمة وصيغها ومحلها ككونها مبتدأ أو خبراً، أو فاعلاً أو مفعولاً، أو في مبادئ الكلام أو في جواب، إلى غير ذلك. (السيوطي، الإتقان في علوم القران 260/2).

أخرج أبو عبيد في فضائله، عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: «أعربوا القرآن، فإنه عربي». وأخرج عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قوله: «تعلموا إعراب القرآن كما تعلمون حفظه» وقوله: «تعلموا اللحن والفرائض كما تعلمون القرآن». (أبو عبيد القاسم بن سلام، فضائل القران، ص208-209).

وفي هذا الشأن يقول الإمام مكي بن أبي طالب القيسي رحمه الله في مقدمة كتابه مشكل إعراب القرآن: «رأيت من أعظم ما يجب على طالب علوم القرآن، الراغب في تجويد ألفاظه وفهم معانيه، ومعرفة قراءاته ولغاته، وأفضل ما القارئ إليه محتاج معرفة إعرابه، والوقف على تعرف حركاته وسواكنه؛ ليكون بذلك سالماً من اللحن فيه، مستعينا على إحكام اللفظ به، مطلعا على المعاني التي قد تختلف باختلاف الحركات، متفهما لما أراد الله تبارك وتعالى به من عباده». (القيسي، 1984، 63/1).

أخي الدارس، أختي الدارسة، لأجل هذه الأهمية لهذا العلم «قام أجلة من العلماء بصرف جهدهم أو قسم كبير منه في تحليل التراكيب القرآنية، فألفت الكتب الكثيرة في إعراب القرآن الكريم، والناظر في هذه الكتب يرى حقاً مدى أهمية هذا المبحث في توضيح الآيات القرآنية والكشف عن خفاياها، بحيث لا يمكن للمفسر أو لطالب علم التفسير أن يستغني عنه أو

يهمله». (عبد الرحيم، 1981، ص498).

ولا بد - أخي الدارس، أختي الدارسة- لمن يتعرض لهذا العلم العظيم أن يراعي أموراً نبه إليها العلماء؛ لأن في إغفالها أو إغفال بعضها ما يجر إلى الخطأ والانحراف في فهم آيات القرآن وصرفها عن وجه دلالتها الصحيح، وهذه الأمور قد نبه عليها السيوطي في الإتقان، وكشف عن كثير من الأخطاء التي وقع فيها بعض العلماء بسبب غفلتهم عنها وعدم مراعاتهم لها (المرجع السابق نفسه).

وإليك هذه الأمور التي ذكرها مختصرة:

الأول: يجب على المتصدي لإعراب القرآن أن يفهم معنى ما يريد أن يعربه مفرداً أو مركباً قبل الإعراب.

الثاني: أن يراعي ما تقتضيه الصناعة، فربما راعى المُعْرِب وجهاً صحيحاً، ولا ينظر في صحته في الصناعة فيخطئ، كما أعرب بعضهم قوله تعالى: **(مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا)** (الأحزاب: 61)، أنه حال من معمول (ثقفوا) وهو لا يصح؛ لأن الشرط له الصدر، بل هو منصوب على الذم.

الثالث: أن يكون ملماً بالعربية لئلا يخرِّج على ما لم يثبت.

الرابع: أن يتجنب الأمور البعيدة والأوجه الضعيفة واللغات الشاذة، ويخرِّج على القريب والقوي والفصيح، فإن لم يظهر فيه إلا الوجه البعيد فله عذر. وإن ذكر الجميع لقصد الإعراب والتكثير فصعب شديد، أو لبيان المحتمل وتدريب الطالب فحسن في غير ألفاظ القرآن. أما التنزيل فلا يجوز أن يخرج إلا على ما يغلب على الظن إرادته.

الخامس: أن يستوفي جميع ما يحتمله اللفظ من الأوجه الظاهرة.

السادس: أن يراعي الشروط المختلفة بحسب الأبواب، ومتى لم يتأملها اختلطت عليه الأبواب والشرائط، ومن ثم خُطِّئ الزمخشري في قوله تعالى: **(مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ)** (الناس: 2-3) أنهما عطف بيان، والصواب أنهما نعتان لاشتراط الاشتقاق في النعت والجمود في عطف البيان.

السابع: أن يراعي في كل تركيب ما يشاكله فربما خرَّج كلاما على شيء، ويشهد استعمال آخر في نظير ذلك الموضع بخلافه.

الثامن: أن يراعي الرسم ومن ثم خُطِّئ من قال (سلسبيلا) أنها جملة أمرية أي سل طريقاً

موصلة إليها؛ لأنها لو كانت كذلك لكتبت مفصولة. إلى غير ذلك من الأمور التي نبه عليها. (انظر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن 2/261-267 باختصار).

أما كتب إعراب القرآن فهي كثيرة، فذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

1. «إعراب القرآن» للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس المتوفى سنة 338 هـ.
2. "إعراب ثلاثين سورة من القرآن" للإمام أبي عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه، من علماء القرن الرابع الهجري.
3. "إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جمع القرآن" للإمام أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، من علماء القرن السادس الهجري.
4. "البيان في غريب إعراب القرآن" للإمام أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري، من علماء القرن السادس الهجري.
5. "مشكل إعراب القرآن" للإمام مكي بن أبي طالب القيسي الأندلسي، من علماء القرن الخامس الهجري.

وأخيراً -أخي الدارس، أختي الدارسة- نورد لك نموذجين من إعراب آيتين كما وردتا في كتب إعراب القرآن:

النموذج الأول: قوله تعالى: **(اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ)** (البقرة: 15).

قال الإمام النحاس في إعراب هذه الآية: (يستهزئ) فعل مستقبل في موضع خبر الابتداء، والهاء والميم في موضع خفض بالباء (ويمدهم) عطف على يستهزئ والهاء والميم في موضع نصب بالفعل (في طغيانهم يعمهون) في موضع الحال. (النحاس، 1985، 1/191-192).

النموذج الثاني: قوله تعالى: **(وَالْعَصْرِ)** (العصر: 1).

قال الإمام مكي بن أبي طالب في إعراب هذه الآية: «(والعصر) هو قسم والواو بدل من الباء وتقديره: وربِّ العصر، وكذلك التقدير في كل قسم بغير الله، والعصر الدهر». (القيسي، 1984، 2/841).

تدريب (4)

أخي الدارس، أختي الدارسة، عد إلى كتب التفسير وإلى كتب إعراب القرآن ثم أعرب سورة الكوثر كاملة.

2/5 المعرَّب في القرآن

المعرَّب هو لفظ استعملته العرب وليس من صميم لغتهم.

وقد اختلف الأئمة في وقوع المعرَّب في القرآن، فذهب فريق من العلماء إلى عدم وقوع المعرَّب في القرآن، وذهب آخرون إلى وقوعه.

فمن الأئمة الذين ذهبوا إلى عدم وقوع المعرَّب في القرآن: الإمام الشافعي وابن جرير الطبري وأبو عبيدة والقاضي أبو بكر الباقلاني وابن فارس.

وقد استدل أنصار هذا المذهب بآيات من القرآن صريحة الدلالة على عربية ألفاظ القرآن الكريم وآياته، كقوله تعالى: **(وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)** (الشعراء: 192-195). وقوله: **(وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًا)** (الرعد: 37)، وقوله تعالى: **(وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا)** (الشورى: 7). وقوله: **(حم (1) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)** (الزخرف: 1-3)، وقوله: **(قُرْآنًا عَرَبِيًا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)** (الزمر: 28). قال الشافعي: «فأقام حجته بأن كتابه عربي في كل آية ذكرناها، ثم أكد ذلك بأن نفى عنه – جل ثناؤه – كل لسان غير لسان العرب في آيتين من كتابه. فقال تبارك وتعالى: **(وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)** (النحل: 103). وقال: **(وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ)** (فصلت: 44). (العك، 1986، ص 269–270، عبد الرحيم، 1981، ص 200).

وقال أبو عبيدة: إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول، ومن زعم أن كذا بالنبطية فقد أكبر القول.

وقال ابن فارس: لو كان فيه من غير لغة العرب شيء لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله؛ لأنه أتى بلغات لا يعرفونها.

وقال ابن جرير: ما ورد عن ابن عباس وغيره من تفسير ألفاظ من القرآن أنها بالفارسية أو الحبشية أو النبطية أو نحو ذلك، إنما اتفق فيها توارد اللغات، فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد. (السيوطي، الإتقان في علوم القرآن 2 / 105).

وذهب فريق من العلماء منهم السيوطي والجواليقي، والجويني، وابن النقيب وغيرهم إلى أن القرآن الكريم حوى بعض الدخيل من اللغات الأخرى كالحبشية والفارسية والعبرانية وغيرها. وحجة هؤلاء: أن كبار الصحابة كابن عباس وابن مسعود وأبي موسى الأشعري، قد روى عنهم عزو بعض الألفاظ القرآنية إلى لغات غير العربية. (قلعجي، 1988، ص 16).

قال السيوطي رحمه الله: وذهب آخرون إلى وقوعه – أي المعرَّب – وأجابوا عن قوله تعالى: **(قُرْآنًا عَرَبِيًّا)** بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربيا، والقصيدة الفارسية لا تخرج عنها بلفظة فيها عربية، وعن قوله تعالى: **(أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ)** بأن المعنى من السياق: (أكلام أعجمي ومخاطب عربي)، واستدلوا باتفاق النحاة على أن منع صرف نحو «إبراهيم» للعلمية والعجمة، ورُدَّ هذا الاستدلال بأن الأعلام ليست محل خلاف، فالكلام في غيرها موجه، بأنه إذا اتفق على وقوع الأعلام فلا مانع من وقوع الأجناس، وأقوى ما رأيته للوقوع – وهو اختياري- ما أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن أبي ميسرة التابعي الجليل، قال: في القرآن من كل لسان. (السيوطي، الإتقان في علوم القرآن 2 / 106).

ومن الكلمات التي أوردها السيوطي في كتابه الإتقان على أنها من المُعرَّب: كلمة (أباريق)، قال الجواليقي: الإبريق فارسي معرَّب، ومعناه طريق الماء أو صب الماء على هينة، وكلمة (أب). قال بعضهم: هو الحشيش بلغة أهل الغرب، وكلمة (الأرائك) حكى ابن الجوزي في فنون الأفنان: أنها السرر بالحبشية. وكلمة (أسفار)، قال الواسطي في الإرشاد هي الكتب بالسريانية، وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال: هي الكتب بالنبطية. وكلمة (تنور) ذكر الجواليقي والثعالبي أنه فارسي معرَّب.

وكلمة (الرَّس) في العجائب للكرماني، إنه عجمي ومعناه البئر.

وكلمة (سجين) ذكر أبو حاتم في كتاب الزينة أنه غير عربي.

وكلمة (الطاغوت) هو الكاهن بالحبشية وكلمة (مناص) قال أبو القاسم: معناه فرار بالنبطية.

وكلمة (اليمِّ) قال ابن قتيبة: اليم البحر بالسريانية، وقال ابن الجوزي: بالعبرانية، وقال

شيذلة بالقبطية.

وهناك كلمات أخرى غيرها ذكرها السيوطي رحمه الله على أنها من غير لغة العرب. (انظر الإتقان في علوم القرآن 2 / ص 108-119).

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: والصواب من ذلك عندي – والله أعلم – مذهب فيه تصديق القولين جميعاً، وذلك أن هذه الحروف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء إلا أنها سقطت إلى العرب فأعربتها بألسنتها وحولتها من ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب فمن قال إنها عربية فهو صادق. (عبد الرحيم، 1981، ص 206).

والناظر في أدلة الفريق الثاني لا يجدها قوية ولولا هذا التوفيق بين الرأيين الذي ذكروه ونصهم على عربية هذه الألفاظ باستعمال العرب لها، وأنها دخلت إلى لغتهم بسبب مخالطتهم لأصحاب اللغات المختلفة، الأمر الذي لا بد أن يترتب عليه تبادل التأثير بين هذه اللغات، كما هو أمر مسلم به عند علماء اللغات؛ لأن الواقع يشهد له ويقره. لولا هذا لما كنا نعتد برأيهم ونعيره أي انتباه لضعف الأدلة التي ذكروها، وعدم صحة الاستدلال بها على ما ذهبوا إليه. (المرجع السابق نفسه، ص 207).

والذي قاله أبو عبيد القاسم بن سلام من التوفيق بين الرأيين هو الذي مال إليه كثير من العلماء واستحسنوه «فالقرآن الكريم لم يُدْخل إلى العربية – أعني لم يستعمل – لفظاً غير عربي الأصل لم يستعمله العرب من قبل، ولكنه استخدم من الألفاظ ما كان عربياً أصيلاً، وما أدخله العرب من اللغات الأخرى في العربية ولاكته ألسنتهم واشتهر استعماله بينهم – وهو ما يسمى بالمعرَّب من الألفاظ – وصار له حكم العربي الأصيل في الاستعمال. (قلعجي، 1988، ص 19).

ولذا قال العلماء في تلك الألفاظ المعرَّبة التي اختلطت بالقرآن: إن بلاغتها في نفسها أنه لا يوجد غيرها يغني عنها في مواقعها من نظم الآيات، لا إفراداً ولا تركيباً. (الرافعي، 1974، 2 / 72-73).

تدريب (5)

سمِّ ثلاث مؤلفات في المعرَّب.

3.5 أمثال القرآن

المثل – بفتحتين – كالمثل – بكسر فسكون- والمثيل في الأصل النظير والشبيه، ثم أطلق على الكلام البليغ الشائع الحسن المشتمل إما على تشبيه بلا شبيه، أو استعارة رائقة تمثيلية وغيرها. أو حكمة وموعظة نافعة، أو كناية بديعة، أو نظم من جوامع الكلم الموجز. (الآلوسي، روح المعاني 1 / 163).

والأمثال القرآنية هي تمثيل حال أمر بحال أمر آخر، سواء ورد هذا التمثيل بطريق الاستعارة، أم بطريق التشبيه، أم بطريق الكناية.

فالمثل القرآني أسلوب بياني يجمع في طياته نماذج حية مستمدة من الواقع المشاهد لتكون هذه النماذج أقيسة عامة للحقائق المجردة أو الأعمال المجربة أو الأمور التي لا تقع تحت الحس والإدراك في الدنيا والتي يترتب عليها أحكام شمولية، ويبني عليها صلاح أمر الناس في الدنيا والآخرة. (إسماعيل، 1999، ص 299-300).

وضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة: التذكير، والوعظ، والحث، والزجر، والاعتبار، والتقرير، وتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس، فإن الأمثال تصوِّر المعاني بصورة الأشخاص؛ لأنها أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس. (السيوطي، الإتقان في علوم القرآن 4/38-39).

ألا ترى أن الترغيب إذا وقع في الإيمان مجرداً عن ضرب مثل له لم يتأكد وقوعه في القلب كما يتأكد وقوعه إذا مُثِّل بالنور، وإذا زهد في الكفر بمجرد الذكر لم يتأكد قبحه في العقول كما يتأكد إذا مُثِّل بالظلمة، وإذا أخبر بضعف أمر من الأمور وضرب مثله بنسج العنكبوت كان ذلك أبلغ في تقرير صورته من الأخبار بضعفه مجرداً. ولهذا أكثر الله – تعالى- في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله، قال تعالى: **(وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ)** (الحشر: 21). (الفخر الرازي، التفسير الكبير 2/72 -73).

ومن ثَمَّ كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد، وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر أو إبطاله. قال تعالى: **(وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ)** (إبراهيم: 45)، فامتن علينا بذلك لما تضمنته من الفوائد. (السيوطي، الإتقان في علوم القرآن 4/38-39).

والناظر في أمثال القرآن الكريم يجد أنها قسمان: «ظاهر مصرح به، وكامن لا ذكر للمثل فيه، أما أمثاله الظاهرة فكقوله تعالى، في شأن المنافقين (**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (71) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (81) أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (91) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) (البقرة: 17-20)، ففي هذه الآيات مثلان للمنافقين: في المثل الأول شبه الله تعالى نفاق المنافقين وحالتهم الغريبة العجيبة، بحال شخص أوقد ناراً ليستدفئ بها ويستضيء فما أن اتقدت النار حتى انطفأت، وبقي هذا الإنسان حائراً يتخبط في الظلام، تركته في ظلام دامس وخوف شديد، لا يبصر ولا يهتدي، هذا هو مثل المنافقين في استحبابهم الغيَّ على الرشد، واستبدالهم الضلالة بالهدى.

أما المثل الثاني فقد شبه الله تعالى المنافقين في حيرتهم وترددهم بمثل قوم أصابهم مطر شديد، فهم من دهشتهم يضعون رؤوس أصابعهم في آذانهم لدفع خطر الصواعق، كأنهم يظنون أن ذلك ينجيهم من الموت، ويا له من تشبيه رائع عجيب يأخذ بالألباب». (الهاشمي، جواهر الأدب، ص 288، الصابوني، 1997، 1/23-25).

ومن الأمثال الظاهرة قوله تعالى في تمثيل الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة (**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (42) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (52) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ**) (إبراهيم: 24-26). «فهذا مثل ضربه الله لكلمة الإيمان وكلمة الإشراك، فمثَّل لكلمة الإيمان بالشجرة الطيبة، ولكلمة الإشراك بالشجرة الخبيثة فالشجرة الطيبة أصلها راسخ في الأرض، وأغصانها ممتدة نحو السماء، تعطي ثمرها كل وقت بتيسير الخالق وتكريمه، كذلك كلمة الإيمان ثابتة في قلب المؤمن، وعمله يصعد إلى السماء، ويناله بركته وثوابه في كل وقت.

ومثل كلمة الكفر الخبيثة كشجرة الحنظل الخبيثة، استؤصلت من جذورها واقتلعت من الأرض لعدم ثبات أصلها، فليس لها استقرار وثبات. كذلك كلمة الكفر لا ثبات لها ولا فرع ولا بركة». (الصابوني، صفوة التفاسير 2/96-97).

نشاط (3)

أخي الدارس، أختي الدارسة: ارجع إلى سورة الكهف واستخرج منها مثلين من أمثال القرآن، ثم ارجع إلى تفسير القرآن العظيم لابن كثير واقرأ تفسيرهما.

وأما أمثال القرآن الكامنة فهي الآداب البارعة والحكم الباهرة فمن ذلك قوله تعالى: **(لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ)** (النجم: 58)، وقوله: **(لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ)** (آل عمران: 92)، وقوله: **(الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ)** (يوسف: 51)، وقوله: **(وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ)** (يس: 78)، وقوله: **(ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ)** (الحج: 10)، وقوله: **(قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ)** (يوسف: 41)، وقوله: **(أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ)** (هود: 81)، وقوله: **(وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ)** (سبأ: 54)، وقوله: **(لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ)** (الأنعام: 67)، وقوله: **(وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ)** (فاطر: 43)، وقوله: **(قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ)** (الإسراء: 84)، وقوله: **(مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ)** (المائدة: 99)، وقوله: **(هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)** (الرحمن: 60)، وقوله: **(كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً)** (البقرة: 249)، وقوله: **(تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى)** (الحشر: 14)، وقوله: **(وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ)** (فاطر: 14)، وقوله: **(كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ)** (الروم: 32)، وقوله: **(وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ)** (سبأ: 13)، وقوله: **(لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)** (البقرة: 286)، وقوله: **(ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ)** (الروم: 41)، وقوله: **(قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ)** (المائدة: 100)، وقوله: **(ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ)** (الحج: 73)، وقوله: **(لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ)** (الصافات: 61)، وقوله: **(فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ)** (الحشر: 2)، وأمثال أخرى كثيرة. (السيوطي، الإتقان في علوم القرآن 4/43-45، الهاشمي، جواهر الأدب، ص 290-319).

أخي الدارس، أختي الدارسة: إنك إذا أنعمت النظر في أمثال القرآن تجد أنها قد جمعت كل الخصائص الفنية وكل السمات البلاغية للأمثال، فكانت في الذروة العليا من البلاغة والتأثير في القلوب والعقول.

فخصائص المثل وسماته بوجه عام ترد في جملتها إلى أربعة أمور، هي:

1. الإيجاز البليغ: وهو تأدية المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة محكمة.

2. إصابة المعنى: بأن يكون المثل مؤدياً للغرض الذي ضرب له أو قيل فيه بحيث إذا ألقي على المخاطب وقع من نفسه موقعه وأصاب مرماه، وسلم به تسليماً لا يقبل التردد.

3. حسن التشبيه: وذلك بأن يكون وجه الشبه بين المشبه والمشبه به قوياً، يدركه الذهن من غير تكلف في التأويل، وأن يكون في التشبيه جدة وطرافة وابتكار، حتى يكون التأثير به أقوى وأقدر على إبراز المعاني المعقولة في صور محسة.

4. جودة الكناية: وذلك إذا كان المثل من باب الكنايات، بأن يعبّر عن حكمة دلت على صدقها التجربة، وشهد لها الواقع بالسلامة والصحة. فالكناية تأتي بالمعنى مصحوباً بدليله، وتبرز ما يستقبح ذكره في صورة مقبولة لا يأباها الحس المرهف ولا يمجها الذوق السليم فهي أسلوب مقنع وممتع ومؤثر.

وأمثال القرآن الكريم مستوفية لهذه الخصائص إلى حد الإعجاز. (إسماعيل، 1999، ص 305-306).

تدريب (6)

أجرى بعض العلماء مقارنة بين المثل العربي (القتل أنفى للقتل) وبين قوله تعالى: **(وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ)** (البقرة: 179). أورد خمسة وجوه بيانية تفوقت فيها الآية على ذلك المثل العربي.

أسئلة التقويم الذاتي (3)

1. عرّف الإعراب لغة واصطلاحاً.
2. بيّن أهمية علم إعراب القرآن الكريم مستشهداً على ذلك بأقوال السلف الصالح.
3. عدّد خمسة أمور ينبغي مراعاتها لمن يتعرض لإعراب القرآن الكريم.
4. اذكر ثلاثة كتب في إعراب القرآن الكريم.
5. ما الأدلة التي استدل بها من قال بعدم وقوع المعرّب في القرآن؟
6. اذكر دليلين استدل بهما من قال بوقوع المعرَّب في القرآن.
7. وضح رأي الإمام أبي عبيد القاسم بن سلام في وقوع المعرَّب في القرآن.

8. عرِّف المثل لغة ثم بين معنى مصطلح الأمثال القرآنية.

9. ماذا يستفاد من ضرب الأمثال في القرآن؟

10. في قوله تعالى: **(مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا...)** (البقرة: 17)، مثلان للمنافقين. وضحهما.

11. عرِّف المثل القرآني الكامن ومثِّل له بخمسة أمثلة.

12. عدِّد أربع سمات للمثل.

13. أجب بنعم أو لا:

- كتاب (مشكل إعراب القرآن) للإمام مكي بن أبي طالب، وهو من علماء القرن الخامس الميلادي. ( )
- تعرب جملة (في طغيانهم يعمهون) في قوله تعالى: **(اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ)** (البقرة: 15)، على أنها في محل نصب حال. ( )
- ابن فارس من العلماء الذين قالوا بعدم وقوع المعرَّب في القرآن. ( )
- ذكر السيوطي في الإتقان أن كلمة (الطاغوت) تعني (الكاهن) بالفارسية. ( )
- في سورة البقرة مثَّل الله لكلمة الإيمان بالشجرة الطيبة ولكلمة الكفر بالشجرة الخبيثة. ( )

6. الخلاصة

أخي الدارس، أختي الدارسة: حدثناك في هذه الوحدة عن لغة القرآن، ونخرج مما ذكرناه بما يلي:

1. اللغة العربية هي أول اللغات وأصلها.
2. تمتاز اللغة العربية عن سائر اللغات بمزايا عظيمة في الجوانب الصوتية والموسيقية وفي سعتها واشتقاقها وإيجازها ومتانتها ومرونتها.
3. لخصائص اللغة العربية الكثيرة اختارها الله لغة لكتابه العزيز.
4. ألفاظ القرآن أفصح الألفاظ جرى اختيارها من أفصح ما قالته العرب.
5. جمل القرآن ومعانيه وتراكيبه في الذروة العليا من البلاغة.
6. أسلوب القرآن أسلوب متميز على سائر أساليب كلام العرب، فهو من وضع الخالق، لذا جاء أسلوباً معجزاً.
7. في القرآن ألفاظ اصطلح العلماء على تسميتها بالغرائب، وهي الألفاظ الحسنة المستغربة في التأويل، بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر الناس.
8. اهتم العلماء بإعراب القرآن مبينين فضل هذا العلم وأهميته وقواعده، وما ينبغي أن يراعيه العلماء في هذا المجال.
9. نزل القرآن بلسان عربي مبين، فليس في ألفاظه لفظ غير عربي الأصل لم يستعمله العرب من قبل.
10. ضرب القرآن الأمثال للناس كأسلوب من أساليب القرآن في هداية الناس وتعريفهم بحقائق الأمور، وقد جاءت أمثال القرآن في غاية الجمال والإيجاز المعجز.

7. إجابات التدريبات

تدريب (1)

ألفاظ قرآنية انفردت بعض القبائل بإطلاقها على معان لا تطلقها عليها باقي القبائل:

الرقم	اللفظة القرآنية	السورة ورقم الآية	المعنى	القبيلة
1	آناء الليل	(آل عمران: 113)	ساعات الليل	هذيل
2	أبرح	(الكهف: 60)	أزال	كنانة
3	أفيضوا	(البقرة: 199)	انفروا	خزاعة
4	أمّة	(يوسف: 45)	مدة طويلة	تميم
5	باخع	(الكهف: 6)	قاتل نفسه	قريش
6	تفاوت	(الملك: 3)	عيب	هذيل
7	حدب	(الأنبياء: 96)	جانب	جرهم
8	حمإ	(الحجر: 26)	طين	حمير
9	رجيم	(ص: 77)	ملعون	قيس عيلان
10	نمارق	(الغاشية: 15)	وسائد	قريش

تدريب (2)

قد تتعاور المفردات في التعبير القرآني فتستعمل مفردة في موطن، وتستعمل غيرها في موطن آخر شبيه به، بل في القصة الواحدة قد تستعمل مفردة في موضع وتستعمل غيرها في موضع آخر مع أن القصة واحدة والموقف واحد، وذلك نحو قوله تعالى: **(فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا)** في سورة البقرة، وقوله في سورة الأعراف: **(فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا)** والانفجار بالماء أغزر من الانبجاس، فخالف بين المفردتين مع أن القصة واحدة والموضع واحد. فما السر في ذلك؟

والجواب: أن كلا الأمرين حصل، فقد انفجرت أولا بالماء الكثير – كما قيل – ثم قل بمعاصيهم، فأخذ ينبجس، فذكر حالة الانفجار في موطن وحالة الانبجاس في موطن آخر.

فالأمران واقعان وكلاهما حقيقة، غير أنه ذكر حالة كل منهما تبعاً لما يقتضيه السياق، ولو غاير بينهما فاستعمل الانفجار مكان الانبجاس لكان خلاف الأولى، وخلاف ما يقتضيه السياق والمقام.

تدريب (3)

من أساليب القرآن الكريم أسلوبه في استخدام الألفاظ مفردة أحياناً ومجموعة أحياناً، فمن ذلك قوله تعالى: **(فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ)** (الأعراف: 78)، وقوله: **(وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ)** (هود: 67)، ففي آية الأعراف وحَّد الدار، وفي آية هود جمع الدار. والسِّر في ذلك أنه ذكر الرجفة في آية الأعراف، والصيحة في آية هود، ومعلوم أن الصيحة تبلغ أكثر مما تبلغ الرجفة، فالرجفة تختص بجزء من الأرض، أما الصيحة فإنما يبلغ صوتها مساحة أكبر من مساحة الرجفة، فلذلك وحَّد مع الرجفة وجمع مع الصيحة.

تدريب (4)

إعراب سورة الكوثر:

(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (2) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (3))

- إنَّ: حرف توكيد ونصب
- (نا): ضمير متصل مبني على السكون في محل نصب اسم إنَّ
- أعطى: فعل ماضٍ مبني على الفتح المقدر منع من ظهوره التعذر.
- (نا): ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل.
- (ك): ضمير متصل مبني على الفتح في محل نصب مفعول به أول للفعل (أعطى) .
- الكوثر: مفعول به ثان للفعل (أعطى) منصوب بالفتحة الظاهرة وجملة (أعطيناك الكوثر) في محل رفع خبر إن.
- فصلِّ: الفاء: حرف عطف للتعقيب
- صلِّ: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت.
- لربك: اللام: حرف جر، (ربِّ): اسم مجرور باللام وعلامة جره الكسرة الظاهرة، وهو مضاف (والكاف) ضمير متصل مبني على الفتح في محل جر مضاف إليه.
- وانحر: الواو: حرف عطف مبني على الفتح لا محل له من الإعراب. (انحر): فعل أمر مبني على السكون، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت، وجملة (فصلِّ لربك وانحر) معطوفة على جملة (إنا أعطيناك الكوثر) لا محل لها من الإعراب.

- إنَّ: حرف توكيد ونصب.
- شانئك: شانئ: اسم إنَّ منصوب بالفتحة الظاهرة على آخره، وهو مضاف. و(الكاف): ضمير متصل مبني على الفتح في محل جر مضاف إليه.
- هو: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ.
- الأبتر: خبر المبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة على آخره. وجملة (هو الأبتر) خبر إنَّ في محل رفع وجملة (إن شانئك هو الأبتر) جملة استئنافية لا محل لها من الإعراب.

تدريب (5)

ثلاث مؤلفات في المعرَّب:

1. المهذَّب فيما وقع في القرآن من المعرَّب، للإمام السيوطي رحمه الله.
2. الزينة في الكلمات الإسلامية، للإمام أبي حاتم الرازي رحمه الله.
3. ليس من كلام العرب، لابن خالويه رحمه الله.

تدريب (6)

لقد تفوق قول الله تعالى: **(وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ)** (البقرة: 179)، على قول العرب (القتل أنفى للقتل) في كثير من الوجوه البيانية، ذكر بعضها الألوسي والرازي وصاحب المنار، وغيرهم من المفسرين فكان ما عدوه من وجوه البيان بالغاً ما بلغ لا يساوي فيما لم يذكروه قطرة من بحر، فجلَّ كلام الله تعالى عن أن يعقد بينه وبين كلام الناس مقابلة أو مفاضلة أو موازنة.

ومن الوجوه التي ذكرها المفسرون:

1. إن حروف المثل في الآية أقل، وكلما قلت الحروف وكثرت المعاني كان أبلغ في الإيجاز، فحروف المثل القرآني (القِصاص حياة) عشرة، وحروف المثل العربي (القتل أنفى للقتل) أربعة عشر حرفاً.
2. إن قولهم (القتل أنفى للقتل) ظاهره يقتضي كون الشيء سبباً للانتفاء نفسه، وهو محال، بخلاف الآية فإن الضد فيها متضمن لضده، وهو الحياة في الإماتة التي هي القصاص.
3. إن قولهم فيه تكرير للفظ القتل، وليس في الآية تكرير.
4. إن قولهم لا يفيد إلا الردع عن القتل والآية تفيد الردع عن القتل، وعن الجرح، وغيرهما، فهي أجمع للفوائد.
5. إن نفي القتل في قولهم مطلوب تبعاً، من حيث إنه يتضمن حصول الحياة، وأما الآية فإنها دالة على حصول الحياة، وهو مقصود أصلي، فكان هذا أولى.

8. مسرد المصطلحات

- **الإرداف**: أن يريد المتكلم معنى، فلا يعبِّر عنه بلفظه الموضوع له، ولا يعبِّر عنه بدلالة الإشارة بل يعبِّر عنه بلفظ مرادف له، لتحقيق أغراض بيانية لا تتحقق باللفظ الموضوع له.
- **الاستعارة**: هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي.
- **أسلوب القرآن**: هو الطريقة الخاصة التي انفرد بها القرآن في إفادة المعاني بالألفاظ.
- **الإعراب**: الإبانة عن المعاني بالألفاظ .
- **الأمثال القرآنية**: هي تمثيل حال أمر بحال أمر آخر، سواء ورد هذا التمثيل بطريق الاستعارة، أم بطريق التشبيه، أم بطريق الكناية.
- **البلاغة**: بلوغ الرجل بعبارته كنه ما في نفسه، مع الاحتراز عن الإيجاز المخل، والتطويل الممل. أو هي إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ.
- **التشبيه**: هو إلحاق أمر بأمر بأداة تشبيه لجامع بينهما.
- **غريب القرآن**: هي الألفاظ التي تكون حسنة مستغربة في التأويل، بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر الناس.
- **الفصاحة**: خلوص الكلمة من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس.
- **المجاز**: اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي.
- **المعرَّب**: هو لفظ استعملته العرب وليس من صميم لغتهم.



9. المراجع

1. ابن عاشور، محمد الطاهر، 1420هـ - 2000م، **تفسير التحرير والتنوير**، مؤسسة التاريخ، بيروت، ط1.
2. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، **تأويل مشكل القرآن**، شرحه ونشره السيد أحمد صقر. المكتبة العلمية.
3. ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، 1402هـ -1982م، **الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
4. أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، **فضائل القرآن**، ط1، دار الكتب العلمية.
5. إسماعيل، محمد بكر، 1419هـ - 1999م، **دراسات في علوم القرآن**، دار المنار، القاهرة، ط2.
6. الألوسي، العلامة أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
7. الدامغاني، الحسين بن محمد، 1985م، **قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**، دار العلم للملايين، بيروت، ط5.
8. الرازي، الإمام الفخر، **التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
9. الرافعي، مصطفى صادق، 1394هـ - 1974م، **تاريخ آداب العرب**، دار الكتاب العربي، بيروت.
10. الزحيلي، وهبة، 1424هـ - 2003م، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دار الفكر، دمشق، ط2.
11. الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
12. الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، دار الكتب العلمية، بيروت.
13. السامرائي، فاضل صالح، **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني**، دار عمار، عمان.
14. السامرائي، فاضل صالح، 1422هـ - 2002م، **التعبير القرآني**، دار عمار، عمان، ط2.

15. السامرائي، فاضل صالح، **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل**، دار عمار، عمان.
16. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، **الإتقان في علوم القرآن**، دار التراث، القاهرة .
17. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، شرحه وضبطه وصححه محمد أحمد جاد المولى وزملاؤه، دار الجيل، بيروت ودار الفكر.
18. الصابوني، محمد علي، **صفوة التفاسير**، مكتبة جدة، جدة.
19. الصابوني، محمد علي، 1418هـ - 1997م، **قبس من نور القرآن الكريم**، دار السلام، القاهرة، ط1.
20. عباس، فضل حسن، 1407هـ - 1987م، **البلاغة فنونها وأفنانها**، دار الفرقان، عمان، ط1.
21. عبد الباقي، محمد فؤاد، 1406هـ - 1986م، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار الحديث، القاهرة، ط1.
22. عبد الرحيم، عبد الجليل، 1401هـ - 1981م، **لغة القرآن الكريم**، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ط1.
23. العك، خالد عبد الرحمن، 1406هـ - 1986م، **أصول التفسير وقواعده**، دار النفائس، بيروت، ط2.
24. العمادي، أبو السعود محمد بن محمد، **تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
25. قلعجي، محمد رواس، 1408هـ - 1988م، **لغة القرآن لغة العرب المختارة**، دار النفائس، بيروت، ط1.
26. القيسي، مكي بن أبي طالب، 1405هـ - 1984م، **مشكل إعراب القرآن**، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2.
27. المبارك، محمد، 1395هـ - 1975م، **فقه اللغة وخصائص العربية**، دار الفكر، بيروت، ط6.
28. الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، 1420هـ - 2000م، **معارج التفكر ودقائق التدبر**، دار القلم، دمشق، ط1.

29. النحاس، الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد، 1405هـ - 1985م، **إعراب القرآن**، تحقيق د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، ط2.
30. الهاشمي، السيد أحمد، **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**، مؤسسة المعارف، بيروت.
31. الهاشمي، السيد أحمد، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط6.
32. هنداوي، عبدالحميد أحمد يوسف، **الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم**، المكتبة العصرية، بيروت.